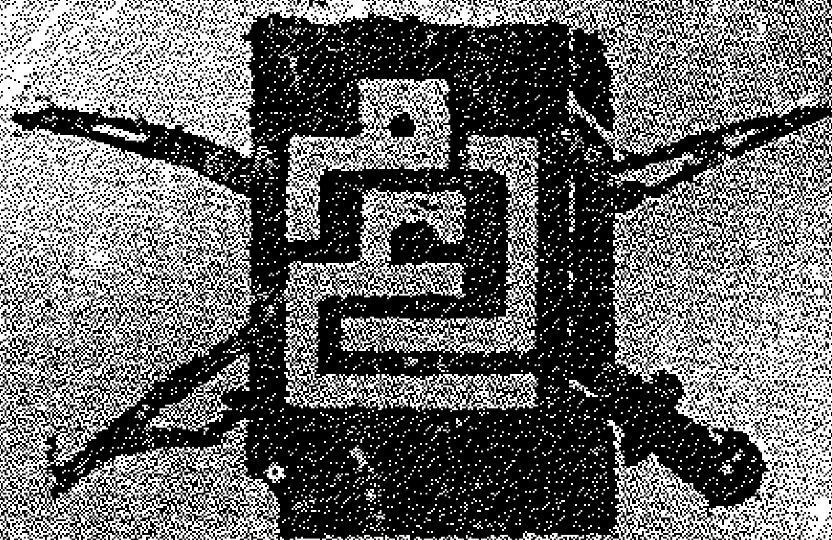


و. ب. لوبوف

الدهاء العسكري

في تاريخ الحروب



الدهاء هو المهارة،
والفطنة وسرعة البديهة،
والحيلة الذكية والمراوغة،
وحدة الذهن ودقة الاستيعاب
والتصور، والبراعة في بلوغ الهدف
بالمكر والخديعة في أغلب الأحيان.

ترجمة:

العميد المتقاعد غازي الجابي

مركز الدراسات العسكرية

دمشق ١٩٩٣م

الدهاء العسكري

في

تاريخ الحروب

الدهاء هو المهارة والفن، وسرعة البديهة
والحيلة الذكية، والمراوغة، وحدة الذهن
ودقة الإستيعاب والتصور، والبراعة في
بلوغ الهدف بالمكر والخديعة في أغلب الأحيان

ترجمة: العميد المتقاعد غازي الجابي

مركز الدراسات العسكرية

١٩٩٣

تقديم

بناء على توجيهات السيد العماد نائب القائد العام - نائب رئيس مجلس الوزراء - وزير الدفاع، قام مركز الدراسات العسكرية بترجمة وطبع كتاب "*الدهاء العسكري في تاريخ الحروب*" .

والكتاب يعتبر من الكتب الثقافية العسكرية الهامة التي تناولت موضوع الدهاء العسكري. والمتتبع لهذا الموضوع في تاريخ الحروب، يجد الفائدة من فهمه وإدراكه لأهميته في تطوير "*الفن العسكري*" الحديث بوجه عام، والمهارات القتالية للقادة بوجه خاص.

لذا من المفيد لجميع القادة العسكريين وعلى مختلف مستوياتهم دراسة موضوع الدهاء العسكري وإستخلاص الخبرات والدروس والعبر وتعميمها أثناء تحضير وتدريب المقاتلين.

والقائد الناجح المتميز هو من يمتلك كل مقومات "الدهاء" من مهارة وسرعة بديهة، وحيلة ذكية، ومراوغة متقنة، وإستخدامها ضد عدوه لتحقيق الهدف القتالي باسرع مايمكن وبأقل الخسائر.

مركز الدراسات العسكرية

المقدمة

تؤكدّ الخبرات المستفادة من تاريخ الصراع المسلّح، على الأهمية الكبرى التي كان يوليها القادة العسكريون للدهاء العسكري في كل زمان ومكان. والقادة العسكريون العظام لم يعتمدوا على القوّة وحدها كعامل حاسم لبلوغ النصر، فالقوّة في حدّ ذاتها لاتكفي لتحديد طبيعة الصراع المسلح. ولايمكن فرض الإرادة على العدو، وتحقيق النصر بقوى قليلة على عدو متفوّق إلاّ عندما يبرع القائد ويبدع في الإستفادة من إنجازات الفن العسكري وثماره، ويخفيَ جيدا عن أنظار العدو كل وسائل وأساليب الصراع المسلح الجديدة، ويضلّله ليحرمه من معرفة المتوفر من القوى، وحقيقة الأفكار، والجاهزية للعمل.

الدهاء العسكري : هو ثمرة النشاط الإبداعي الخلاّق، الذي يحطّم القوالب الجامدة المتخلّفة ويتصدى لها بمرونة التفكير وحركيته، والجرأة في القرار، والبحث عن الأساليب الجديدة لتحقيق النصر بأقل قدر ممكن من الخسائر والإصابات بالقوى والوسائط. إن هذا كلّه بالغ الأهمية في تطّور العمل العسكري، وخاصة الفن العسكري. ويقول م . ف . فرونزه : "تكمن الخطورة البالغة في الروتينية، والحماس المطلق لخطة معينة أو لطريقة معينة" (١) .

إن الأمثلة المستخلصة من تاريخ الحروب، منذ العصور الغابرة وحتى يومنا هذا تعطي البرهان القاطع، على أن فعاليّة الدهاء العسكري ونجاعته في أفكار وقرارات القادة والرؤساء العسكريين خلال الأعمال القتالية، تتوقفّان على مستوى ثقافتهم العامة ومعارفهم العسكرية وتفكيرهم الإبداعي الخلاّق، وقدراتهم على التوقع والتنبؤ بسير الأحداث وتنظيم أعمال قواتهم، وعلى سعة معرفتهم بالعدو والوسائط والأسلحة التي بحوزته، وقدراتهم على إستخدام الأسلحة والأعتدة القتالية، وطرق وأساليب خوض المعركة والعملية ببراعة وإتقان، مع مراعاة طبيعة الأرض وظروف الطقس والوقت.

---

(١) م.ف. فرونزه "المؤلفات المختارة" موسكو -١٩٨٤/ صفحة ٦٦ .

كـان من الضـروري منذ زمن بعـيـد، تحـديد دور مكانة الدهـاء العـسكري وأهميته في الفن العسكري، وإظهار خصائص أشكاله وطرقه. وقد تطرّق العديد من البـاحثين العسكريين في أعمـالهم وكتاباتهم إلى مـوضوع الدهاء العسكري بنسب متفاوتة إلاّ أنهم لم يتناولوا هذا الموضوع على حدة وبصورة خاصة. ولم تظهر المواد الخاصة بهذا الموضوع إلاّ في كراريس مبّسطة تلقي الضوء على بعض الأمـثلة حـول سـرعة البـديهة والفطنة والمكر والخـداع والدهاء العسكري التكتيكي.

إن بحث موضوع الدهاء العسكري في تاريخ الحروب، يقدّم الفائدة المرجوّة والمساعدة المطلوبة في فهم وإدراك أهميته في تطوير الفن العسكري الحديث بوجه عـام، والمهـارات القتـالية للقـادة بوجـه خـاص. وهذا الكتـاب، لايسـتطيع طبـعاً، الإحاطةبجميع جوانب الموضوع، كما أنه لايدعو إلى حتميّة الأفكار والمحاكمات، بل إنه يستعرض الموضوع ويتقصّى تحديد مكانة الدهاء العسكري في إطار الفن العـسكري. ومن الضـروري دراسـة الدهاء العـسكري وإسـتـخـلاص الخـبـرات العسكرية اللازمة وتعميمها أثناء تدريب المقاتلين وتربيتهم.

تشـير الحـروب المحليـة التي تندلع في مناطق مـختلفـة من العـالم، إلى أن الدوائر الإمبريالية والرجعية لاتتوانى عن إستخدام الأشكال والطرق البارعة في الخداع والتخـفي والتـضليل. وهذا يتطلب منّا إمـتلاك المهـارات في كـشف أفكار المعتدي ومخططاته ونواياه على حقيقتها، ومواجـهته بفطنة وحذر ودهاء وإرادة قوية.

إن لدينا مـاندافع عنه ولدينا أيضاً مـاندافع به، ولدينا الخبرات التاريخية القيّمة التي تعلمّنا كيف ندافع.

وجهات نظر وتفسيرات وتعليقات

ليس في تاريخ الحروب، قائد عسكري واحد لم يحاول إستخدام دهائه العسكري لتحقيق النصر على العدو، وليس في هذا التاريخ أيضاً أطراف متصارعة لم تلجأ إلى شتىّ أنواع الحيلة والخديعة لتضليل بعضها البعض عن حقائق نواياها وأفكارها. فبدون السريّة والإخفاء في التحضير والإعداد للأعمال القتالية، وبدون تضليل العدو، لايمكن تحقيق المفاجأة وبالتالي فإنه لايمكن بلوغ النصر بدون أعمال القوات المفاجئة والسريعة والحاسمة.

لقد كان الدهاء العسكري على الدوام، محطّ إهتمام القادة والرؤساء والمنظّرين العسكريين. كما خضعت للدراسة والتعميم الخبرات الثمينة المستخلصة من أعمال القادة العسكريين وزعماء الشعوب في كل زمان ومكان. وتشكّلت على ضوء الإنجازات التي تحققت في مجال العلم العسكري، وعلى أساس تطوّر الأسلحة والأعتدة، الأشكال الجديدة للدهاء العسكري وطرقه وأساليبه.

لقد أشار ف . ى . لينين وهويقيّم أهمية الدهاء العسكري إلى "أنه يجب السعي إلى مباغتة العدو وإرباكه، وإقتناص اللحظة مادامت قواته مشتتّة ومبعثرة"(٢). ولفت الإنتباه إلى القدرة على الإستفادة من الفرص السانحة، ومهاجمة العدو في المكان والزمان اللذين لايتوقعهما " (٣) . وإن ليس هناك حروب بدون خدع عسكرية" (٤) .

يعود ظهور الدهاء العسكري إلى الماضي الغابر. وقد بدأت تتشكّل معالمه

(٢) ف.ى. لينين "المختارات الكاملة" المجلد ٣٤ صفحة ٣٨٣.

(٣) ف.ى. لينين "المختارات الكاملة" المجلد ٥ صفحة ١٢.

(٤) ف.ى. لينين "المختارات الكاملة" المجلد ١٠ صفحة ٢٩٨.

في النظام الإجتماعي - البدائي، على ما يبدو، عندما كان الإنسان ينصب الأفخاخ والكمائن ويربض متسترًا ومتخفّياً لاصطياد الحيوانات والطيور .....الخ

تتحدّث الأساطير اليونانية عن الدهاء العسكري بإسهاب، ففي إحدى حملات القائد باخوس الأسطوري، أقام معسكره في مكان مخفي ضمن الصحراء المقفرة. وبعد حين أفاد جنود الإستطلاع بأن العدو الأكثر عدداً وعدّة، قد أقام معسكره على مقربة من معسكر باخوس، الأمر الذي أصابه بالهلع والخوف. إلاّ أن أحد المقرّبين إليه وهو المدعو "باب" حامي المراعي ومناطق الصيد، لم يفقد أعصابه بل أعطى الأوامر بأن تطلق قوات باخوس عند حلول الظلام ذلك الصوت الداوي الذي تردّد أصداءه الوديان والغابات والصخور، والذي من شأنه أن يوهم العدو بأن أمامه خصماً قوياً. وعندما نفذّت قوات باخوس ذلك أصيب العدو بالهلع ثم ولّى الأدبار (٥) .

يتناول فن الحرب لدى العديد من شعوب العالم مسألة الدهاء العسكري. حيث تدرّس وتعممّ الأمثلة الكثيرة عنه منذ غابر الأزمان.

لقد قيمّ المفكر القديم جامابادا (الذي عاش في القرن الخامس قبل الميلاد) الدهاء العسكري بقوله : "مهما دبرّ العدو لعدوه أو الخصم لخصمه، فإن الفكرة الكاذبة والموجّهة، يمكنها أن تفعل أكثر وأسوأ من ذلك" (٦) .

يقول المؤرخ اليوناني فوكيديد (٤٦٠ - ٤٠٠ قبل الميلاد) بأن أفضل قائد عسكري هو ذلك القائد الذي يتمتع بامكانية الدهاء العسكري .

أماّ المحامي والفقيه الروماني بوليين (الذي عاش في القرن الثاني الميلادي) فإنه يتحدث في كتابه "الخدع العسكرية" عن حوالي ٩٠٠ مثال يعبرّ عن الدهاء

---

(٥) كتاب "الذعر في الحروب" لمؤلفه ب.سيمانسكي موسكو لينينغراد ١٩٢٩ ص١٧.

(٦) كتاب "طاقة المستقبل" لمؤلفه أ. بروتسينكو، موسكو ١٩٨٠ صفحة٣.

العسكري. ويتحدث المؤرخ الروماني فرونتين في كتابه المؤلف من أربعة مجلدات عن ٥٦٣ خدعة عسكرية (ستراتيجيا) تعبّر عن الدهاء العسكري أيضاً . ومن بين الذين عبّروا عن وجهات النظر الرومانية القديمة حول الفن العسكري في مرحلة سقوط الإمبراطورية الرومانية المؤرخ فيجيسي (الذي عاش في القرن الخامس الميلادي)، والذي قال "أليس من الأفضل قهر الخصم بالخدعة والدهاء ؟ ...... إن المباغتة والمفاجأة تصيبان العدو بالرعب والهلع" (٧) .

ومن بين مختلف المؤلفات والأعمال الصينية القديمة، والخاصة بالفن العسكري، تحتل مكان الصدارة "الكتب السبعة" التي هي في حدّ ذاتها بحوث ورسائل عسكرية مختارة، تحمل أسماء القادة العسكريين الصينيين القدامى، أهمها "سون – تسي" و "أو– تسي". وتحت تأثير هذه المؤلفات وأصحابها تمّ وضع المراجع العسكرية النظرية للصين القديمة. وكان لابدّ من دراسة هذه البحوث والرسائل في الصين واليابان خلال القرنين التاسع عشر والعشرين من أجل الحصول على التعليم العسكري العالي.

إن البحث الذي يحمل اسم "سون – تسي" هو ذو قيمة خاصة، لأن وجهات نظر المؤلف، الذي يعتبر واحداً من المنظّرين العسكريين المشهورين الأوائل (٨) وصلت إلينا، وهي تتناول مسألة الدهاء العسكري بقدر ما من الكمال.

يرى سون – تسي أن الحذر والدهاء هما أسمى مبادىء العمل العسكري، ويعلّل آراءه بالإعتماد على أمثلة الأقدمين التي تقول "قبل القيام بالحملة، يجب التأكد ما إذا كان الظرف مواتياً أم لا، وإذا لم يكن ملائماً، يجب إنتظار ظرف آخر، مع العلم أن الهزائم هي نتيجة أخطاء ذاتية، أما الإنتصارات فهي نتيجة

(٧) كتاب "نشوء وتطور الفن العسكري" أ.سفيتشين، موسكو، لينينغراد ١٩٢٧ المجلد الأول، صفحة ٧٧.

(٨) أعمال ونشاطات سون – تسي كقائد عسكري، تعود إلى نهاية القرن الخامس ومطلع القرن الرابع قبل الميلاد، أما أعمال أو– تسي فإنها تعود إلى مطلع القرن الرابع قبل الميلاد.

أخطاء العدو..." . ويقول سون – تسي" لاتسع إلى قهر عدوك بشن المعارك وبلوغ الإنتصارات، بل تذكّر أن الأفضل من ذلك قهره بالخديعة، وأنّ النصر الكبير قد يحمل في طياته أحيانا الإخفاق والهزيمة، لأنه نصر مزيّف أوهمك العدو به، حاول أن تنتصر دون أن تخوض نزالا مع العدو، فالقادة العظماء يحرزون الإنتصارات باكتشافهم لعبة العدو السرية وإفساد مخططاته، وزرع التفرقة في صفوف قواته، وإبقائه في حالة التوتّر الدائم، وحرمانه من إمكانية القيام بأي اجراء ملائم، والحصول على التعزيزات ۰۰۰۰۰۰ومهارة القائد يجب أن تتمثّل في إبقاء العدو بعيدا كل البعد عن رؤية مكان الموقعة، كي لا يستطيع تحديد النقاط والقطّاعات الواجب تأمينها ۰ فإذا هو استطاع ذلك، وكان قادراً على إخفاء أتفه التدابير وأقلها شأنا، فإنه لا يعتبر قائدا بارعا فحسب، بل وانسانا غير عادي أيضا ۰۰۰۰۰۰۰۰"(٩).

يرى سون – تسي أيضا، أنه اذا كان لا بد من أخذ الظروف الجغرافية بعين الإعتبار فانه من المهم أيضا الإستفادة من ظروف الوقت، اذ يقول : " الوقت، الساعة، اللحظة وبعض الظروف الثانوية الأخرى، غالبا ما تحقق النصر۰ فالقدرة على اصطياد اللحظة والإستفادة من ثمار الموقف للبدء بالمعركة وخوضها وإنهائها – تعني خوض المعركة في الوقت المناسب ۰ فعندما ترسل الشمس أشعتها نحو عيون الأعداء، وعندما تهبّ الريح العاتية في وجوههم، وعندما لا تستطيع وحدات العدو المختلفة الإرتباط ببعضها البعض، وعندما لا تصل الى العدو التعزيزات التي ينتظرها، وعندما يكون العدو في حاجة ماسّة الى الراحة، وعندما لم يتّخذ ا إجراءات التأمين، ويعاني من الجوع والعطش ، وعندما يتغيّب عن قيادة الجيش أحد جنرالاته المشهورين بالجرأة والإقدام لسبب ما أو بسبب المرض .... عندئذ لاتتردّد في مهاجمته" (١٠).

(٩) "دليل المراجع الأسيوية" –١٨٨٩ الطبعة ٣٩ الصفحة ١٥.

(١٠) "دليل المراجع الأسيوية" –١٨٨٩ الطبعة ٣٩ الصفحة ٢١ .

إن العديد من الذين درسوا هذه الرسائل وعلّقوا عليها، يوضحون بإسهاب كيف استوعب تلاميذ سون – تسي مبادئه وأفكاره حول الدهاء العسكري. وهنا لابدّ من الإشارة إلى أقوال أولئك التلاميذ، الذين تقصّوا تلك المبادىء، ومن أشهرهم : ساوهون ودويو اللذان يقولان : ليس للحرب شكل دائم، وفن الحرب يتجّسد في المكر والخداع".

يقول مي ياوتشين : "بدون الخديعة لايمكن إستخدام المناورة التكتيكية، وبدون المناورة التكتيكية لايمكن التغلب على العدو".

أما فان – تشجي فإنّه يقول : "الخديعة وهي ال[illegible]يلة لتحقيق النصر على العدو" ويقول تشجان – يوى : "يرى المفكرون العقلاء أن الإنسانية والعدالة يجب أن تشكلا أساساً للحرب، إلاّ أنه لابد من الخداع من أجل تحقيق النصر" (١١).

إن جميع هذه التفاسير والتعليقات تعتبر نتاجاً للأساليب والقواعد الثلاث عشرة التالية، التي تقدّم بها سون – تسي من أجل خداع العدو، وهي (١٢) :

١ – "إذا كنت تستطيع أن تفعل شيئاً ما، أو تقوم بعمل ما، تظاهر بأنك لاتستطيع ذلك" أو بكلمات أخرى، يجب أن تبقى طيّ الكتمان جميع إستعداداتك العسكرية وأسلحتك وتجهيزاتك ....الخ، أي أظهر القرائن الدّالة على ضعفك المزعوم لكي تستطيع مباغتة العدو وسحقه بسرعة وبصورة نهائية.

٢ – "إذا كنت تستفيد من شيء ما، فعليك أن تظهر للعدو بأنك لاتستفيد من هذا الشيء". إن هذا الأسلوب يقتضي إخفاء الأعمال المنفّذة أو اللجوء إلى وسيلة أخرى من أجل تضليل العدو بتنفيذ أعمال بلون آخر.

٣ – "مهما كنت قريباً من العدو، أظهر له بأنك بعيدعنه، ومهما كنت بعيداً

(١١) كتاب "سون – تسي : تفسير وشرح للفن العسكري" لمؤلفه ن.ي كونراد موسكو – لينينغراد – ١٩٥٠ صفحة ٥٧.

(١٢) كتاب "سون – تسي : تفسير وشرح للفن العسكري" لمؤلفه ن.ي. كوانراد موسكو لينيغراد – ١٩٥٠ صفحة ٣٤.

عنه أظهر له بأنك قريب منه". وقد فسّر أحد المعلّقين، وهو دومو هذه الفكرة بقوله : "إذا أردت أن تشن الهجوم على العدو في مكان قريب، فأظهر له وكأنك تنسحب بعيداً عنه، وإذا أردت أن تهاجم العدو في مكان بعيد، أظهر له وكأنك تقترب منه". ويقول معلّق آخر هو سورايا : "إذا أردت أن تهاجم دولة قريبة منك، أظهر للملأ وكأنك ستهاجم دولة بعيدة عنك، وإذا أردت أن تعمل في دولة بعيدة تظاهر بأنك تعمل في دولة قريبة".

٤ – "اخدعه بالربح والفائدة". وهذا يعني أن تخدع عدوك بتقهقر أو تراجع استراتيجي طفيف أو تكتيكي مقصود، وبذلك تحصل على الفوائد والمكاسب الكبيرة من وراء ذلك.

٥ – "أوقعه في حالة من الهلع والإرباك، وخذ بناصيته". إن هذه الطريقة يمكن أن تتأمن بمجموعة كاملة من التدابير والإجراءات الرامية إلى شلّ القيادة والتنظيم داخل معسكر العدو، مثل : إثارة التذمّر والإضطرابات في بلاده، أو بث الرعب والهلع في صفوف قواته خلال المعركة.

٦ – "إذا كان كل شيء لديه كاملاً، أظهر له وكأنك لست على أهبة الإستعداد". إن فكرة سون – تسي تتلخّص، كما يبدو بما يلي : إذا كنت ترى أن لدى عدوك جيشاً جرّاراً، وأسلحته متفوّقة، ومقاتلين ذوى خبرات ومهارات ميدانية متفوّقة، فإنه ينبغي عليك ألاّ تهاجمه مباشرة وتظهر له نواياك، بل على العكس من ذلك، يجب أن تظهر له وكأنك تدرك عدم جدوى مهاجمته وتظاهر بأنك تحتل المواقع الدفاعية وبذلك يمكن إضعاف يقظة العدو وإزالة شكوكه. وفي الوقت نفسه يجب العمل تحت غطاء هذه السلبية، لتحضير كل شيء للقيام بالهجوم المباغت.

٧ – "إذا كان قوياً يجب عليك أن تتفاداه". أي إذا كان العدو أقوى منك عليك أن تتحاشى التصادم الحاسم معه، أو إذا كان موقع العدو جيّد التحصين، لا تهاجمه مباشرة بل التفّ حوله.

٨ – "أثر غضب عدوك، تفقده صوابه". يمكن تفسير هذه القاعدة بشكل

أوسع على الشكل التالي : من خلال إثارة حنق عدّوك وغضبه تستطيع أن تخرجه عن طوره، وتجعله يفقد هدوء أعصابه، ويلجأ إلى أعمال طائشة ومتّهورة، وبذلك يمكنك كسر ذراعه، أي ترغمه على دفع الثمن الباهظ من الخسائر والضحايا، وتضعضع قواه وتحطّم معنوياته وطاقاته وقدراته القتالية.

٩ - "أظهر أمام عدّوك وديعاً وخانعاً، تخلق في نفسه روح الغرور والغطرسة". وهذا يعني أنك بالأقوال والأفعال المهينة والمستجدية، تجعل العدو على قناعة تامة بأنك في حالة ضعف وأنك محبّ للسلام، في حين أنك تكون واثقاً كلّ الثقة بقواك وإمكانياتك الذاتية، التي تؤهلك للإستفادة من إستكانة العدو وإطمئنانه وشن الهجوم عليه.

١٠ - "إذا كانت قواه جديدة وحديثة، فاستنزفه وأنهكه". وهذه القاعدة يمكن تفسيرها بما يلي : إذا كانت لدى العدو قوات جديدة، فلا تتردّد في إضعافها وتدميرها بكل أنواع المناروات، وعندما تنهار قواه دّمره.

١١ - "إذا كان لدى عدوك أنصار وحلفاء، فرّق بينهم". أي أن تزرع بذور الخلاف والتفرقة في معسكر العدو نفسه، وتبعد عنه حلفاءه، وتدبّر المكائد والفتن بين قادته العسكريين .....الخ.

١٢ - "هاجمه وهو غير مستّعد لذلك". المقصود بذلك عدم جاهزية العدو من الناحية المادّية.

١٣ - "انطلق، عندما لايتوقّع العدو ذلك". لاتحتاج هذه القاعدة للشرح والتعليق.

"إ ن هذا كلّه - كما يقول سون - تسي - يؤّمن للمحارب النصر". وبكلمات أخرى يعتقد المفّسرون والمعلّقون، بأن القائد العسكري الذي يتقيّد بهذه القواعد والمبادىء ويطّبقها، يستطيع أن يحرز النصر، ولايمكن مسبقاً تحديد القاعدة التي ينبغي إتّباعها وكيف، ولذلك فإن مهارة القائد العسكري تنحصر في قدرته على العمل في ضوء ظروف الموقف، وإيجاد كافة وسائل وطرق الصراع الجديدة

الملائمة لظروف الزمان والمكان، والموقف ككل.

يقول تساوغون "ليس في الحرب موقف ثابت، كما أنه ليس للماء شكل ثابت" وعلى ضوء التعبير الشعبي السائد في الصين واليابان يمكن صياغة الفكرة الأساسية لمذهب سون – تسي على النحو التالي : "الحرب هي ألف تغيير، وعشرة آلاف تحوّل".

تصف العديد من الوثائق والمراجع التاريخية التي تتناول حملات وغزوات القائد العسكري تيمورلنك في القرن الرابع عشر بإسهاب، الأمثلة الكثيرة عن الدهاء العسكري. وهاهو يقول في "سيرة حياته الذاتية" : لقد أقسم الأمير حسين بأنه لن يناصبني العدء أبداً، وكان شديد الرغبة في أن يؤكّد لي ذلك، ويكرر قسمه هذا بحضوري.. وفي الوادي الذي كان مقرراً للقائنا، نصب الأمير حسين كميناً للقبض عليّ وأسري وكان قوام الكمين مفرزتين من المقاتلين. إلاّ أنني أدركت سرّ هذه اللعبة – لعبة القسم والدعوى لحضور القسم" التي لم تكن سوى خدعة من جانب عدوي .... تجاهلت خدعة الأمير حسين وتوّجهت نحو الوادي المذكور على رأس ثلاثمائة خيال.. ومن مسافة بعيدة شاهدت الأمير حسين وهو يتجه نحوي للقاء بي. وفجأة توّقف في مكانه، ثم إنقضّت علي مفارز جنوده التي خبأها سراً في الوادي، إلاّ أن الجنود المتخفّين لحمايتي اندفعوا نحو عناصر الكمين من إتجاهين واشتبكوا معهم" (١٣).

وجديرة بالإهتمام هنا، الأعمال الحربية التي قامت بها القبائل المغولية والتتارية التي استخدمت فيها على نطاق واسع، تلك الأساليب والطرق مثل : استدراج العدو إلى الفخ، ونصب الكمائن، والتحشد السرّي والخفي مع الإنقضاض بسرعة فيما بعد ومهاجمة العدو من عدّة إتجاهات.

هاهي بعض المقتطفات من كتاب "تاريخ المغول" لمؤلفه كاربين بلانو، الذي يسلّط الضوء على عدد من الأمثلة فيقول : "في كل مرّة يكتشفون فيها أعداءهم،

(١٣) – "سيرة الحياة الذاتية لتيمورلنك" . لينينغراد – ١٩٣٤، الصفحة ١٩٤.

كانوا يتقدمون نحوهم .... وإذا ماأدركوا أنهم لايستطيعون الإنتصار عليهم، فإنهم يتراجعون إلى الوراء نحو ذويهم، إنهم يقومون بذلك بهدف الخداع، أي أن الأعداء يلحقون بهم حتى تلك الأماكن التي نصبت فيها الكمائن، وإذا لحق أعداؤهم بهم ووقعوا في الكمين يطوّقونهم ثم ينقضّون عليهم ليقتلوهم أو يجرحوهم. أماً إذا وجدوا أن هناك قوات كبيرة في مواجهتم، فإنهم يتراجعون عنهم أحياناً لمسافة مسير يوم واحد أو يومين ثم يهاجمون خلسة القسم الآخر من الأرض، ويعملون به السلب والنهب، وأحياناً ينسحبون إلى مكان آمن، حيث يتركزون فيه إلى أن تتفرّق قوات أعدائهم، وعندئذ يتقدّمون خفية ليعيثوا في الأرض خراباً ودماراً. حقاً إنهم ماكرون جداً في الحروب.

كان زعماء وقادة قواتهم لايدخلون المعركة، بل يقفون بعيداً مقابل قوات أعدائهم، حيث يقف بالقرب منهم الفتيان والنساء والخيول. وكانوا يلجؤون أحياناً إلى صنع هياكل بشرية (دمى) على ظهور الخيل، وذلك من أجل تضليل العدو، الذي يظن أن لديهم أعداداً كبيرة من المحاربين. ويدفعون في مواجهة العدو، مفرزة تضم جنوداً أسرى من شعوب أخرى، لتأخذ مكانها بينهم وبينه، في حين يرسلون المفارز الأخرى من المحاربين والمقاتلين الأكثر جرأة وشجاعة بعيداً عن ميمنة العدو وميْسرته، بحيث لايستطيع مشاهدتهم، وبذلك يطوّقونه ويطبقون عليه من جميع الجهات. وعلى الرغم من أن عددهم قليل أحياناً فإن أعداءهم المطوقين يتوهمون أنّ عددهم كبير جداً " (١٤).

أولى فيلسوف وسياسي عصر النهضة المعروف نيكوللو ميكافيللي، الذي عاش في القرن السادس عشر، مسألة الدهاء العسكري الأهمية الكبرى. ففي كتابه "حول الفن العسكري" يحدّد ميكافيللي، ببراعته التي يتميز بها، تلك الطرق لتطوير هذا الفن، والتي يجب أن نسير عليها في المستقبل، مشيراً من خلال ذلك إلى دور أهمية الدهاء العسكري في عملية الصراع المسلح. وفي هذا الصدد

---

(١٤) بلانوكاربيني في كتابه "تاريخ المغول" إصدار عام ١٩١١ صفحة ٣٠و٣١.

يقول:

- "إذا أردت أن تصاب قوات خصمك بالإرباك والحيرة، فإنه يجب عليك أن تختلق شيئاً ما، من شأنه أن يخيف العدو ويفزعه، مثل إشاعة الأنباء حول تعزيزات جديدة أو خداعه بمشاهدة تعزيزات وهمية.

- من المهم جداً أن تنشر الشائعات خلال المعركة حول مقتل أو وفاة قائد جيوش الأعداء، أو فرار قسم من قواتهم، لأن هذه الخدعة غالباً ما تؤدي إلى النجاح.

- والأفضل من هذا وذاك، أن تمتلك ما يعتقده العدو أنه ليس في مقدورك وتوجّه الضربة بالجزء الأكبر من القوات إلى جنوده، في الدقيقة التي نادراً ما يتوقّعون فيها هذه الضربة.

- إذا أنت أردت أن تخصّص وترسل خفية عن عدوك، جزءاً من جيشك إلى حليف لك لمساعدته، فلا تقلّص أبعاد المعسكر، واترك جميع الأعلام والرايات وصفوف الخيام السابقة في أماكنها، ولاتقللّ من عدد المشاعل والحرّاس، وهذه التعليمات ذاتها لابد منها أيضاً عند حصولك على التعزيزات التي تريد إخفاءها. لذلك ينبغي ألا تزيد أبعاد المعسكر، لأنه من المفيد جداً أن تحافظ دوماً على أعمالك وأفكارك طيّ الكتمان.

- قد يكون من المفيد جداً إرباك خصمك عن طريق القيام بتحركات ما، لا يتوقّعها. وهنا إحتمال لواحدة من إثنتين : إماّ شن الهجوم بجزء من القوات ومشاغلة القوى المعادية بها، ولفت أنظارها، وبذلك يمكن إطلاق أيدي القوات الصديقة الأخرى لتعمل بحرّية أكبر، وإما خلق ظرف لايتوقّعه العدو إطلاقاً، أو تشكيل مشهد لم يألفه العدو من قبل، مما يؤدي إلى إصابته بالذعر وإرغامه على الكف عن القتال" (١٥).

على الرغم من أن ميكافيللي لم يكن عسكرياً، فقد قدّم في دراسته تلك

---

(١٥) نيكوللوميكافيللي في كتابه "حول الفن العسكري" موسكو-١٩٣٩ صفحة ١٣١ ، ١٣٤ ، ١٨١ ، ١٨٣.

تحليلاً لتطوّر الفن العسكري ولاسيما أنه سلّط الضوء على أساليب وطرق وخداع العدو وتضليله. وفي هذا الصدد يقول ميكافيللي : إن أفضل فكرة هي تلك التي تظل طيّ الكتمان وخفيّة عن العدو : "إذا ما وقع أثناء المعركة حدث من شأنه أن يفزع الجنود ويخيفهم، فإنه من المهم جداً، أن يكون القائد بارعاً في إخفائه، أو حتى إستخلاص الفائدة منه. وإذا كنت تشعر أن هناك خائناً بين صفوف جيشك، يقوم بالإبلاغ عن مخططاتك ونقلها إلى العدو، فإنه يجب العمل على الإستفادة من خيانته، عن طريق إطلاعه على الفكرة المزيّفة، وإخفاء الفكرة الصحيحة والحقيقية عنه، أو إطلاعه على المخاوف والمخاطر التي لاوجود لها، مع عدم ذكر أي شيء عمّا يخيفك فعلاً" (١٦).

إن الدهاء العسكري يتوقف - حسب رأي ميكافيللي - على الصفات والخصائص الشخصية للقائد العسكري إلى حدّ بعيد. فبدون البراعة في الدهاء لاوجود للرجال العظام في أي مجال كان، والدهاء - المكر - كما يرى ميكافيللي، عمل محترم وشريف على جميع الصعد، إلاّ أنّه في العمل العسكري ذو مكانة عظيمة.

- ".... الحرب هي السلسلة من الصدف والمفاجآت، كل واحدة منها قد تهلك الجيش، إذا كان القائد غير بارع وغير محنّك في التحدّث إلى جنوده، لأن الكلمة هي التي تثير الخوف والذعر، وتلهب الحماس والروح المعنوية، وتعزز الصمود والثبات وتكشف حقيقة الخداع والتضليل ....

- إذا كنت محطّماً، فإن القائد البارع يجب أن يفكر قبل كل شيء، بما إذا كان بإمكانه إستخلاص أي فائدة أو مكسب من هزيمته، لاسيّما عندما يكون قسم من قواته لايزال يحتفظ بقدراته القتالية.

- العديد من القادة العسكريين يرغبون في تضليل العدو وخداعه، وإستدراجه إلى الأفخاخ والكمائن، عندما تساعد الأرض على ذلك ......

(١٦) نيكوللوميكافيللي "حول الفن العسكري" موسكو -١٩٣٩ صفحة ١٣٢.

- بعض القادة العسكريين الذين يدافعون ضد عدو قوي جداً، قاموا بحشد قواتهم ضمن مجال ضيّق وبذلك سمحوا للعدو بتطويقهم، وعندما اكتشفوا أضعف نقطة في خط العدو، وجّهوا اليها الضربة الرئيسة .....

- من أجل كشف أسرار العدو، كان بعض القادة العسكريين يرسلون إليه السفراء والرسل، وبصحبتهم عسكريون لخدمتهم ظاهرياً، إلاّ أنّ هؤلاء "الخدم" من أبرع العسكريين وأكثرهم خبرة وحنكة، فقد استطاعوا إكتشاف بنية الجيش المعادي وتنظيمه، وتعرّفوا أيضاً على نقاط القوّة والضعف لديه، وبتقاريرهم التي قدموها، مهّدوا الطريق إلى النصر. والبعض الآخر كانوا يبعدون عنهم أقاربهم ويتّعمدون الإساءة اليهم ظاهرياً، فيلجأون إلى العدو زاعمين إنهم جاؤوا لخدمته ضد أقاربهم الحكام، وفي الحقيقة كانوا يتجسسون على العدو، وينقلون إلى ذويهم أفكاره ومخططاته" (١٧).

لقد استخدم السلافيون القدامى الدهاء العسكري في حروبهم. فالإمبراطور البيزنطي مافريكي يقول في رسالة له حول الفن العسكري، أطلق عليها اسم "ستراتيجيون" : "إنهم كانوا يقومون بمنازلة أعدائهم في الأماكن التي تغطيها الغابات الكثيفة، وفي الوديان والمضائق، حيث يستفيدون من نصب الكمائن والأفخاخ والهجمات المباغتة، والأعمال الخداعية ليلاً ونهاراً، ويبتكرون العديد من الطرق والأساليب المختلفة. إنهم خبراء ومهرة جداً في عبور الأنهار أيضاً، وهم يتفوّقون في هذا المضمار على الناس كافة. كما أنّهم يتحمّلون، برجولة وشجاعة، البقاء في الماء، عندما يتعّرضون لهجوم مباغت، وفي حوزتهم مواسير من القصب البّري الطويل، يظل طرفها فوق سطح الماء والطرف الآخر في فم الجندي الذي يتنفّس بواسطتها" (١٨).

---

(١٧) نيكوللوميكافيللي "حول الفن العسكري" موسكو - صفحة ١٣٢، ١٣٤، ١٤٠، ١٦١، ١٨٢.

(١٨) "المختارات من التاريخ العسكري الروسي" لمؤلفه ل.غ.بيسكروفني موسكو ١٩٤٧ ص٦

إن وجهات النظر حول الدهاء العسكري في تاريخ الفكر العسكري الروسي، بدأت تتشكّل في عهد بطرس الأول، الذي أوجد الطرق والأساليب الجديدة للصراع والقتال واستفاد ببراعة من ظروف الأرض والطقس، واستخدم بفعالية ونجاعة الكمائن والإغارات والأعمال التظاهرية. والدهاء العسكري المنقطع النظير الذي تميّز به بطرس الأول كان أحد أسباب إنتصاراته الكثيرة.

من بين أفكار بطرس الأول المتميّزة، تلك الأقوال التي تتعلق بطرق الأعمال القتالية ضد السويد أثناء حرب الشمال .... "إن البحث عن المعركة الشاملة مسألة في غاية الخطورة ... ففي الساعة الواحدة كل شيء يتغيّر .... والتراجع السليم قد يكون أفضل من الهجوم السقيم" (١٩). ويتلخّص الدهاء العسكري في هذه الحالة، في أضعاف السويديين وإستدراجهم إلى عمق البلاد، وتنظيم القوى الذاتية في الوقت نفسه.

إن الدهاء العسكري بالنسبة للقادة العسكريين في الجيش الروسي، كان من بين الصفات التي انفرد بها أ. ف. سوفوروف أكثر من سواه. فقد عبّر عن الدهاء العسكري في كتابه "العلم ينتصر" بالكلمات التالية : "العدو لايتوقّع ظهورنا، لأنه يظننا على مسافة مئة فرسخ، أما نحن فإننا نراه من مسافة أبعد، أي من مسافة مائتين وثلاثمائة وأكثر. وفجأة نتساقط عليه كتساقط الثلج على الرأس، فنثقل رأسه الذي يترنح من شدة المفاجأة والإعياء ... وعنهدها نهاجمه بكل ما لدينا ...." (٢٠).

في الوقت نفسه وقف أ. ف. سوفوروف، ضد الأعْمال التظاهرية الجوفاء، التي تعتبر في نظره غير مواتية للعمل القتالي، وهي من بنات أفكار "الأكاديميين الفقراء". لقد رأى القائد العسكري أ. ف. سوفوروف إن للدهاء العسكري تأثيراً حاسماً على العدو في تأمين المباغتة في الهجوم عليه وهو غير مستعد بعد للتصدّي والدفاع المنظّم، وأنه يحقق النصر بأقل قدر من الجهود والتكاليف

(١٩) "تاريخ الفن العسكري" لمؤلفه ي.رازين موسكو ١٩٤٠ الجزء الثاني ص٣٧٣

(٢٠) "العلم ينتصر" لمؤلفه أ.ف سوفوروف، موسكو -١٩٥٠ ص٣٥

والخسائر الطفيفة. وخير دليل ناصع على ذلك ما جاء في توجيهاته وأوامره إلى الجنرال م. أ. ميلو راد وفيتش التي يقول فيها : "الحراب، السرعة، المباغتة ! الخصم يظن أنك على مسافة مئة أو مائتي فرسخ أما أنت فعليك أن تضاعف خطوتك الجبّارة، وتتحرك بسرعة ومباغتة. العدو قد يغنّي ويتنزّه بإنتظارك لتأتي إليه من الحقول المكشوفة والواسعة، أما أنت فتنقّض عليه من وراء الجبال المنحدرة والغابات الحالمة، كما يتساقط الثلج على الرأس ...... قطّعه إرباً إرباً، اضربه، واصعقه بعنف وخفّة ولاتدعه يفكّر أو يصحو من شدّة الصدمة. المذعور نصف مهزوم، والخائف تجحظ عيناه فيرى الشخص عشرة أشخاص. كن بصيراً ويقظاً وصاحب هدف محدّد".

لقد أولى أ. ف. سوفوروف السريّة، والأعمال الليلية الأهمية البالغة. وكان تكتيك سوفوروف يتغيّر في كل مرّة وفقاً للموقف المتشكّل، حيث كانت تستخدم الطرق والأساليب الجديدة المثلى، التي تضلّل العدو وتخدعه، لأنّها كانت تواجه طرقه وأساليبه، وتتناقض مع الأسس والقواعد النظرية العامة الشائعة.

إنّ ماجاء في كتاب سوفوروف "العلم ينتصر" حصل على المزيد من التطوّر خلال التطبيقات العلمية الميدانية للقائد الروسي الفيلد مارشال م. ى. كوتوزوف، الذي كان استخدامه لأساليب وطرق التخفّي والسرّية وتضليل العدو يمثل أحد الجوانب المميّزة في فنه القيادي. وتشهد على وجهات نظر م. ي. كوتوزوف حول الدهاء العسكري، تلك الوثائق والمستندات الخاصة بنشاطه القيادي. ففي موقعة روشوك المشهورة تظاهر كوتوزوف أنه يطارد الأتراك المتقهقرين، بينما في الحقيقة أبقى قواته في أماكنها حيث قال : "إذا تحركّنا خلف الأتراك، فإننا سنصل إلى شوملا على ما يبدو، ولكن ماذا نفعل بعد ذلك ؟ علينا أن نعود كما فعلنا في العام الماضي، ويعلن الوزير أنّه المنتصر. الأفضل بكثير أن نتعقّل ونوافق صديقنا أحمد بك الذي سيأتي إلينا من جديد" (٢١).

---

(٢١) م.ي كوتوزوف – موسكو ١٩٤٦ صفحة ٢٠ .

ويقول م.ى كوتوزوف في تقريره حول ما يسمّى "قصبة سلوبو ديسك" (٢٢) "بما أن العدو كان قد هوجم على حين غرّة، فإنه يمكن القول بأن عدد القتلى والجرحى في جانبنا لايتجاوز ٤٩ شخصا" (٢٣).

كان موضوع الدهاء العسكري محّط إهتمام ودراسة الكثير من قادة الجيش الروسي. وتؤكّد النشاطات والأعمال القتالية للقادة الروس العظام مدى إهتمامهم الكبير بإستخدام الدهاء العسكري على أرض المعركة.

لقد عملت المنشورات العسكرية الروسية الدورية في القرن الماضي، ولاسيما مجلة "الديوان العسكري" و"مجلة المدفعية" على نشر مقالات ومعلومات بإنتظام حول أهمية تربية الجنود والضباط على تلك الصفات مثل : سرعة البديهة والفراسة والدهاء، كما تحدثت عن أمثلة عديدة حول إستخدام الدهاء العسكري في الحروب للدفاع عن البلاد. وحظيت بالإهتمام الكبير تلك الكتب والمراجع الدراسية المتعلّقة بتكتيك ذلك العصر، ولاسيّما المراجع التي أعدّها كل من دراغوميلوف وريوستوف. كما أن جميع المراجع الدراسية تقريباً التي صدرت وظهرت إلى الوجود خلال التسعينات من القرن الماضي، تناولت الأسس والقواعد لدور الدهاء العسكري وأهميته في تحقيق المفاجأة كفصل أساسي والزامي في هذه المراجع.

لابدّ من الإشارة إلى أنّ جميع القادة والمنظرين العسكريين كانوا على رأي واحد في تقييمهم لدور الدهاء العسكري وأهميته في الفن العسكري، على الرغم من وجود بعض التناقض في دراساتهم وأبحاثهم.

بعد إنتصار ثورة أكتوبر الإشتراكية، ومنذ الأيام الأولى لاندلاع الحرب الأهلية، استخدم العديد من ضباط وقادة الجيش الأحمر الدهاء العسكري على نطاق واسع، وجرت في الوقت نفسه محاولات لتحليل وتبرير الدهاء العسكري

---

(٢٢) اسم مدينة تقع الآن في بولونيا.

(٢٣) الفيلد مارشال كوتوزوف: "مجموعة الوثائق والمواد" إصدار موسكو-١٩٤٧ ص١٢٧.

نظرياً، كظاهرة من ظواهر الفن العسكري. ومن المميّز أن الأفكار المتعلّقة بدور الدهاء العسكري وأهميته، برزت واستمرت في المنشورات العسكرية – النظرية الأولى لتلك الفترة.

لقد أشار م.ن. توخاتشيفسكي إلى أهمية تحقيق المفاجأة في الحرب المناورة، لأن طبيعة الصراع خلقت الظروف الملائمة لذلك. فالهجمات الليلية والإغارات العميقة وأعمال الإلتفاف مع توجيه الضربات المفاجئة إلى مؤخرات العدو، وهجمات الخيالة السريعة، كانت تستخدم في أغلب الأحيان، لأنها أسفرت عن نتائج باهرة. وفي هذا الصدد يقول م.ن. توخاتشيفسكي : "كلما كانت القوات أكثر براعة ومهارة في تدمير القوات المسلحة المعادية – كلما كان خوض الحرب أقل تكلفة وخسارة" (٢٤).

تحدث نائب رئيس المجلس العسكري الثوري س.س. كامينييف وأشار مراراً في كلماته وخطبه إلى أهمية السرّية والإخفاء. ففي معرض تحليله لنتائج المناورات التي قامت بها قوات منطقة موسكو العسكرية، يقول كامينييف : "تولي قيادة الجيش الأحمر مسألة التمويه والإخفاء أهمية بالغة، ولذلك فإن قوات الحمر تتحرّك وتعبر العوائق والموانع المائية ليلاً، وهي تبحث عن الأساليب والطرق الأكثر نجاعة، والتي تستخدم بالشكل الملائم وفي ظروف الصراع الحقيقي الملائمة" (٢٥).

لقد كرّست مجلة "الرسيل العسكري" عدداً من مقالاتها لموضوع الدهاء العسكري. فالمقالة التي بعنوان "استيعاب المعركة الحديثة" يتحدث مؤلفها عن خصائص ومواصفات أشكال الدهاء العسكري بقوله : "السرّية، أي تمويه وإخفاء الإجراءات، وصرف إنتباه العدو، وتشتيت إهتمامه، يجب أن تكون الوسائل

---

(٢٤) م.ن. توخاتشيفسكي "المؤلفات المختارة" موسكو – ١٩٦٤ المجلد الأول، الصفحة ٢٦١.

(٢٥) "الرسيل العسكري" موسكو – ١٩٢٣، العدد – ٢٩ صفحة ٥و٦

المناسبة لتوجيه الضربة المفاجئة" (٢٦). وفي مقالة أخرى بعنوان "تطوّر التكتيك والمفاجأة" يقول المؤلف بأن فن التكتيك يتمثل الآن، إلى حدّ كبير، في تأمين الإستخدام الأفضل للوسائط الفنية عن طريق السرعة في العمل، والدهاء والخدعة.

يتجلّى مفهوم الدهاء العسكري بصورة أوضح في كتاب "الإستراتجية" لمؤلفه أ.أ. سفيتشين الذي يقول فيه : "الدهاء العسكري والخداع يشملان فن العمليات برمّته، ويعتبران عنصره الأساسي، كما هو حال مفهوم القوة وإستخدامها المنظّم في الظروف القتالية بالنسبة للتكتيك وتلك الألغاز العملياتية التي لايستطيع العدو حلّها في حينه ، هي وحدها التي تتكّل بالنجاح" (٢٧).

خلال العشرينات من هذا القرن، صدرت أنظمة القتال وأنظمة عمل الأركان لأوّل مرّة في الجيش الأحمر. وقد تضمّنت هذه المراجع الدهاء العسكري. فقد جاء في نظام القتال المؤقت للجيش الأحمر الصادر في عام ١٩٢٥: "إنّ المناورة بالقوات يجب أن تنفّذ بأعلى درجة من السرّية، لتكون مفاجأة تامة بالنسبة للعدو.... ومن أجل تحقيق المفاجأة، يجب المحافظة - لأطول مّدة ممكنة - على الهدف النهائي لجميع الأعمال طيّ الكتمان، ولاسيما تلك الأعمال الجارية أثناء التحضير للهجوم .... والإستفادة من وسائط الإتصال بحذر شديد. ومن أجل المحافظة على إعادة تجميع القوات طيّ الكتمان، يجب أن تتمّ تحركات القوات في الظروف التي تجعل من الصعب على العدو القيام بأعمال الرصد والمراقبة، ولاسيما من الجو، ولهذه الغاية ينبغي الإستفادة من الظلام وأوقات المطر والضباب" (٢٨).

لقد أشار نظام القتال المؤقت للجيش الأحمر الصادر عام ١٩٢٧ إلى

---

(٢٦) "الرسيل العسكري" موسكو - ١٩٢٣، العدد ٣٢ صفحة ٧.

(٢٧) أ.أ. سفيتشين "الأستراتيجية" موسكو - ١٩٢٧ صفحة ٢٠٤ .

(٢٨) نظام القتال المؤقت للجيش الأحمر. موسكو - ١٩٢٦ الجزء الثاني صفحة ١٤، ٩٣٧، ٩٤٠ .

ضرورة القيام بالتدابير والإجراءات الخاصة بخداع العدو وتضليله. وقد وردت على النحو التالي :"بالإخفاء وحده لايمكن تضليل العدو ..... ولذلك فإنه لايجوز الإعتماد على التستّر فقط، بل يجب أيضاً، خلق إنطباع كاذب لدى العدو عن أعمالنا ونوايانا.

والطرق الأساسية اللازمة لخلق التّصور الكاذب لدى العدو هي :

- إشاعة المعلومات الكاذبة.
- القيام بالأعمال الكاذبة.
- إقامة أغراض كاذبة" (٢٩).

وقد جاء في نظام قتال الجيش الأحمر لعام ١٩٢٩ مايلي : "يجب أن تنفّذ جميع أعمال القوات بأكبر قدر من السرّية .... وتتحقّق المفاجأة أيضاً باستخدام وسائل الصراع الجديدة وأساليب المعركة الحديثة، التي لايتوقعها العدو" (٣٠).

أصبحت المسألة الخاصة بأهمية المفاجأة في الحرب الحديثة، تحظى باهتمام أوسع في أنظمة القتال وأنظمة عمل الأركان التالية للجيش الأحمر. ففي "التعليمات الخاصة بالمعركة العميقة" مثلاً، والصادرة في ٩آذار من عام ١٩٣٥، إشارة إلى أن الوسائل و الأسلحة الجديدة، وتكتيك "المعركة العميقة" تزيد بشكل ملحوظ من أهمية المفاجأة في الأعمال القتالية. ومن بين أسس المفاجأة المذكورة في ذلك المرجع : الحشد السرّي للقوات، ولاسيما قوات الدبابات والقطعات الميكانيكية والإنزالات الجوية والميكانيكية، والتحضير السرّي لرمايات المدفعية الكثيفةو تضليل العدو، واستخدام الدخان ووسائل التمويه الفنّي، والإستفادة من وقت الظلام، وظروف الرؤية السيئة.

---

(٢٩) نظام عمل الأركان المؤقت للجيش الأحمر حول تمويه القوات. موسكو - ١٩٢٧- الجزء الأول، صفحة ٦و٧ .

(٣٠) نظام قتال الجيش الأحمر - موسكو ١٩٢٩ - صفحة ١٢ .

خلال عقد الثلاثينات بدأ مصطلح "الدهاء العسكري" ينحسر تدريجياً، ويقتصر على المراجع الخاصة، ويأخذ مكانه مصطلح "التمويه". ففي الموسوعة السوفييتية الصغرى الصادرة عام ١٩٢٩ نقرأ : "التمويه العسكري هو مجموعة من الوسائل والأساليب التي تستخدمها القوات لكي تضلّل العدو وتخدعه، وتخفي مواقعها الحقيقية عنه، وتخلق لديه الإنطباعات والتصوّرات الكاذبة" (٣١). ويتضمن نظام القتال المؤقت للجيش الأحمر الصادر في عام ١٩٢٥ التعريف التالي للتمويه : "التمويه هو كافة أساليب ووسائل الخداع العسكري. وهو يرمي إلى :

– إخفاء أعمالنا ونوايانا عن العدو (التمويه السلبي) .

– تضليل العدو لمنعه من إكتشاف الأعمال التي نقوم بها أو ننوي القيام بها (التمويه الإيجابي)" (٣٢).

يبدو هنا من هذه القواعد والأسس، أن خداع العدو يطابق التمويه، ويماثله. من الجدير بالذكر أن وسائل التدمير الجديدة، كانت قد استخدمت على نطاق واسع خلال الحرب العالمية الأولى. ورداً على ذلك فقد ظهرت وسائل الوقاية الجديدة، التي خصصّت للتصدي لوسائل التدمير، وبالتالي أصبحت مسألة تأمين الحيوية والديمومة للقوات أكثر أهمية وإلحاحاً. وهذا بدوره أدّى إلى إزدياد أهمية التمويه. كما أن التطور السريع والحثيث لوسائل التدمير وإمكانيات الإستطلاع جعل من التمويه أحد العوامل الحاسمة في تحقيق الديمومة والحيوية للقوات. وهكذا تشكلّت العلاقة التالية : "تمويه وإخفاء = عدم إكتشاف، وعدم إكتشاف = عدم تدمير".

إن الأهمية المتعاظمة التي حظي بها التمويه، شدّت بطبيعة الحال، إهتمام المنظرين العسكريين السوفييت ولفتت أنظارهم إلى هذه المسألة. لقد كان "لمدرسة التمويه العسكري العليا" التي تأسست في موسكو عام ١٩١٨ دور كبير في دفع

---

(٣١) "الموسوعة السوفييتية الصغرى" موسكو ١٩٢٩ صفحة ٩٤٦.

(٣٢) "نظام القتال المؤقت لجيش العمال والفلاحين الأحمر" صفحة ٩٩.

النشاط التمويهي - العسكري للجيش الأحمر إلى الأمام. وانحصر نشاط هذه المدرسة، من الناحية العلمية، في دراسة وتحليل خبرات ودروس الحرب العالمية الأولى في مجال تطوّر وسائل التمويه وتقنيّته، وتنظيم الأعمال التمويهية. هذا وقد عممّت تلك الخبرات على جيوش "الوفاق الثلاثي" (التحالف ضد المانيا في الحرب العالمية الأولى) من خلال عدد من التعليمات والتوصيات الخاصة بالتمويه العسكري والصادرة عام ١٩١٨.

لقد كان لمدرسة التمويه العسكري العليا "لسان حال" خاص بها. وإبتداء من عام ١٩١٨ أخذ الطلاب في المنشآت التعليمية - العسكرية ومختلف دورات الكومسومول التابع للجيش الأحمر يدرسون التمويه العسكري كمادة مستقلّة. وكان مدربو مادة التمويه العسكري، بصورة عامة، من الضباط ذوي الخبرات الجيدة في مجال النشاط التمويهي. والأعمال التي نفذت في المدرسة العليا في مجال التمويه، وفّرت الإمكانية في عام ١٩٢٤ لإعداد دليل خاص بذلك. وقد تم إختيار الأفكار والقواعد الأساسية لهذا الدليل في المشروع الذي أجري تحت اسم "مناورة التمويه".

خلال عقدي العشرينات والثلاثينات، وفي غضون فترة زمنية قصيرة نسبياً، صدر عدد من المؤلفات للمفكرين السوفييت حول مسألة التمويه. وكانت هذه المؤلفات، بصورة أساسية، عبارة عن أبحاث ودراسات حول مسائل الإخفاء والتضليل. كما أن مؤلفات كل من أ- ديدينكوبوب. تيبلوف وغيرهما من المنظرين الآخرين تضمنت أوصافاً تفصيلية للعديد من أساليب وطرق استخدام الدهاء العسكري في الظروف القتالية. واشتملت مؤلفات الخبراء السوفييت على الأوصاف والخصائص المفصّلة لمختلف أشكال وطرق التمويه.

من المعلوم أنه في نهاية عقد العشرينات ومطلع عقد الثلاثينات كانت عملية نشوء فن العمليات - كجزء لايتجزء من الفن العسكري - تمر في مراحلها النهائية. وتناول فن العمليات الذي تشكّل كنظرية مستقلة، تنظيم وقيادة الصراع

المسلح على مسرح الأعمال العسكرية على مستوى الجبهة (الجيش) عادة، بهدف تنفيذ المهام التي تحددها الإستراتيجية. وهكذا ظهرت الأعمال والمؤلفات العسكرية – العلمية التي وضعها ن فارفولوميف، وأ. غولوبيف، وف . ميليكوف، وف . ترياندافيلوف، وغ . ايسيرسون والتي تناولت جميعها نظرية تحضير وتنفيذ العملية.

إن مصطلح "فن العمليات" الذي تقدم به أ .أ . سفيتشين عام ١٩٢٧، أخذ يحتل مكانته على صعيد العلم العسكري في غضون عقد الثلاثينات. والجدير بالذكر هنا أن مؤلفي المنشورات العلمية – العسكرية، الذين تناولوا الدهاء العسكري في تلك الحقبة عرّفوه كتمويه عملياتي. وكان مصطلح " التمويه العملياتي" قد ظهر لأول مرة في عام ١٩٢٧، وعبر المقال الذي كتبه ن . ي . فارفولوفييف بعنوان "المفاجأة العملياتية والتمويه" ونشرته مجلة "الحرب والثورة". وقد تحدّث المؤلف بصورة تفصيلية عن مكونات الدهاء العسكري وهي الإخفاء والتضليل، اللذان يعتبرهما المؤلف أيضاً من مركّبات التمويه العملياتي.

بعد ذلك بدأ يُستخدم مصطلح "التمويه العملياتي" على نطاق واسع في الصحافة والمؤلفات والمراجع العسكرية – النظرية. كما أن الخبرات والدروس التي حصل عليها الجيش السوفييتي منذ الأيام الأولى لإندلاع الحرب العالمية الثانية، زادت من الوضوح في تحديد مفهومي "الدهاء العسكري" و"التمويه".

لقد حصل التمويه على تفسير دقيق باعتباره جزءاً لايتجزء من مجموعة التدابير والإجراءات الخاصة بالدهاء العسكري. ومما يؤكد ذلك العديد من المراجع والمؤلفات الخاصة، التي من أهمها على سبيل المثال : "تمويه المقاتل" و"تمويه المقاتل شتاء" و"تمويه القناص" و"تمويه المواضع والمرابض الميدانية في الأرض السهلية" و"تمويه القوى الجوية والبحرية" و"تمويه الدبابات" و"تمويه مرابض رمي المدفعية" وغيرها.. هذا وقد أصدرت الإدارة العامة للهندسة العسكرية خلال سنوات الحرب ما يسمى ب "دليل التمويه الشتوي"، وتوصيات

كثيرة حول هذا الموضوع.

لقد أصبح تمويه المنشآت والأغراض الإدارية منذ الأيام الأولى للحرب مهمة من المهام الأساسية لكل دولة، شارك فيه أعداد كبيرة من العاملين الفنيين والإداريين في الدولة ومؤسساتها ودوائرها من الإقتصاديين والمهندسين المعماريين والمهندسين الفنيين وغيرهم من الإختصاصيين. ففي الدليل الذي أصدرته "الإدارة العامة للهندسة المعمارية" فقرات حول التمويه، جاء فيها مايلي : "وخلافاً للأغراض المتحركة والأغراض العسكرية فإن المنشآت الصناعية تتميّز بأبعاد ومقاييس كبيرة.... ولذلك يجب عند تمويهها العمل على تضليل العدو، عن طريق تغيير المنظر الخارجي للغرض، وإقامة أهداف وهيئات كاذبة ....، إن التمويه البدائي البسيط المنفذ بدون مراعاة القوانين الأساسية للإحساس بالشكل واللون، وبدون الفهم الصحيح لجميع الخبرات والدروس المستفادة من نظرية التمويه وتطبيقاتها، قد لا يؤدي إلى هدر جميع النفقات والمخصصات المرصودة للتمويه فحسب، بل وقد يؤدي في بعض الحالات إلى مساعدة العدو في كشف الأغراض الهامة التي يريدها" (٣٣).

أما بشأن موضوع الدهاء العسكري فقد تناولته العديد من المقالات والمذكرات والمؤلفات الخاصة. وقد روعيت الخبرات المستفادة من استخدام الدهاء العسكري خلال سنوات الحرب أثناء وضع أنظمة القتال وأنظمة عمل الأركان التي صدرت خلال سنوات الحرب العالمية الثانية، ولعبت الدور الهام في تحقيق النصر على العدو.

ففي مشروع نظام القتال لعام ١٩٤٣، والتوصيات الخاصة بخرق الدفاع المواضعي (الثابت) لعام ١٩٤٤ حدّدت القواعد والمبادىء الأساسية الخاصة بالتحضير الخفي للأعمال القتالية، وبتضليل العدو وخداعه. وقد جاء في نظام القتال والتوصيات المذكورة، أنه بنتيجة القيام بمجموعة من التدابير والإجراءات الخاصة بإظهار الأغراض وأعمال القوات الكاذبة، والخاصة أيضاً بإخفاء

(٣٣) "دليل التمويه والإخفاء" موسكو - ١٩٤٤ -صفحة ٣.

الأغراض والأعمال الحقيقية، وإشاعة المعلومات الكاذبة، يمكن خداع العدو وإرغامه على إتخاذ القرار غير الصحيح، الأمر الذي من شأنه أن يساعد على تنفيذ العملية بنجاح. وفي حال وجود تكافؤ في القوى والوسائط والشروط الأخرى، فإن المنتصر في الحرب (المعركة) هو ذلك الطرف الذي يستطيع التفوّق على خصمه بالخدعة والدهاء.

إن أنظمة القتال وأنظمة عمل الأركان، والتوصيات التي صدرت خلال سنوات الحرب، والتي اختيرت إبان المعارك والمواقع القاسية والمريرة، قدّمت التوجيهات المطلوبة واللازمة لتخطيط وتنظيم الإخفاء وتضليل العدو وخداعه، وإتخاذ التدابير والإجراءات اللازمة بهذا الشأن. وقد قدم كل ذلك مساعدة كبرى للقادة والأركانات على مختلف المستويات في تنفيذ التدابير والإجراءات المتعلقة بالدهاء العسكري.

لقد اهتمت القيادة العسكرية السوفييتية بمسائل الدهاء العسكري منذ الأيام الأولى لإندلاع الحرب. وقد جاء التوجيه العملياتي الذي أصدره رئيس الأركان العامة في الخامس من إيلول عام ١٩٤١، إن "حالات وظروف استخدام الدهاء العسكري بهدف جعل العدو يحصل على إنطباع كاذب عن تجمعاتنا ونوايانا، كانت فريدة من نوعها ولامثيل لها" (٣٤).

لقد خص العديد من القادة العسكريين السوفييت مسألة استخدام الدهاء العسكري بالأهمية على الدوام. وخير دليل على ذلك تقييم الدهاء العسكري الذي قدمه مارشال الإتحاد السوفييتي غ . ك . جوكوف خلال المؤتمر العلمي لدراسة عملية وارسو – لوزين – بوزنان في كانون الأول عام ١٩٤٥. وبما أن القواعد والأفكار التي طرحها جوكوف تمثل خلاصة التعبير عن أغنى خبرة في استخدام الدهاء العسكري إبّان الحرب العالمية الثانية، فإنه من المستحسن الإستشهاد بها كاملة :

---

(٣٤) ف.أ. ماتسولينكو "التمويه العملياتي للقوات" موسكو- ١٩٧٥ ص٧.

"لايأتي النصر بحد ذاته تلقائياً، إنما يجب إقتناصه"، ثم يردف قائلاً : "من أجل تحقيق النصر ينبغي على القائد أن يأخذ في الحسبان جميع العوامل التي تؤثر على سير المعركة. لقد أوليت الأهمية الخاصة، طيلة مدة الحرب، للمسائل التالية من أجل بلوغ النصر والتي أرى أهمها مايلي :

– المطلوب من القائد، قبل كل شيء، أن يعرف العدو معرفة ممتازة، وأن يقدّر بشكل صحيح خطط أعماله وقواه ووسائله وإمكانياته، وأن يعرف جوانب القوة والضعف لديه، ومايستطيع القيام به، ومالايستطيع القيام به، وبماذا يمكن إقتناصه.

– لكي يستطيع قادة القوات تقدير العدو بشكل صحيح، ولكي يعرفوه جيداً، يجب عليهم في أغلب الأحيان الإلتقاء بمرؤوسيهم وتقديم المساعدة لهم في إستيعاب العدو ومعرفة جميع جوانبه. لقد "ذكرت بشكل صحيح"، لأن بعض القادة يضخمون أحياناً قوى العدو وإمكانياته، وهذا يشكل خطراً واضحاً. إنّ هؤلاء القادة لم يستطيعوا التكّهن بمناورة العدو، التي خطط لها بهدف الخداع والتضليل.

– تتحقّق المفاجأة عن طريق خداع العدو وتضليله بصورة أساسية...... ولايجوز أبدا أن نعتبر العدو غبياً أو أحمقاً، ونطمئّن إلى أنه لايستطيع سبر نوايانا وخداعنا. إن العدو يلجأ إلى الخديعة أيضاً. ولذك لايجوز الوقوع في مصيدة العدو.... وينبغي التفكير والإمعان في جميع التفاصيل، لكي لانقع في "مصيدة" العدو فحسب بل ولنخدعه أيضاً.

– يجب البدء بالهجوم .... في أثناء التمهيد المدفعي، وفي توقيت جديد كلّ مرة. لأن هذا يجعل من الصعب على العدو أن يتوّقع ويسبر فكرتنا ويبدي المقاومة المطلوبة.

– يجب في غضون ذلك استبعاد التقليد والقوالب الجامدة في هذا المضمار. فالمدفعيون بنقلهم للرمايات إلى العمق، كانوا يقدّمون للعدو الإشارة ببدء

الهجوم لذا يجب إمتلاك ذلك الفن الذي بفضله يمكن إخفاء وتمويه إنقضاض الدبابات والمشاة بشكل جيد. وعلى كافة صنوف القوات أن تهتم بهذه المسألة.

– يجب تدريب المقاتلين على الأعمال السريعة والجريئة والخاطفة، ليستطيعوا دوماً سبق العدو في كل شيء، وليتمكّنوا من سبر دهائه وخداعه ومكائده، وليتجنّبوا الوقوع في شباك الخديعة" (٣٥).

لقد أشار ي.ف. ستالين إلى أهمية الدهاء العسكري للجيش السوفييتي خلال سنوات الحرب أثناء لقائه مع ونستون تشرشل في مؤتمر طهران. ويروي المترجم في الوفد السوفييتي ف. بيريجكوف أن ستالين استشهد بخبرات الجانب السوفييتي رداً على اقتراح تشرتشل الداعي إلى التفكير في سرّية التحضير لعملية "أوفرلورد". لقد قال" إننا في مثل هذه الحالات نخدع العدو، عن طريق بناء هياكل وهمية للدبابات والطائرات وبناء المطارات الكاذبة. ثم نحرّك هذه الهياكل بواسطة جرارات، وعندئذ يرفع الإستطلاع المعادي تقريره إلى قيادته عن هذه التحركات، وبالتالي يعتقد الألمان بأن التحضير للضربة يجري في هذا المكان بالذات. وفي بعض الأماكن والمواقع ينشر حوالي خمسة – سبعة آلاف هيكل دبابة وحوالي ألفي هيكل طائرة، وعدد كبير من المطارات الكاذبة. وبالإضافة إلى ذلك، نخدع العدو بواسطة الراديو والأجهزة اللاسكية، ففي المناطق التي لايتوقّع فيها الهجوم، يجري التخاطب بين المحطات اللاسكية. ويلتقط العدو هذه المكالمات، فيتشكل لديه إنطباع بوجود تشكيلات ضخمة من القوات في تلك المناطق، وتقوم طائرات العدو ليلاً ونهاراً بقصف هذه المواقع والأراضي، التي هي في الحقيقة خالية من القوات. وفي الوقت ذاته يخيم الصمت والهدوء على تلك المواقع التي يجري فيها التحضير الحقيقي للهجوم. وتنفّذ أعمال النقل والإمداد كلها" (٣٦).

للأسف الشديد لم يجر بعد الحرب العالمية الثانية استخلاص وتعميم

---

(٣٥) عن مجلة "الرسيل العسكرى" ١٩٤٦ العدد الرابع صفحة ٩-١٢.

(٣٦) ف. بيريجكوف "طهران -١٩٤٣" موسكو- ١٩٦٨، صفحة ٨٥ و ٨٦

للخبرات والدروس المستفادة من استخدام الدهاء العسكري بشكل كاف. ومن هنا فإن مسألة الدهاءالعسكري لم تلق التطوّر اللاحق. ومنذ مطلع عقد الخمسينات لوحظ من جديد، الخلط والتشويش في تحديد وتعريف المفاهيم : فبعض الكتّاب والمؤلفين أخذوا يرادفون الدهاء العسكري بالأساليب التكتيكية للفراسة وسرعة الخاطر (٣٧)، ومصطلح التمويه أخذوا يفسّرونه بمزيد من الشمولية والتعميم (٣٨).

لقد أشار مارشال الإتحاد السوفييتي غ.ك. جوكوف في أثناء تحليل وإجمال نتائج المشاريع التي جرت في منطقة بيلاروسيا العسكرية عام ١٩٥٥، إلى هذه الأخطاء والتقصيرات الجسيمة التي إنعكست على التدريب القتالي للقوات، فقد قال إن الخبرات والمهارات في تنظيم وتطبيق التدابير والإجراءات المتعلقة بتأمين المفاجأة من قبل القيادة والأركان والقوات بدأت تتلاشى في الوقت الحاضر، ولابد من إصلاح هذا الخلل الكبير والنقص الفادح في تدريب وإعداد القوات، ولاسيما إعداد الكوادر القيادية والأركانات. إذ ينبغي تدريب القوات على فن القيام بالحشود السرية وتمويه التحضيرات للأعمال الهجومية، والإنضباط الصارم، والنظام في استخدام الإتصالات اللاسلكية، وتقيد جميع الأفراد بقواعد الحيطة والحذر. بدون هذه الشروط التي لاغنى عنها، لايمكن القيام بعمليات هجومية ناجحة.

الصراع المسلح : هو صدام بين جانبين أو طرفين يقف الإنسان على رأس كل منهما. وعلى براعة الإنسان في استخدام معارفه وخبراته على أرض الواقع يتوقف سير الأعمال الحربية ومصيرها إلى حدّ بعيد. ومن وجهة النظر هذه، يمكن

---

(٣٧) انظر ن.كوستروف "الدهاء العسكري" في مجلة "من أجل الدفاع" ١٩٤٧ العدد ٧و ي.ف.كريكوف "فراسة الجندي" موسكو ١٩٥٨، و ف. سيليفانوف "الدهاء العسكري" في مجلة "الرسيل العسكري" ١٩٤٧ العدد ١٨

(٣٨) انظر كتاب "تمويه الجندي والسلاح والعتاد" موسكو ١٩٥٤.

أن نسمي العمليات والمعارك نزالاً وقتالاً بين العقول.

لقد أدرك القادة العسكريون الكبار أنهم كانوا يتفوقون على أعدائهم – في حال تكافؤ الظروف والمواقف – بمرونة الفكر وقوة الإرادة، وبالإستخدام المبدع والخلاّق لمباديء الفن العسكري، التي ساعدت على تحقيق النصر في كل موقف من المواقف. وفي الموقف المتشكّل كانوا يسخّرون – قدر الإمكان – العوامل والشروط غير المواتية لمصلحتهم ويفرضون على العدو إرادتهم وخطط أعمالهم، ويوجّهون اليه الضربات المفاجئة التي لايتوقعها ولايحسب لها الحساب.

إن الدراسة التي يتناولها هذا الكتاب، والقائمة على خبرات الحروب الماضية تبين مدى أهمية الدهاء العسكري في بلوغ النصر.

٢ - جوهر ومفهوم الدهاء العسكري

توجد في الوقت الحاضر تناقضات جوهرية في تعريف مفهوم "الدهاء العسكري" ويعود السبب في ذلك بالدرجة الأولى إلى الدراسة غير الكافية لهذه المسألة. لذا لابدّ لنا أولاً من العودة إلى تفسير معنى "الدهاء".

نجد في قاموس ف. دالي الجامع والشامل التعريف التالي : "الدهاء هو المهارة والفن وسرعة البديهة، والحيلة الذكية والمراوغة وحدّة الذهن ودقّة الإستيعاب والتصوّر، والبراعة في بلوغ الهدف بالمكر والخديعة في أغلب الأحيان(٣٩). والخداع كما جاء في قاموس ف. دالي هو "كذب يمثل الصدق ومكر وإحتيال.." (٤٠).

كما جاء في قاموس اللغة الروسية لمؤلفه س.ي. أوجيكوف أن "الداهية هو

---

(٣٩) ف. دالي "القاموس الجامع للغة الروسية الحية" موسكو – ١٩٨٠ المجلد الرابع صفحة ٥٤٨.

(٤٠) "القاموس الجامع للغة الروسية الحيّة" موسكو – ١٩٨٠ المجلد الثاني صفحة ٦٠٠.

الماكر الذي يخفي نواياه الحقيقية، والذي يسير على طرق غير مستقيمة وخداعية نحو تحقيق غاية ما، و"الخداع" في القاموس المذكور يفسر بمايلي : "إنطباع كاذب عن شيء ما، وتضليل ....(٤١)" أي أنّه يتداخل مع الدهاء إلى حدّ ما.

وجاء في القواميس والمعاجم والموسوعات الأخرى، أنّ "الخداع يتمثل في نشر معلومات كاذبة عن حقيقة أمر ما، أو في تحريف حقائق واقعة" (٤٢). "الخداع هو تضليل شخص ما عن قصد وحيلة، عن طريق نقل معلومات كاذبة اليه أو إخفاء الحقيقة عنه ...." (٤٣)، "وكذلك هو تلك الأفعال التي تهدف إلى صرف نظر شخص ما عمّا نهدف إليه، وتقوده عن قصد إلى الخطأ والضلال والضياع" (٤٤).

بعد إجمال ما تقدّم ذكره من التعاريف يمكن القول بأن "الدهاء" هو أفعال هدفها الخداع للحصول على نفع معيّن، أمّا في مجال العمل العسكري فإن الدهاء يشمل مفهومي "الدهاء والخداع" والذي يتمثل جوهره في المفاجأة بأعمال عسكرية ما، والتي تتحقّق عن طريق السرّية في تحضير هذه الأعمال وتضليل العدو عن حقيقة هذه الأعمال. وبكلمة أخرى يمكن القول بأن الدهاء العسكري يهدف إلى حجب وإخفاء الحقيقة، وفرض التصوّرات والإنطباعات الكاذبة على العدو حول هذه الحقيقة، مما يؤدي إلى خلق الظروف المواتية لبلوغ النصر بأقل قدر من القوى والوسائط والوقت.

يبرز الدهاء العسكري كشرط لابد منه من أجل تحقيق المفاجأة في أعمال

---

(٤١) "قاموس اللغة الروسية" موسكو١٩٨٤ لمؤلفه س.ي.أوجيفكوف صفحة ٣٦٧.٧٤٩

(٤٢) ف.بروكهاوز، ي.ايفرون "القاموس الموسوعي" إصدار عام ١٨٩٧ المجلد ٤٢ صفحة ١٢٥

(٤٣) "الموسوعة السوفييتية الصغرى" موسكو-١٩٣٠-المجلد الخامس ص٨٩١.

(٤٤) "الموسوعة الكبرى" ١٩٠٠ المجلد ١٤ صفحة ٢٤٢.

القوات. ومن أجل إستخدام العتاد الجديد والأسلحة الجديدة بشكل فعال ومباغت للعدو، واستخدام الأساليب والطرق الجديدة لخوض الأعمال القتالية. وبدون دهاء وخداع عسكري لاتوجد مفاجأة، وبدون مفاجأة لايوجد نصر.

إن تطور الثورة العلمية – التقنية يؤدي إلى إيجاد وسائل وطرق حديثة للصراع المسلّح. إلاّ أن هذه الأنواع الجديدة من الأسلحة، وأساليب الأعمال القتالية ليس لها أيّة فعالية وجدوى، إذا كان العدو على علم بها، وإذا لم يتّم إخفاؤها عنه بشكل جيد ومضمون.

وباستخدام أشكال وطرق الدهاء العسكري المختلفة، يمكن أن تحجب عن أنظار العدو وأسماعه صناعة أحدث نماذج الأسلحة والأعتدة القتالية، وتزويد القوات بها، والأساليب القتالية الجديدة، وتدريبات القوات وتحضيراتها للأعمال القتالية، وإشغال إنتباهه وقواه ووسائطه عن القوات الصديقة وعن مناطق الأعمال القتالية الحقيقية، وبذلك يتم خلق المزيد من الظروف المواتية للعمل. ومن أجل ذلك لابدّ من إيجاد وإستيعاب أحدث الطرق للإخفاء والتضليل. وهنا لايمكن الإستخفاف بالإجراءات والتدابير التي قد يتّخذها الطرف المقابل (العدو)، وبدهائه العسكري وخداعه ومكره.

إن الدهاء العسكري لطرف ما، يصطدم حتماً بالدهاء العسكري للطرف الآخر. إلاّ أن مصير المعركة والعملية، وحتى الحرب ككل، قد يتوقف على مستوى الفن القيادي، والدهاء العسكري في حال التكافؤ النسبي بالقوى والوسائط وظروف الموقف.

وهكذا فإن الدهاء العسكري، الذي يغطي الفن العسكري بكامله، يعدّ السلاح الأساسي لتحقيق النصر – الصغير والكبير– في الصراع من أجل المفاجأة وإمتلاك زمام المبادرة.

إن هذا التفسير للدهاء العسكري تؤكّده التعاريف والمعاني في عدد من المراجع والموسوعات. ففي موسوعة العلوم العسكرية والبحرية الصادرة عام

١٨٨٥ تعريف يقول : الدهاء العسكري – هو الفعل أو العمل الذي بواسطته نضلّل العدو عن أعمالنا الحقيقية .... والدهاء العسكري قد يكون مختلفاً ومتنوعاً إلى ما لا نهاية، وهذا يتوقف على إبداع الأطراف المتصارعة وحنكتها" (٤٥).

كما جاء في القاموس الموسوعي لمؤلفيه بروكهاوز وإيفرون : "يستخدم الدهاء العسكري عندما يرغب أحد الأطراف المتحاربة في تضليل الطرف الآخر بطريقة أو بأخرى، خافياً عنه نواياه ومواقعه وأعماله الحقيقية" (٤٦).

وقد جاء في الموسوعة الكبرى، التي أقرّت كمرجع رسمي للمنشآت التعليمية العسكرية في روسيا القيصرية : "الدهاء العسكري – وسيلة لخداع الخصم وتضليله عن النوايا والأعمال والظروف الحقيقية للقوات" (٤٧).

كما جاء في الموسوعة العسكرية الصادرة عام ١٩١١ التعريف التالي : "الدهاء العسكري يعني خداع العدو بطريقة أو بأخرى ، بهدف الإستفادة من ذلك لتحقيق النجاح. والدهاء بشكل عام، يكّمل القوة أو يضعفها، أو حتى يشلّها. وبالتالي فإنه يشكّل عنصراً لأي صراع كان، أو بالأحرى للصراع المسلّح. والفن العسكري يعترف دوماً بالدهاء العسكري كواحد من عناصره الأساسية ....(٤٨).

ومن وجهة نظرنا : فإن الدهاء العسكري في فن الحرب، يجب فهمه على أنّه النظرية والتطبيق للسرية والإخفاء وتضليل العدو وخداعه.

انه نظرية – لأن الدهاء العسكري – منظومة متكاملة من وجهات النظر القائمة على أساس إجمال وتعميم الخبرات التاريخية المستفادة من استخدام وسائل وأساليب الإخفاء وتضليل العدو في حروب الماضي، والخاضعة للتكّهن والتنبّؤ.

---

(٤٥)"موسوعة العلوم العسكرية والبحرية" إصدار عام ١٨٨٥مجلد ثاني،ص٢٣٢.

(٤٦)"القاموس الموسوعي" لمؤلفيه ف.بروكهاوز، ي.ايفرون المجلد (١٢) ص٨٤٣.

(٤٧) "الموسوعة الكبرى" – المجلد الخامس – ص ٣٠١.

(٤٨) "الموسوعة العسكرية"– إصدار عام ١٩١١ الجلد (٦)، ص٤٨٠.

وهو أيضاً تطبيق – لأن خبرات الدهاء العسكري التاريخية المعممة برمتها لابدّ منها حتماً، لتنفيذ المهمام في الوقت الحاضر.

بناء على التعريف المذكور أعلاه، نجد أن هناك شكلين أساسيين للدهاء العسكري هما الإخفاء والتضليل.

الإخفاء : ويمكن تعريفه ووصفه على أنه مجموعة من التدابير والإجراءات الرامية إلى إضعاف أو إزالة القرائن الدّالة على وجود القوات ونشاطاتها في التحضير للأعْمال القتالية. والهدف من هذه التدابير والإجراءات هو إعاقة العدو أو حرمانه نهائياً من إكتشاف القوات والتعّرف عليها، وتحديد إتجاهات نشاطها، وتأمين الوقاية من وسائط التأثير المعادية، والمحافظة على القدرات القتالية للقوات، ومن ثم تأمين المفاجأة في استخدامها.

تعتبر طرق تحقيق الإخفاء والسرية مايلي :

– المحافظة على قرارات وخطط القيادة طي الكتمان.

– الحذر الشديد والعمل المضاد لإستطلاع العدو.

– التمويه الجيد للقوات والعتاد والأسلحة؛

– الإستفادة من خصائص الأرض وتضاريسها، والوقت والفصل والأحوال الجوية والطقس؛

– التقيّد الصارم بالإنضباط ونظام الإخفاء والتستّر.

أما المحافظة على السرّ والحذر والتمويه فهي أهم طرق الإخفاء.

ينحصر العمل للمحافظة على القرار، بشأن الأعمال القتالية المزمعة والتحضير لها، طيّ الكتمان، في اتخاذ مجموعة من التدابير والإجراءات المتعلّقة بالحدّ من مصادر تسرّب المعلومات، وكذلك في التحذير من هذا التسرّب. وقد تكون هذه التدابير : التقليص الكبير، لعدد الأشخاص الذين يشاركون في إعداد القرار وإتخاذه وصياغته؛ وإيصال المهام إلى منفذيها بدون الكشف عن الفكرة العامة للأعمال؛ وتحضير عدد محدود جداً من نسخ الوثائق بمختلف أنواعها؛

وفرض نظام صارم على الإتصالات اللاسلكية والهاتفية؛ واستخدام الرموز والشيفرة .....الخ.

والمقصود بالحذر هو أعلى درجات الشعور بالمسؤولية من جانب كل عسكري فرداً كان أو جماعة، عن حفظ أسرار كافة المعلومات التي تحمل في طياتها معطيات عن توضّع وتحركات القوات، وأعمالها المقّررة، والرقابة الشديدة على المصادر المحتملة لتسرّب المعلومات.

التمويه : وهو أهم الطرق لتحقيق الإخفاء والتستر. وهو يتلخّص في إضعاف أو إزالة القرائن الدالة على مواقع ونشاطات الأغراض وأنواع العتاد والأسلحة والقوات وذلك عن طريق استخدام الوسائط الفنية والإصطناعية، والإستفادة من الهيئات والتضاريس والظروف الطبيعية.

يتوقّف نجاح التمويه إلى حدّ بعيد على الإستفادة المثلى من خصائص الأرض وتضاريسها (الغابات والأحراش، والمزروعات والوديان ....الخ) والهيئات الأرضية واللون والوقت، وظروف الطقس الملائمة (الأمطار والضباب وتساقط الثلوج والعواصف الثلجية ....الخ) والإنشاءات والحفريات المتوفّرة لإقامة السواتر الإصطناعية ووسائل التمويه النظامية والدخان والرذاذ، وطلي العتاد والأسلحة والأبنية بالألوان الملائمة للون الأرض أو البيئة المحيطة. كما يتوقّف أيضاً على مراعاة نظام التمويه الضوئي والصوتي.

من أجل تنفيذ مهام التمويه، تستخدم على نطاق واسع تلك العناصر مثل : العناصر البصرية، والرادارية، والضوئية، والحرارية، والصوتية، والأزديكية.

إن تنفيذ التدابير والإجراءات المتعلقة بالتمويه وإختيار الأساليب والطرق الأكثر نجاعة لذلك، هو واجب يلتزم به العسكريون كافة وعلى الدوام. كما أنّ التقدير الصحيح لإمكانات الإستطلاع المعادي يسمح بتطبيق تدابير التمويه بنجاح وبأقل قدر من الإنفاق والإستهلاك للقوى والوسائط والوقت.

إن الإخفاء لابد منه، بوجه خاص أثناء التحضير للأعمال القتالية، أي عند

إتخاذ القرار والتخطيط للعملية، وإسناد المهام إلى القوات، وتشكيل التجمعات الضاربة، وإحتلال هذه التجمعات لمواقع الإنطلاق .....الخ.

وفي الظروف الحديثة التي اتّسمت فيها الحرب بالأبعاد الكبيرة، و تعاظم إمكانات الإستطلاع الحديث، يصبح من الصعب جداً - بطبيعة الحال - تأمين الإخفاء الكامل لتحضيرات الأعمال القتالية والعمليات الضخمة؛ إلاّ أن إخفاء أبعادها وأحجامها الحقيقية وخاصة طبيعة وغاية التدابير والإجراءات المقرّرة، وفكرة الضربة الرئيسية واتجاهها، وبداية الأعمال القتالية الإيجابية (الهجومية) - هي مهام يمكن القيام بها، وعلى تنفيذها يجب أن يتركّز إهتمام القيادة والأركان.

إن الإخفاء هو أحد الشروط الأساسية لتحقيق المفاجأة. ولاتبرز فعالية المفاجأة إلاّ إذا أخفي عن العدو - كما يجب - قوام القوات، وتجمعاتها وأسلحتها ونواياها وتوقيت بدئها للأعمال القتالية. ومما يساعد على تحقيق المفاجأة أيضاً، الإخفاء الصارم والشديد لعمليات صنع الأسلحة الجديدة وتزويد القوات بها، وإيجاد الطرق الجديدة للأعمال القتالية؛ أي أن فعالية المفاجأة الناجمة عن استخدام وسائل وأساليب الصراع المسلح الجديدة لايمكن أن تتحقق إلاّ إذا كان العدو لايعرف شيئاً عن هذه الوسائل والأساليب.

وأخيراً يمكن القول بأن الإخفاء كان على الدوام وسيلة لتأمين البقاء والحيويّة للقوات. ولابد هنا من الإشارة إلى المثل القديم القائل : "إذا لم تكتشف لاتدمّر".

أما التضليل فإنه يتلخّص في خلق إنطباعات وتصورات كاذبة لدى العدو عن المواقع الحقيقية للقوات الصديقة، وعتادها القتالي وأسلحتها، ومواعيد وطبيعة أعمالها المقبلة. وتتشكّل هذه الإنطباعات بصورة عامة عن طريق لفت إنتباه العدو عمداً إلى وجود حقائق (أفعال) ومعلومات وأغراض، مع حجب إنتباهه في الوقت نفسه عن الأفكار والخطط الحقيقية للقوات الصديقة وأسلحتها ومعداتها ومناطق أعمالها القتالية المقرّرة والمواقع الحقيقية لتحشّدها.

إن تضليل الخصم يتّم - كما تؤكد خبرات الحروب - عن طريق الإعلام الكاذب بصورة أساسية، وكذلك عن طرق التظاهر بوجود قوات، وتمثيل وتقليد أعمالها ونشاطها وتمثيل وجود وتحركات المعدات القتالية والأسلحة.

إن الإعـلام الكاذب - ينحصر في النشر المتعمّد، وبمختلف الوسائل المتوفرة، للمعلومات المغايرة للحقيقة، عن القوات الصديقة وتجمّعاتها وقوامها وأسلحتها وقدراتها القتالية، وخططها وطرق أعمالها .... الخ. وتستخدم من أجل المعلومات الكاذبة وسائط الإتصال ومحطات الإذاعة والتلفزة والصحافة، وتسرّب إلى العدو الوثائق الكاذبة وتنشر الشائعات عن طريق السكان المحليين، ويكشف النقاب عن "الأسرار" الوهمية، وغير ذلك من الإجراءات والتدابير. وبفضل تطوّر وسائل الإعلام الجماهيري فقد ازدادت إلى حدّ كبير إمكانات تنظيم وتنفيذ الإعلام الكاذب في الوقت الحاضر.

إن التظاهر، هو في حدّ ذاته إظهار نشاطات القوات الصديقة للعدو، عن عمد وعن طريق التحركات لهذه القوات، وحشدها، ونشرها، والقيام بأعمال قتالية ملفتة للإنتباه وغير ذلك من الأعمال الأخرى. وتنفيذ الأعمال التظاهرية عن طريق استخدام قوى ووسائط مخصّصة لذلك في مناطق محدّدة، بهدف لفت إنتباه العدو اليه، وحجب إنتباهه عن الأعمال الحقيقية للصديق ونواياه.

إن التمثيل والتقليد - يتلخصان في إقامة أغراض كاذبة، وإيجاد قرائن دالة على وجود قوات وأهداف عسكرية وعتاد عسكري وأسلحة، وذلك عن طريق استخدام هياكل الدبابات الوهمية، والوسائط اللاسلكية الفنية والإلكترونية والضوئية والصوتية والدخانية والهندسية، وكذلك إقامة المنشآت بأنواعها (مقرات قيادة، حفر وخنادق، ومواضع ومساند ومرابض ....الخ).

إن الإستخدام البارع لكافة أشكال وطرق الدهاء العسكري يسمح - كما تؤكّد خبرات الحروب والدروس المستفادة منها - بتحقيق المفاجأة، وبالتالي - حرمان العدو من الأخذ بزمام المبادرة. وجعله يشك بالخطط التي أعدها، وفي

نهاية المطاف التأثير عليه نفسياً، وهذا يساعد على إثارة الإرباك والذعر في العدو. كما أن حجم وأبعاد هذا "الضرر" النفسي لاحدّ له، كما يقول م.ف. فرونزه، وقديفوق في حالات وظروف مَعينة الضرر المادي، الذي تلحقه الأسلحة الفتاكة.

قد يكون الدهاء العسكري على مستويات أو مقاييس مختلفة – على مستوى الحرب أو الحملة، أو العملية أو الموقعة أو المعركة – وبالتالي فإنّه ذو أهمية استراتيجية أو عملياتية أو تكتيكية.

الدهاء العسكري الإستراتيجي – هو النظرية والتطبيق في التحضير السرّي للقوات المسلحة استعداداً للحرب، أو القيام بعمليات استراتيجية، وتضليل العدو عن الأهداف الحقيقة للحرب (للحملة)، ومهام وخطط تنفيذ العمليات، وكذلك عن حالة القوات المسلحة و تسليحها وتجهيزها، وجاهزيتها وقدراتها القتالية.

أمّا هدفه، فهو خلق الظروف الأكثر ملاءمة للقيام بالمهام الإستراتيجية للحرب، وهو أيضاً من صلاحية القيادة السياسية – العسكرية، والإستراتجية العليا.

يسمح الدهاء العسكري الإستراتجي بتنفيذ مهمة تضليل العدو عن الإستعدادات والجاهزية للحرب أو العملية، وعن أهدافها ومهامها؛ وهو يساعد على مباغتة العدو وأخذه على حين غرّة وتكبيده أفدح الخسائر والإصابات، وكسب الوقت، وإنتزاع زمام المبادرة، وتحطيم روحه المعنوية.

الدهاء العسكري العملياتي : هو النظرية والتطبيق في التحضير السري والخفي لتجمعات القوات إستعداداً للقيام بالعمليات على مستوى الجبهة أو الجيش، وتضليل العدو عن أفكار هذه العمليات، وحالة ومواقع وجاهزية القوات، وتضليله عن الإتجاهات الرئيسة والإتجاهات الأخرى للعمليات وأهدافها ومهامها، وإستخدام الدهاء العسكري العملياتي هو من واجبات قادة وأركانات الجحافل.

الدهاء العسكري التكتيكي : هو النظرية والتطبيق في التحضير السرّي

والخفي للمعركة المشتركة وتضليل العدو عن وجود وحالة وجاهزية الوحدات والقطعات والتشكيلات وتسليحها، وطرق استخدام الوسائط النارية، وخوض الأعمال القتالية وهو من واجبات قادة وأركانات التشكيلات والقطعات والوحدات.

لكن على الرغم من تباين المهام المراد تنفيذها، فإنه من الصعب وضع حدّ فاصل بين الدهاء العسكري الإستراتيجي والعملياتي أو العملياتي التكتيكي، لأن الدهاء على هذه المستويات متداخل ومترابط بشكل وثيق ومتبادل.

تتحدّد نجاعة الدهاء العسكري بالزمن اللازم للطرف المقابل من أجل إتخاذ التدابير والإجراءات المضادة والتخلّص من الإرباك والتخبط، وتعويض الضرر المادي والمعنوي الذي لحق به من جراء ذلك. ففي العملية والمعركة، اللتين يجب أن تتحقق أهدافهما خلال فترات زمنية قصيرة نسبياً، يكون للدهاء العسكري الذي يربك العدو ويباغته، كقاعدة عامة، تأثير حاسم في سحقه، لأن العدو على هذا المستوى لايستطيع عملياً، التغلب على "الزلزال" المعنوي، والقيام بالمهام التنظيمية - الترميمية. وقد أدى الدهاء العسكري الإستراتيجي مراراً في الحروب السابقة إلى تحقيق النتائج الحاسمة لأن الأضرار كانت جسيمة، بسبب الأخطاء الإستراتيجية التي حدثت.

لايجوز المغالاة في تقييم أهمية الدهاء العسكري. كما أننا لانبالغ ونغالي إذا قلنا أن الدهاء العسكري هو في نهاية المطاف فن لتحقيق النصر على العدو. فهو يسمح بأخذ العدو على حين غرّة، وإرغامه على دخول المعركة (العملية، الحرب) بدون إستعداد كاف. أي شل إرادته وقوتّه، وحرمانه من إبداء المقاومة المنظمة.

لابدّ من وجود الدهاء العسكري في الظروف المختلفة، وعلى مختلف مسارح الأعمال القتالية وفي مواجهة أي عدو كان، إلاّ أن أيّ تقليد أعمى أو نمط قديم، أو أي "عقم" عملياتي، وأي غياب للإبتكار المبدع والخلاّق، يضعف الفن العسكري ويفرغه من محتواه. والدهاء العسكري - عدو لدود للقوالب الجامدة، والأشكال

والأختام الثابتة.

يتطور الدهاء العسكري في الوقت الحاضر طرداً مع تطور التقنية، والتسليح، والفن العسكري والعلم العسكري برمّته. ومن أجل التصدي الناجح لدسائس ومكائد المعتدي، مهما كانت هذه الدسائس، ومهما كان هذا المعتدي، لابد من توفر ظروف معينة أهمها : التنظيم الحديث للقوات وتزويدها بأحدث الأسلحة والتجهيزات، والجاهزية القتالية العالية والدائمة؛ والمهارة القتالية والإصرار والإجتهاد؛ والإستطلاع المنظم جيداً ومعرفة العدو على أكمل وجه؛ والإمكانيات التنظيمية والإبداعية للقادة، والعمل السياسي الهادف؛ وأخيراً التأمين الشامل والمنظّم للقوات على الدوام.

* * *

١ - في ملاحم العصور القديمة والوسطى

لقد كانت حرب طروادة التي جرت في منتصف القرن الثالث عشر قبل الميلاد أحد الأمثلة الأولى، التي جاءت في تاريخ هوميروس عن الدهاء العسكري في الأزمنة القديمة. حيث يحدّثنا هوميروس عن الكمائن التي كانت تظهر فيها، وبراعة المحاربين وشجاعتهم في هذه الحرب التي استمرت حوالي عشر سنوات، وانتهت بسقوط طروادة التي استولى عليها الأغريق بالحيلة والخديعة، عندما تظاهروا بأنهم رفعوا الحصار عن المدينة في الوقت الذي تسلل فيه جماعة من الإغريق إلى طروادة، متخفّين داخل حصان خشبي ضخم صنع خصيصاً لهذه الغاية. وفي الليل ترجّل الجنود من داخل الحصان وراء السور وانقضّوا على الحراس الذين بوغتوا وأخذوا على حين غرّة؛ ثم فتحوا أبواب المدينة ليدخلها جيش الأغريق. ومنذ ذلك الحين، أصبح حصان طروادة رمزاً للمكر والخداع بالنسبة للعدو.

تجدر الإشارة هنا إلى أعمال الحثّيين (القبائل التي استوطنت آسيا الصغرى) ضد الجيش المصري بقيادة رمسيس الثاني فرعون مصر في معركة قادش، التي جرت عام ١٣١٢ قبل الميلاد، حيث خرج الجيش المصري من قلعة جارا الحدودية، بعد أن دفع أمامه مفرزة خاصة، أفادت بأنه لاوجود للعدو، ولكن بعد تسعة وعشرين يوماً من المسير استطاع المصريون أن يداهموا معسكرا للحثّيين إلى الجنوب من قادش ويدمّروه. بعد ذلك لجأ إلى رمسيس جنديان من الحثيين، أفادا بأنهما أرسلا من قبل زعيمي قبيلتيهما اللذين لايرغبان في القتال إلى جانب الحثيين. وبناء على المعلومات التجسّسية التي قدّمها الفارّان، كان جيش الحثيين و حلفائه يرابط في منطقة مدينة تونيب على مسافة ١٥٠ كم عن قادش. وقد أكّدت تقارير مفرزة الإستطلاع إفادات الفارّين. ولكن الحقيقة هي أن

الحثيين رابطوا خفية إلى الشمال من قادش. وبعد أن لاحظ ملك الحثيين موفاتاللو تحركات المصريين نحو قادش، عبر بجيشه إلى الضفة اليمنى لنهر اوردنت وبدأ يتحرّك نحو الجنوب، وكان ذلك بمثابة مسير جانبي خفي بهدف شنّ الهجوم المباغت على الجيش المصري في أثناء مسيره. وبعد حدوث هذه الموقعة كانت خسائر المصريين فادحة إلى الحدّ الذي اضطر فيه رمسيس الثاني للتخلي عن اقتحام تلك القلعة الحصينة قادش، وعاد إلى مصر، مع العلم أنه أرغم الحثيين على الإختفاء داخل المدينة (٤٩). ومما يلفت الإنتباه هو أن أعمال الحثّيين كانت تجمع بين طرق تضليل العدو (الإعلام الكاذب عن طريق "الفارين") والإخفاء (التمويه البارع أثناء القيام بالمسير الجانبي).

كان لشعب السكيف القدماء – وهم قبائل استوطنت منطقة شمال البحر الأسود في القرن السابع قبل الميلاد – أثر بارز في حروب دول الرق والعبودية. فقد كان للطرق التي اتبّعوها في خوض المعركة وفي الدهاء العسكري تأثير ملموس في تكتيك الأعمال العسكرية التي حققت لهم العديد من الإنتصارات. والمنظرون العسكريون الذين درسوا الفن العسكري لقبائل السكيف نصحوا بالإستفادة من عناصر دهائها العسكري. لقد كان السكيف يبدؤون المعارك عادة بأعمال الكمائن البعيدة وبأعمال الإلتفاف على العدو، أو التراجع الكاذب مع الإنتقال المفاجىء إلى الهجمات المعاكسة. وعندما تنتهي المعركة بنجاح، كان السكيف يطاردون العدو حتى تدميره بالمامل. وعندما يتكبدون الهزيمة، كانوا لايتخلون عن الصراع ويواصلونه إلى أن يتحقق لهم تحوّل ما لصالحهم أو يدمّرون عن آخرهم.

في عام ٥٢٩ قبل الميلاد، عبر الجيش الفارسي نهر أوكس ودمّر أحد مفارز السكيف الأمامية. عندئذ أصدرت ملكة السكيف توميريس أوامرها إلى جيشها بالإنسحاب فوراً بهدف مشاغلة العدو وإستدراجه إلى عمق البلاد، ومن ثم تدميره

---

(٤٩) انظر كتاب "تاريخ فن الحرب" ي.أ.رازين– موسكو ١٩٥٥، المجلد (١) ص٥١ –٥٣.

هناك. وبالفعل قام الفرس الذين أسكرهم "النصر" الأولي، بمطاردة السكيف إلى أن أخذوا يتعثّرون في أحد الشعاب الجبلية الذي اختاره السكيف ليكون بمثابة مصيدة للفرس. وتحقق لملكة السكيف ما أرادت، إذ أن جيش الفرس أبيد عن بكرة أبيه، كما قتل ملكهم كير أيضاً.

ومن بين الأمثلة الأخرى على الدهاء العسكري، تلك الحرب التي خاضها شعب السكيف – حرب الإستقلال – ضد جيش الفرس الجرّار بقيادة ملكهم داريوس الأول، الذي حاول الإستيلاء على أراضي شمال البحر الأسود الخصيبة.

اتّخذ زعماء السكيف في مجلسهم الأعلى، قرار التصدّي للفرس ومواجهتم. ولهذه الغاية وضعت خطة لخوض الحرب على النحو التالي : عدم الدخول في المعركة الحاسمة بل التراجع عبر أراضي قبائل السكيف التي رفضت أن تحارب الفرس؛ وهكذا فإن الذين – كما يقول المؤرخ اليوناني هيرودوس – : "رفضوا أن يخوضوا الحرب ضد الفرس طواعية، كان عليهم الآن أن يحاربوهم رغماً عنهم". وأرسل السكيف لملاقاة الفرس كوكبة من أفضل خيالتهم لتهاجم الفرس.

بعد أن نفّذت هذه الكوكبة مهمتها بالإنقضاض على الجيش الفارسي، انسحب بإتجاه نهر تانايس (نهر الدون حالياً)، بينما سارع الفرس إلى ملاحقتها باستمرار عبر السهول المقفرة، تاركين وراءهم مؤخرتهم الخاوية. ولكي يباغت الفرس جيش السكيف ويدمّروه، قاموا بمناورة كبيرة عن طريق التقدم السريع نحو الشمال أولاً، ثم نحو الجنوب. غير أن السكيف لم يدخوا المعركة، وظلوا طيلة الوقت على مسافة مسير يوم واحد عن الجيش الفارسي. وأخيراً أرسل داريوس الذي أصيبت قواته بالتعب والإنهاك، رسولاً إلى ملك السكيف إيدانفيرس، ليقترح عليه : إما القتال وإما الخضوع والقبول بالإحتلال. غير أن ملك السكيف أجابه بأن السكيف لن يدخلوا المعركة قبل الوقت المناسب، طالما أن ذلك ليس في

صالحهم. وبعد أن وجد داريوس أن المكوث لمدة طويلة على أرضٍ غريبة لايسفر إلاّ عن إضعاف الموقف الإستراتيجي للجيش الفارسي، قرّر مرغوماً العودة إلى بلاده، بعد أن أخفقت حملته، وتكبد جيشه خسائر جسيمة.

لم تكلل بالنجاح حملات الفرس، التي قادها ملكهم داريوس بهدف إخضاع أثينا، ولطّخت الهزيمة الشنعاء التي ألحقها الأغريق بالفرس في ملحمة الماراثون التي جرت في عام ٤٩٠ قبل الميلاد، تاريخ هذا الملك.

تقدمت جيوش الفرس ورابطت على مقربة من موقع يدعى ماراثون، وهوعبارة عن سهل صغير محاط بالجبال والبحر.

هبّ القائد الأثيني ميليتاد، وتحرّك على رأس جيش قوامه أحد عشر ألفاً من المشاة لملاقاة جيش داريوس الذي يبلغ قوامه عشرين ألف رجل. كان ميليتاد يعرف جيداً تكتيك الفرس، ولذلك فقد نشر جيشه على مقربة من الطريق المؤدية إلى أثينا. وفي الممر الضيّق المتصل بوادي الماراثون، قام فالانج يوناني بقوام جنود الغوبليت (المشاة الثقيلة) المسلحين بالسيوف والتروس الثقيلة، بسدّ الفرجة السهلية التي عرضها كيلو متر واحد والواقعة بين سفحين جبليين تغطيهما الأشجار والأدغال. وأمر ميليتاد جنوده بردم الأشجار أمام الميمنة والميسرة. وبذلك نصبت التحصينات التي ضمت جنودا من المشاة الخفيفة المسلحة بالأقواس والسهام والمزاريق والمقاليع.

بعد أن احتل ميليتاد هذا الموقع بهذا الترتيب، استطاع أن يحرم الفرس من الخاصة الهامة التي يتميّزون بها، ألا وهي عمل الخيّالة التي تهاجم الأجناب، وكان ينبغي على خيالة الفرس هنا، التي كلّفت بتوجيه الضربة إلى ميسرة الأغريق وميمنتهم أن تعبر السفوح والموانع، لذلك فإنها لم تستطع المشاركة حتى في الهجوم الجبهي – على القطاع الضيّق الذي لم يتّسع لمشاة الفرس إلا بصعوبة

بقي الفرس والأغريق في مواجهة بعضهم البعض ثلاثة نهارات وثلاث ليال.

لم يحاول الأغريق تبديل مواقعهم المناسبة لهم، في حين سارع الأسبارطيون لنجدتهم وتقديم المساعدة اليهم. حاول الفرس الضغط على عدوهم لإجباره على التراجع إلى السهل، حيث يمكن للخيالة أن تعمل بحرية وفعالية. وبعد أن تبين لهم أن قدوم الأسبارطيين ليس من شأنه إلاّ تعزيز العدو، بدأوا الهجوم. وعندما اقترب الفرس من الإغريق وأخذوا يمطرونهم بوابل من السهام والحجارة، أصدر ميليتاد أوامره إلى جيشه ببدء الهجوم.

تقدّمت كتلة متراصة من جنود الإغريق إلى الأمام : النسق الأول الذي شكّل بتروس مقاتليه جداراً قوياً، تقدم خلفه حملة الرماح الطويلة المستعدون لتوجيه الضربة، ثم تلاه النسق الثاني فالثالث فالرابع. تحرك المقاتلون بخطوات سريعة في بادىء الأمر، ثم تحركوا عدوا للإسراع بتغيير أماكنهم التي تصيبها السهام، ولتشكيل حركة إندفاعية كافية لتوجيه الضربة.

كانت الضربة رهيبة. فالصفوف الأولى من جيش الفرس تحطّمت، إلاّ أن الفرس الذين دفعوا بقوى جديدة إلى ساحة المعركة أخذوا يضغطون على الإغريق. وعندئذ تقعّر قلب ترتيب قتال (فالانج) الإغريق وأصبح على شكل قوس. وفي هذه الأثناء اندفعت إلى الأمام ميمنة وميسرة الإغريق، اللتان أصبحتا كطرفي كمّاشة تحيط بالفرس، الذين أخذوا يولّون الأدبار باتجاه سفنهم الراسية على الشاطىء.

خسر الفرس في هذه الموقعة حوالي ٦٤٠٠ قتيل، أما خسائر الإغريق فلم تتجاوز ١٩٢ قتيلاً.

لقداستخدمت مراراً أساليب الدهاء العسكري في الحرب البيلوبونيسية التي استمرت من عام ٤٣١ إلى عام ٤٠٤ قبل الميلاد. ففي معركة جزيرة سفاكتيريا التي دارت عام ٤٢٥ قبل الميلاد، كان على ايفيكراط قائد جيش أثينا أن يسير بجيشه عبر منطقة يسيطر عليها جنود لاكديمينيون. كانت الجبال تنتصب على جانب الممر، والبحر على الجانب الآخر. انتظر ايفيكراط حتى جاء

يوم بارد أكثر من المعتاد، فاختار مجموعة من جنوده الأقوياء والشجعان وأمرهم بالتحرك خفية على إمتداد شاطىء البحر ثم توجيه الضربة المباغتة إلى وحدات الحراسة والمراقبة المعادية من الخلف وتدميرها.

كان الدهاء العسكري عنصراً أساسياً في خوض معركة أخرى، استطاع فيها قائد الأسطول الاسبارطي ليساندر أن يحسم الحرب البيلوبونيسية التي استمرت سبعة وعشرين عاما.

تمكن ليساندر من تضليل العدو، عن طريق تغيير إتجاه تحرك اسطوله، والوصول إلى مدخل مضيق الدردنيل، وبقي هناك ينتظر عودة سفن بونتي المحّملة بالقمح قاصدة أثينا. وبما أن إمداد أثينا بالقمح كان مهمة حيويّة وبالغة الأهمية، فقد سارعت قيادة أثينا إلى إرسال أسطولها بكامله والبالغ قوامه ١٨٠ سفينة لحراسة هذه السفن المحّملة بالحبوب. وطيلة أربعة أيام كاملة حاولت هذه السفن جرّ ليساندر لخوض معركة بحرية، إلاّ أنه كان في الوقت نفسه يسعى جاهداً إلى خلق إنطباع لدى خصمه بأنه في وضع ميؤوس منه. وفي اليوم الخامس وعندما اضطر الأثينيون للنزول إلى الشاطىء من أجل الحصول على الأطعمة، هاجم ليساندر أسطولهم، وبذلك استولى الاسبارطيون على ١٧١ حاوية حبوب وأسروا ثلاثة آلاف رجل.

يعدّ العمل القيادي الذي قام به إيبامينون قائد جيش تحالف فيف خلال موقعة ليفكترا التي جرت عام ٣٧١ قبل الميلاد، واحداً من الأمثلة الكلاسيكية على الدهاء العسكري في حروب العصور القديمة. فقد استطاع إيبامينون، بفضل الأعمال التظاهرية البارعة التي قام بها أمام جبهة العدو أن يقنع الأسبارطيين بقيادة ملكهم كليمبروت بأن جيشه لاينوي مهاجمة الأسبارطيين في يوم عيدهم. لكنه في الوقت نفسه، كان قد قام سراً بحشد قواته الرئيسية على الجناح الأيسر من أجل الهجوم بترتيب قتال مائل على المجنبة اليمنى للعدو. ومن أجل ذلك نظّم ايبامينون الجناح الأيسر في ترتيب القتال (الفالانج) على شكل مستطيل واحد

مضموم وعميق، يضم في قوامه ٣٢ صفاً بالجبهة و٥٠ نسقاً بالعمق. أما وسط ترتيب القتال وجناحه الأيمن فقد نظمهما بعمق ثمانية أنساق فقط، تعمل فيها المشاة الخفيفية، كما أن الكتيبة المختارة "المفرزة المقدسة" التي يبلغ تعدادها ٣٠٠ رجل أخذت مكانها على المجنبة اليسرى للمستطيل.

دارت الموقعة على النحو التالي : ما أن تحرك الأسبارطيون نحو معسكرهم للإحتفال بالعيد، حتى انقضّت خيالة ايبامينون على خيالة اسبارطة، وتعرض ترتيب قتال اسبارطة لهجوم النسق الضارب من الجبهة والكتيبة المختارة من الجانب والمؤخرة، فتقعّر وسطه ولاذ القلب والجناح الأيسر بالفرار تحت تأثير الضربة. واسفر ذلك عن فوز جيش تحالف فيف البالغ تعداده ٧٥٠٠ رجل بالنصر على جيش اسبارطة البالغ تعداده أحد عشر الفا.

استخدم فيليب الثاني ملك ماكدونيا الدهاء العسكري بنجاح كبير في أعماله القتالية. ففي حربه ضد مدينتي فيف وأثينا (عام ٣٣٨ قبل الميلاد) استطاع بأعماله التظاهرية ورسالته الكاذبة أن يصرف انتباه العدو عن مكان وإتجاه الهجوم الذي كان يحضّر له، ويضعف اليقظة والحذر لدى أعدائه. وفي أعقاب ذلك قام بمسير ليلي سريع وعبر الممر الجبلي حتى وصل إلى مؤخرة اليونانيين. عندئذ اضطّر العدو إلى التقهقر. ثم قام فيليب الثاني بمناورته الجديدة، مستفيداً من الهلع الذي أصاب عدّوه – حيث استدار بجيشه إلى الوراء لينقّض على العدو عبر ممر غير محمي، مما أسفر عن فرض سيطرة مكدونيا على اليونان.

كانت جيوش القدماء تمضي زمناً طويلاً في حملاتها التي تقوم بها. وكانت البحار والأنهار والخلجان تشكّل عوائق أمام هذه الجيوش في أغلب الأحيان. وكان عبور الموانع المائية يتم أحياناً على مرأى من الخصم، الأمر الذي كان يتطلب البحث عن الطرق المختلفة لإقامة المعابر، إلى جانب الإستفادة في هذه الأثناء، من مختلف الأساليب لتضليل العدو. وخير مثال على ذلك معركة نهر

هيداسب التي جرت عام ٣٢٦ قبل الميلاد.

فقد قام جيش الهندوس، بقيادة الملك بور،بنشر معسكره على الضفة اليسرى لنهر هيداسب، ليسد الطريق أمام الغزو الذي يستهدف بلاده. واحتشد على الضفة الأخرى (المقابلة) الجيش المكدوني. أمر الإسكندر المكدوني بنقل السفن من نهر ايند على الطريق البرية، بعد أن تم تفكيكها. ومن أجل تضليل العدو (الملك بور) عن زمان ومكان العبور، قامت كوكبة الخيالة مرات متعددة بأعمال تظاهرية في نقاط مختلفة لتوهم الخصم بأنها تحاول عبور النهر من هذه النقاط. عندها اقتنع العدو بأن الخطر وهمي (كاذب) وعاد إلى معسكره البعيد قليلاً عن النهر، ولم يعد الهندوس يأبهون لأعمال الخيالة المكدونية.

اختار الإسكندر المكدوني مكاناً للعبور الحقيقي بالقرب من جزيرة صغيرة مكسوّة بالأشجار وصالحة لتمويه عبور القوات بشكل جيد. وتم في الغابة تجميع السفن المفكّكة والجلود المحشوة بالتبن والقش، ثم قام قسم من قوات المكدونيين التي عسكرت قبل الهندوس بأعمال تظاهرية لمشاغلتها وتثبيتها على هذا القطاع. وتحت جنح الظلام استطاع الجيش المكدوني عبور النهر بنجاح بواسطة السفن والجلود ، مستفيداً من أصوات الرعد القوية، وبذلك نفّذت المهمة بنجاح.

وفي الحروب البونية التي دارت بين قرطاجة وروما، حاول القائد القرطاجي المشهور هانيبال أن يخوض الحرب في الظروف المناسبةله. ففي معركة نهر التيبر (عام ٢١٨ قبل الميلاد) كان الجيش القرطاجي يتمتّع بتفوّق عددي بسيط على جيش الرومان (٤٠ ألف مقابل ٣٦ ألف رجل)، ويضم في صفوفه قوات خيالة تزيد على خيالة الرومان بمرتين ونصف (أي عشرة آلاف فارس مقابل أربعة آلاف)، إلاّ أن هذا التفوق لايفيد إلاّ في معركة على أرض مكشوفة. ولذلك قرر هانيبال القيام بأعمال تظاهرية ليرغم العدو على الخروج من معسكره المحصّن إلى السهل حيث يخوض المعركة ضده. صدرت الأوامر إلى مفارز الجيش القرطاجي باجتياح القرى الواقعة حول المعسكر الروماني، والقيام بعدد من

الإغارات على الأنومان - حلفاء الرومان. فتوجه الأنومان بطلب المساعدة إلى القناصلة الرومان، الذين أرسلوا اليهم مفرزة (مجموعة) قوية استطاعت أن تدمّر عدداً من المفارز القرطاجية الصغيرة. وهذه "الإنتصارات" ضلّلت الرومان وجعلتهم يعتّدون بأنفسهم وبقوّتهم. وطالب مجلس الشيوخ في روما القناصل بمزيد من الأعمال الحربية الحاسمة.

وبعد أن عبرت خيالة هانيبال نهر التيبر، وصلت إلى معسكر العدو، فدفع الرومان بخيالتهم ومشاتهم الخفيفة لمواجهتها، ثم هاجموها فلاذت بالفرار. وخلال مطاردة الرومان للخيالة المتراجعة بدون تنظيم، أرسل هانيبال التعزيزات، وهي عبارة عن مفرزة صغيرة من المشاة الخفيفة، اشتبكت مع الرومان فدمّروها أيضاً. وهذا "النجاح" الثاني دفع الرومان إلى الخروج من معسكرهم بكامل جيشهم بهدف سحق القرطاجيين عن بكرة أبيهم. وعندما أصبحت الليجونات الرومانية في وسط السهل، دارت المعركة عند نهر التيبر، تلك المعركة التي انتزع فيها هانيبال زمام المبادرة وألحقت الهزيمة بالرومان.

لقد حضّر القرطاجيون لانتصارهم بدقة وبراعة، بعد أن أوهموا الرومان بأنهم أقوياء، من خلال إحرازهم النصر السريع والسهل. واستطاعوا بذلك استدراج الجيش الروماني إلى معركة في ظروف ملائمة للقرطاجيين، الذين استفادوا ببراعة وذكاء من خصائص الأرض والظروف الطبيعية.

كانت موقعة بحيرة ترازيمين (عام ٢١٧ قبل الميلاد) المخطط رقم - ١ مثالاً رائعاً على استخدام هانيبال لأساليب الدهاء العسكري. فبعد أن أدرك هانيبال أن الرومان يلاحقونه، قرر الإستفادة من ظروف الأرض المواتية له لنصب كمين للجيش الروماني. كان الطريق التي يسلكها خصمه يمر عبر قطّاع ضيّق واقع بين الجبال وشاطيء البحيرة. قام هانيبال بنشر قواته في القطّاعات العريضة من الطريق : في الوادي القريب منه نشر الغاليين، وفي الوادي الذي يليه رابط هانيبال على رأس المشاة الإفريقية والإسبانية. وكان على الرماة البالياريين

والمشاة الخفيفة الذين تخفّوا في سفوح الجبال، أن ينقضوا ويهاجموا الرومان. ومما ساعد على نجاح هذا الكمين وجود الضباب. تحرّك الرومان عند الفجر على إمتداد شاطىء البحيرة بترتيب المسير، دون أن يتخذوا أي إجراء في الخانق الواقع بين بحيرة ترازيمين والجبل. عندئذ دفع هانيبال بالمشاة الإسبانية والإفريقية لمواجهة رأس الرتل الروماني، ووجّهت القوات الفالية والخيالة ضربة سريعة إلى مجنبة ومؤخرة الرومان، بينما هاجم من الأعلى الرماة البالياريون والمشاة الخفيفة. عندها دبّ الذعر في صفوف الرومان، ودارت رحى الموقعة تحت ضربات القرطاجيين والضباب الكثيف. وبنتيجة هذه المعركة التي استمرت ثلاث ساعات تم تدمير الجيش الروماني. فقد قتل أكثر من ١٥٠٠٠ روماني وأسر الباقون (٥٠).

كان نضال سبارتاكوس (بين عامي ٧٤و٧٣ قبل الميلاد) – زعيم إحدى الإنتفاضات الكبرى في العصر القديم – يمثّل نوعاً آخر من أشكال وطرق الدهاء العسكري. وفي هذا الصدد يقول ف.ي. لينين : "كان سبارتاكوس أحد الأبطال الأفذاذ لواحدة من كبريات إنتفاضات العبيد منذ حوالي الفي عام مضى. فقد تعرضت الإمبراطورية الرومانية القوية القائمة على أكتاف العبيد بصورة عامة، لزلزال قوى من جراء الضربات التي تلقتها من إنتفاضة العبيد، الذين تسلّحوا تحت قيادة سبارتاكوس، الذي شكّل منهم جيشاً جراراً " (٥١).

في عام ٧٣ قبل الميلاد أدرك مجلس الشيوخ في روما حقيقة الخطر الذي تشكله إنتفاضة العبيد، وقرّر تدمير الثائرين والقضاء عليهم. غير أن ذلك لم يتحقق له إلاّ بعد سنوات طوال. وهاهي بعض أحداث ومراحل تلك الإنتفاضة.

اعتصمت مجموعة من الثائرين العبيد بزعامة سبارتاكوس في منطقة جبلية وعرة تدعى فيزوفي. بعد أن اكتشف الجنود الرومان أمر هذه المجموعة احتلوا

(٥٠) "تاريخ الفن العسكري" المجلد (١) لمؤلفه ي.أ.رازين ص ٣٠٩ – ٣١١.

(٥١) ف.ي.لينين "المختارات الكاملة" المجلد ٣٩ ص ٧٧.

المسلك الوحيد المؤدي إلى الجبل. وبدا لهم وكأن سبارتاكوس محاصر وليس له أي مخرج من الجبل. عندئذ قرّر زعيم العبيد أن يخدع الرومان، فصنع من أغصان كروم العنب حبالاً مجدولة، استطاع اتباعه النزول بواسطتها من أعالي سفوح الجبل، وهاجموا فجأة جنود الرومان من الخلف، مستفيدين من اطمئنانهم وعدم مبالاتهم (٥٢).

وفي حادثة أخرى، قرّر كراس الذي كان يتعقّب سبارتاكوس ويلاحقه، أن يحاصر القوى الرئيسية للثائرين، الذين احتشدوا في شبه جزيرة بروتيسك. وحفر الرومان عبر عنق شبه الجزيرة بكامله خندقاً كبيراً، يبلغ طوله حوالي ٥٥ كم وعرضه وعمقه حوالي ٤،٥م. وأقيمت سترة ترابية عالية ليدافع عنها عدد من الكتائب (الليجيونات). إلاّ أن هذا الخندق لم يُخِفْ العبيد الثائرين. فقد واجه الزعيم سبارتاكوس خصمه بأساليب الدهاء العسكري والخداع البارع. إذ أنه نشر على طول إمتداد معسكره هياكل تشبه الجنود المسلحين، وأمر بإضرام المشاعل في كل مكان. وانطلق بقواته خارجاً من المعسكر تحت غطاء ليل دامس وعاصف ومثلج. وبعد تغطية قسم من الخندق بالأشجار والتراب اجتاز جيش العبيد الخندق خفية واخترق خط الرومان المحصن وأنزل بهم الهزيمة.

تميزت الموقعة التي خاضها يوليوس قيصر (موقعة فارسال) عام ٤٨ قبل الميلاد، ضد خصمه بومبي إبّان الحرب الأهلية الرومانية، باستخدام أساليب الدهاء والخداع العسكري. فقد أشرك يوليوس قيصر جنود الكتيبة (الليجيون) الفتيان في دعم خيالته القليلة العدد، بعد أن دربهم جيداً على الأعمال المشتركة معها.

لاحظ يوليوس قيصر أن بومبي يحشد خيالته مقابل جناحه الأيمن، فأمر خيالته بأن تتفادى الضربة في حال إلتقائها بالعدو، وتنسحب إلى الوراء وتنتشر بشكل عمودي على خط الجبهة العامة، ست سرايا (كوجورات) قويّة من الخط الثالث لترتيب القتال وراء المجنبة اليمنى للمشاة، وتترك بقايا الخط الثالث

(٥٢) ن.أ.ماشكين "تاريخ روما القديم" موسكو- ١٩٤٨ ص ٢٦٥-٢٦٦.

كاحتياط مشترك. معتبراً أن مشاة الوسط المتمرسة في المعارك والمنتظمة على خطين من السرايا (الكوجورات) تستطيع الصمود أمام خطوط بومبي الثلاثة. وعندما قامت خيالة بومبي بمطاردة خيالة يوليوس قيصر كشفت مجنبتها للسرايا المرابطة وراء مجنبة يوليوس قيصر اليمنى، فهاجمتها سرايا قيصر، وبعد أن دحرتها أحاطت بالجناح الأيسر لمشاة بومبي ثم وجّه قيصر الضربة الأخيرة التي قرّرت مصير المعركة.

ظهرت في حروب عصر الإقطاع أشكال وطرق الدهاء العسكري الخاصة بذلك العصر. وهنا لابدّ من تركيز الإهتمام على موقعة مارهارتن (تشرين الثاني عام ١٣١٥م) التي دمّرت فيها المشاة السويسرية جيش ملك النمسا هيرتسوغ ليوبولد، الذي يتفوّق عليها بعشرة أضعاف. فقد بدأ الصدام فجأة، وانهمر على الرتل الرئيسي للقوات النمساوية سيل مفاجىء من الحجارة والحصى التي ألقت بها من أعالي الجبال مجموعة صغيرة من السويسريين الذين كانوا قد نصبوا الكمين لذلك. فدفع هيرتسوغ بفرسانه ليهاجموا هذه المجموعة الصغيرة من الشجعان، إلاّ أنّه كان قد هوجم بغتة من الجانب، من القوات الرئيسية السويسرية. قتل في تلك الموقعة حوالي ٣٠٠٠ فارس، والباقون ولّوا الأدبار.

أما في موقعة زامبا (١٣٨٦م) فقد دفع السويسريون بطليعة معزّزة بعيداً إلى الأمام، اكتشفها النمساويون وظنّوا أنها القوى الرئيسية لخصمهم. وفي الوقت الذي كان فيه فرسان هيرتسوغ ليوبولد المترّجلون يقاتلون تلك الطليعة، انحطمت القوات الرئيسية السويسرية خفية بترتيب القتال من جديد، بعد أن كانت بترتيب المسير، وأجهزت على فرسان ليوبولد.

تميّزت بالبراعة والدهاء أساليب الأعمال القتالية التي استخدمها الجيش التشيكي بقيادة البطل الوطني يان جيجكي (١٣٦٠ - ١٤٢٤م). بلغ تعداد جيشه ٢٠ ألف جندي. وخصّص لكل ١٨ -٢٠ شخصاً عربة خيل قتالية - عربة خيل بسيطة رباعية في بادىء الأمر، ثم عربة قتالية خاصة مجهزة بالتروس والسلاسل

لربط العربات بعضها ببعض. وعند الإصطدام بالعدو، شكّل من هذه العربات على جناح السرعة ما يسمى "واغنبورغ" على شكل مستطيل، وفصلت الخيول عنها، وربطت العربات بالسلاسل . وكان يشكّل داخل " الواغنبورغ" أحياناً خط ثان من العربات غير القتالية للحماية. وتعزز "الواغنبورغ" بخندق أو سور من الخارج في حال توفّر الوقت الكافي. كما أن بعض العربات كان يجّهز بالمدافع. وبذلك فإن الخـيـالة الذين قـاتلوا ضـد يان جـيـجكي لم يتـمكّنوا من التـأثيـر على هذه "الواغنبورغات" لأن جنود الأطقم استقبلوهم بصبيب المدافع. ثم تصدّوا لهجمات المغيرين من العربات، وعندما ييأس هؤلاء ويصابون بالتعب والإعياء، يُفتح بسرعة المخرجان المموّهان على جانبي "الواغنبورغ" باشارة من القائد، فتندفع المشاة القوية من المخرج الأمامي، بينما تخرج الخيالة من المخرج الخلفي، وتتوجّه كلتا المجموعتين نحو مجنبات الفرسان لتدمرهم (٥٣).

ظلّت فكرة "الواغنبـورغ" قـائمـة وصـالحـة لسنوات عـديدة. إلاّ أنّ دهاء الفرسـان ساعدهم على إلحاق الهزيمة بأطقم العربات. فذات مرة قام الفرسان بهجوم وهمي (تظاهري) ثم نكصوا على أعقابهم ولانوا بالفرار، فخرج أطقم العربات من تحصيناتهم (الواغنبورغ) وابتعدوا عنها ليلاحقوا الفرسان، وفجأة ارتدّ الفرسان نحو تلك التحصينات الخاوية واستولوا عليها.

كان القائد الفرنسي تورين (١٦١١ - ١٦٧٥) بارعاً في الأعمال الخداعية والتضليلية. وكانت المعركة هي الوسيلة الأخيرة بالنسبة له لسحق العدو، فقد كان كثير الإعْتماد على استراتيجية الإستدراج. وخير مثال على ذلك، حملة الشتاء عام ١٦٧٤/١٦٧٥م خلال حربه ضد الهولانديين. فبعد أن حصل تورين على التعزيزات بقوام ٢٠ ألفاً من المشاة و١٣ ألفاً من الخيالة، قسّم جيشه إلى عدة أرتال من أجل تضليل العدو، وتقدم نحو بيلفور بعد أن نشر الشائعات التي تقول ان هذا الزحف يهدف إلى الإستيلاء على المساكن الجديدة، وتطهير الأرض من

(٥٣) " مآثر التابوريت" (أي جنود المخيمات) لمؤلفه ب.ت. روبتسوف . موسكو ١٩٦١ صفحة ١٩ - ٢١.

المجموعات الصغرى التي عاشت فيها فساداً، وأخذت تعمل ضد خطوط المواصلات والإمدادات لجيشه.

سرعان ماستولى تورين على مدينة باكارا. ولكي يلفت إنتباه العدو، أرسل طلائعه إلى عدّة ممرات عبر جبال فوغيزى. وعندما وصلت مقدمة جيش تورين إلى بيلفور، ارتّد بسرعة نحو "مولهاوزن" ليدّمر قوات العدو على مراحل، والتي كانت تتحرّك للإلتقاء ببعضها البعض.

كان للأعمال القتالية التي قام بها القائد النمساوي يفغيني سافويسكي نصيب من أساليب الدهاء والخداع العسكري. ففي أثناء تحرير تورين عام ١٧٠٦م تخلّى عن الإتصال بمؤخرته والتّف حول المجنبة اليمنى للجيش الفرنسي، وتجاوزها. وخلال سبعة عشر يوماً، قطع جيشه مسافة ٢٧٠ فرسخاً (٥٤)، واستطاع أن يسبق الفرنسيين إلى وادي ستراديلا الضيّق. ورداً على الإلتفاف الذي قام به يفغيني سافويسكي أمرت القيادة الفرنسية باحتلال عدد من المواقع الجانبية، ولم يبق أمام قوات التغطية الفرنسية أي شيء يمكن عمله سوى التحرك على الضفة الشمالية لنهر البو وراء النمساويين. وبذلك أصبحت المبادرة بيد القائد النمساوي بالكامل. أخذ يفغيني سافويسكي يتحرّك بشجاعة بين قلعتي الكساندريا وتورتونا اللتين يحتلهما الفرنسيون والواقعتين على مسافة بعيدة فيما بينهما. رابط الفرنسيون بانتظاره قرب تورين، وكانت تحصيناتهم أكثر قوّة في القطاعات الممتدة نحو الشمال الغربي من تورين، وبين نهري دورا وستورا. لقد حسم يفغيني سافويسكي حملته هذه بموقعة فاصلة، إذ أنّه عبر نهر البو، وزحف نحو المنطقة الواقعة بين نهري دورا وستورا، والتي يتواجد فيها الفرنسيون. ودارت الموقعة بجبهة معكوسة، غير أن بسالة ودهاء يفغيني سافويسكي وحسميته حققت له النصر (٥٥).

---

(٥٤) الفرسخ = ١٠٨٠م.

(٥٥) "تاريخ امبراطورية لودفيغ الرابع عشر" لمؤلفه فولتير موسكو - ١٨٠٩ صفحة ٤٨٥ - ٤٨٧.

لقد تمثل ظهور الدهاء العسكري في عصر العبودية والإقطاع في الأساليب والطرق البسيطة وغير المعقدة، والتي لم تتطلب المزيد من النفقات والتكاليف المادية والوقت الطويل. وكان يكفي في بعض الأحيان القيام بعمل خداعي واحد – نصب كمين مثلاً – لتحقيق النجاح للموقعة أو المعركة. كما أنّ تأثير المفاجأة لم يكن طويل الأمد، أي أنّه كان يتجلى بصورة أساسية، في نتائج موقعة واحدة، ولم يترافق بخسائر مادية فادحة.

إن تلك الأمثلة التاريخية التي سبق ذكرها، تؤكد بكل وضوح وجلاء أنّه بفضل فن الدهاء العسكري، كان القادة العسكريون القدماء يحققون النجاح في المواقع والمعارك بانتصارهم على عدو متفوّق.

وأخيراً، فإن تلك الخبرات التي حصل عليها القادة العسكريون من خلال استخدامهم للدهاء العسكري طيلة مئات السنين، وفي غمار حروب الأزمنة القديمة، تشكّل كنزاً تاريخياً لابد من دراسته وتحليله بمزيد من الروّية والإهتمام.

٢ - في حروب روسيا القديمة

إن تاريخ روسيا غنى بالعديد من الأمثلة عن إنتصار الشعب الروسي والشعوب المتاخمة له في الحروب والمواقع دفاعاً عن الوطن، وفي صفحات هذا التاريخ أسماء القادة الروس المشهورين الذين حققّوا هذه الإنتصارات، بفضل شجاعتهم وحنكتهم ودهائهم العسكري.

لابدّ لنا قبل كل شيء، من التذكير بالأمثلة والدروس المفيدة من الصراع المسلح الذي خاضه القادة القدماء، والذين استخدموا في حروبهم تلك أساليب الدهاء العسكري، مثل التظاهر بالإنسحاب والفرار وإستدراج قوات العدو إلى المواقع المناسبة لهم ونصب الكمائن. وفي هذا الصدد يقول الامبرطور البيزنطي ماوريكي – مؤلف بحث "ستراتيجيكون" : "انهم كانوا يلقون بالغنائم التي يحملونها تحت تأثير البلبلة والفوضى، ويفرّون إلى الغابات، ثم ينهضون – عندما

ينقضّ المهاجمون على غنائمهم - ليوجهوا اليهم الضربات ويلحقوا بهم الضرر والإصابات" (٥٦).

اعترف القادة العسكريون البيزنطيون بتفوّق الشعب السلافي في دهائه العسكري من خلال اتّباع أساليبه في هذا المجال. فصاحب (المخطوطة) البحث - المؤرخ المذكور آنفاً - يقول : "أن مارتين وفاليريان جاءا، ذات مرة، لمساعدة فيليزار في أثناء قتاله ضد الغوط، ومعهما ألف وستمائة فارس. وكان معظم هؤلاء من قبائل الهون والسلاف والأنيتين، الذين كانت مساكنهم على الجانب الآخر لنهر الدوناي.

وجّه فيليزار، الذي اغتبط بهذه المساعدة، مفرزة بقوام ٢٠٠ خيال نحو تحصينات الخصم وقواته. وسارت هذه المفرزة بقيادة حارسه الشخصي المدعو ترويان من أجل استدراج الغوط. كان الخيالة يصعدون إلى الهضاب والمرتفعات كي يلفتوا اليهم إنتباه الخصم، ثم يطلقون عليه سهامهم، التي كانت تصيب أهدافها بكل دقة. وبعد أن استنفذ جنود ترويان مالديهم من السهام، ارتدّوا إلى الوراء تاركين للغوط حرية مطاردتهم. وعندما وصل هؤلاء إلى أسوار روما، بدأ الجنود الذين أخذوا مواقعهم خصيصاً لذلك، بإطلاق سهامهم على الأعداء المغيرين، عندئذ لم يجد الغزاة بدّاً من إيقاف المطاردة. ويقال بأنه قتل بهذه الخدعة ألف غوطي على الأقل" (٥٧).

على الرغم من أن السلافيين قاتلوا في موقف لم يألفوه من قبل، وفي ظروف جديدة بالنسبة لهم، فإن قبائلهم استخدمت أساليب رائعة في الدهاء العسكري، كانت جديدة على الرومان وعلى الغوط أيضاً. ولذلك فإن مؤلف "ستراتيجيكون" أشار بوجه خاص إلى خطورة الصراع ضد السلافيين. ويبدو أنّه، على ضوء خبراته الذاتية، وعلى أساس خبرات القادة العسكريين الآخرين،

---

(٥٦) "تاريخ الفن العسكري" لمؤلفه ي.أ.رازين المجلد الثاني، صفحة - ٣٩.

(٥٧) "صور من قيسارية-الحرب ضد قبائل الغوط" موسكو-١٩٥٠، المجلد (٢) ص ١٥٦.

أدرك أنّه ليس من السهل محاربة السلافيين، والأصعب من ذلك - الإنتصار عليهم. ويقول الأمبراطور ماوريكي صاحب المخطوطة أنه لمن الخطر الشديد القتال بشكل مكشوف ضد الشعوب السلافية الشجاعة والمتفانية والبارعة. ولذلك فإنه من الأفضل محاربة مثل هذه الشعوب بالفن العسكري وبالعقل والفطنة، والحيلة المدّبرة، والدهاء والخداع، وليس بالقوة المكشوفة.

في أثناء محاصرة مدينة توبر البيزنطية، اقتربت مجموعة كبيرة من قوات السلافيين إلى المدينة خفية واختبأت في ضواحيها. كما وصلت مفرزة صغيرة منهم إلى مكان المدينة وتقدّمت نحو بوابتها، وأخذت تطلق السهام على الحراس. فخرجت حامية القلعة من البوابة، آملة في إحراز نصر سريع على الخصم، وبدأت المفرزة بالإنسحاب لتلحق بها الحامية. عندئذ انقّض جنود الكمين (الذي نصب في الضاحية) على الحامية، وبعد أن عزلوها عن القلعة، دمّروها واستولوا على المدينة بدون صعوبة.

وقد حدث مراراً، أن أطلق السلافيون على أعدائهم المختبئين في الغابة أسراب النحل الجائع من الخلايا الخشبية. وعندما يصابون بالبلبلة والإرباك كانوا يهاجمونهم.

تميّز الفن العسكري للشعب الروسي في القرون الوسطى، بالإستخدام البارع لمختلف أنواع الدهاء العسكري. وتضم المخطوطات التاريخية العديد من الأمثلة والحقائق التي تؤكد ذلك، ومنها :

"في صيف ١١٥١، ابتكر ايزياسلاف سفناً عجيبة، لم يظهر فيها المجذّفون، بل المجاذيف فقط، لأن السفن نفسها كانت مغطاة بالألواح الخشبية. وتمركز المقاتلون بدروعهم ونبالهم وحرابهم على متنها، مع مقاتل في المقدمة وآخر في المؤخرة وكان يمكنهم التوّجه بالسفن إلى حيث يشاؤون، دون الإنعطاف بها" (٥٨).

---

(٥٨) "قصص وأقوال المؤرخين الروس" بين القرن الثاني عشر والقرن الرابع عشر ميلادي- موسكو- ١٩٧٣ ص٢٨.

يحتل الكساندر نيفسكي (١٢٢٠-١٢٦٣م) مكانة بارزة بين القادة العسكريين الروس القدماء. ومن بطولاته المأثورة سحق القوات السويدية في شهر تموز عام ١٢٤٠م (انظر المخطط رقم - ٢). كان الأسطول السويدي قد عبر نهر النيفا حتى وصل إلى مصب نهر ايغورا وتوقف لفترة محدودة. أما الغاية من وراء ذلك، فهي احتلال نوفغوراد الكبرى، لأن السويديين كانوا يظنّون بأنه لاتوجد هناك قوات روسية تشكّل خطراً يذكر عليهم.

حشد الأمير الكسندر قواته في نوفغراد، واتخذ قراره بالتصدي للعدو على جناح السرعة. إن إسراع الأمير الكسندر ياروسلافيتش في حشد وزج قواته يعود إلى رغبته في توجيه الضربة إلى القوات السويدية، وهي في نهر ايغورا ونهر نيفا، على أن تكون الضربة مفاجئة تماماً، لأن القوات السويدية كانت متفوقة على القوات الروسية تفوّقاً مطلقاً.

أخذ الأمير ألكسندر بعين الإعتبار، أن القسم الأكبر من سفن العدو يرسو قبالة شاطىء نهر النيفا المرتفع والمنحدر، وأن القسم الأكبر من القوات موجود على السفن. أما الخيالة فإن قوتها الرئيسية موجودة على الشاطىء. ولذلك كان على كوكبة الفرسان التابعة للأمير ألكسندر أن تقترب خفية وتوجه الضربة من الجنوب إلى وسط مواقع المعسكر السويدي. أما مجموعة المشاة التي شكّلت في نوفغوراد، فكان عليها أن تتحرك في الوقت نفسه، على إمتداد نهر نيفا خفية، مستفيدة من الغابات على هذا الإتجاه، وتهاجم العدو لتدّمر الجسور والسلالم التي تصل السفن بالشاطىء، وتقطع بذلك الطريق على الفرسان السويديين وتمنعهم من التراجع وتحرمهم من إمكانية الحصول على المساعدات والإمدادات. وفي حال نجاح هذه الخطة يتحول ميزان القوى على اليابسة لصالح الروس.

وبنتيجة الضربة المزدوجة على إمتداد نهري النيفا وايغورا، أصبح أهم قسم من قوات العدو محصوراً في زاوية تشكّلها الأنهار. ودفعت وحدات المشاة والخيالة الروسية التي اتصلت ببعضها البعض بالعدو نحو النهر، ودارت معركة

ضـارية، أثبت فـيـهـا الجنود الروس أنهم "بواسل من الطراز الأول"، واسـتطاع القائد العبقري ألكسندر ياروسلافيتش أن ينفذ فكرته الذكية الماكرة على أكمل وجه. وتقديراً لهذا الإنتصار الرائع أطلق الشعب الروسي على الأمير ألكسندر لقب "نيفيسكي" نسبة إلى نهر نيفا الذي دارت فيه المعركة.

في "مذبحة الجليد" المشهورة عام ١٢٤٢، قرر الأمير ألكسندر نيفسكي الإنتصار على فرسان ليفون بالحيلة والدهاء، بعد أن عرف جيداً تكتيك أعمالهم. وكـان فـرسـان الإقطاعـيين الذين يقـاتلون إفـرادياً يشكّلون عـادة نواة جـيش الصليبيين، التابعين لجماعة ليفون. كان هؤلاء الفرسان يقدمون على ترك ساحة المعركة في أي لحظة، إمّا بسبب الخوف، أو بسبب جمع الغنائم. ومما يذكر أن الحملات الصليبية كانت تكشف بكل وضوح ضعف قوات الفرسان. وكانت قوات الفرسان تستخدم عند دخولها الموقعة تشكيلاً خاصاً بها، يأخذ شكل السهم أو شكل المعين، والذي يطلق عليه الروس اسم "تشكيل الخنازير". أما الخدم فـإنهم يدخلون المعركة سيراً على الأقدام. وكانت المشاة مخصصة لتقديم المساعدة والمؤازرة إلى الفرسان. وقد تشكّلت المشاة عند قبائل التيفتون من سكان المدن - المستعمرة والمفارز التي ينتمي أفرادها إلى الشعوب المقهورة. وكان الفرسان أول من يدخل المعركة، أما المشاة فكانت تنتظر تحت أعلام ورايات خاصة بها. وإذا ما زجّت المشاة مع الفرسان في المعركة، فإن تشكيلها كان ملاصقاً للفرسان، لإن المشاة لم تحظ بالثقة التامة. وكانت تنحصر مهمة التشكيل (السهم) في تمزيق الوسط (القلب) الذي يضم القوات الأساسية لدى العدو. وباستخدامهم لهذه البنية (التشكيل)، استطاع الصليبيون أن يهزموا أكثر من مرة قبائل الليتوان واللاتفان والايستون. إلاّ أن الروس أوجدوا واسطة الصراع المناسبة ضد التشكيلة "تشكيلة الخنازير" المدججة بالدروع. وخير مثال على ذلك الملحمة التي دارت فوق جليد "البحيرة العجيبة".

كان يتألف ترتيب قتال القوات الروسية المعتاد في ذلك العصر، من الوسط

(القلب) القوي الذي يضم الفوج الكبير (تشيلو)، ومجنبتين (جناحين) أقل قوة. وهذا الترتيب لم يكن الترتيب الأفضل للصراع ضد (تشكيلة الخنازير) كما أن فرسان ليفون كانوا على علم بترتيب قتال الروس. لذا كان لابد للأمير ألكسندر نيفسكي من اللجوء إلى الحيلة والخدعة. فقام هذه المرة بحشد قواته الرئيسية على المجنبات، أمّا الوسط (القلب) الضعيف فقد أمره بالإنسحاب إلى جليد البحيرة. وبالإضافة إلى ذلك فقد نشر الأمير ألكسندر أفواجه على الشاطىء الشرقي المنحدر للبحيرة العجيبة، وقرب جزيرة فوروني كامن مقابل مصب نهر جيلشا. لقد كان اختيار هذا الموقع موفقاً، نظراً لأن العدو الذي تقدم فوق الجليد المكشوف كان محروماً من إمكانية تحديد مواقع القوات الروسية وتعدادها وقوامها.

في الخامس من نيسان عام ١٢٤٢م انقضّ الفرسان الألمان بكامل عددهم على قوات الأمير ألكسندر، عندئذ أخذ وسط (قلب) القوات الروسية بالإنسحاب، كما كان مقرراً له، باتجاه الجليد. فظنّ الصليبيون أن الملحمة حسمت لصالحهم، ولذلك أخذوا يطاردون المنسحبين، لكنهم تعرضوا لهجوم القوات الروسية الرئيسة فجأةمن الأجناب، وبذلك أُحكم الطوق حولهم. وبنتيجة هجوم الرماة -النبّالة دبّ الذعر والإرباك في صفوف الفرسان الذين تكدّسوا فوق الجليد. كما أن الجليد لم يصمد طويلاً تحت أثقالهم وأخذ يتصدّع، وبذلك أخذت قوات ليفون تغرق بين أكوام الجليد المحطّم، وأحرز جنود ألكسندر النصر المؤزر.

حدّد الأمير دميتري المسكوفي (١٣٥٠ - ١٣٨٩) بداية النضال المكشوف من أجل تحرير روسيا من نير المغول والتتار، حيث استطاع توحيد الدولة الروسية في موقف داخلي وخارجي معقّد. لكّن الأمراء الموشحين بالتيجان كانوا يرصدون بحقد وغضب سياسة موسكو وقوتها المتعاظمة لأنهم كانوا على يقين بأن الأراضي الروسية ستخرج عمّا قريب عن طاعتهم وسلطانهم، ولذلك فإن الأمير ماماي، الذي أصبح أميراً (خانا) "للقطيع الذهبي" قرر القيام بحملة

جديدة ضد روسيا ليعزز السلطة المتزعزعة للمغول والتتار على الشعب الروسي.

في صيف عام ١٣٨٠ ترددت الأنباء والشائعات في موسكو حول قيام ما يسمى بـ "القطعان الذهبية" (٥٩) بحملة جديدة هائلة. وفي هذا الوقت بالذات كانت قوات الأمير ماماي قد عبرت نهر الفولغا واحتشدت قواته الرئيسة عند مصب نهر فورونيج، وأخذ ماماي يتحرك ببطء باتجاه نهر الدون بانتظار قوات حلفائه.

عرض الأمير دميتري خطته في المجلس العسكري الذي عقده في موسكو، على النحو التالي : انتزاع زمام المبادرة، والحيلولة دون التقاء أعدائه، وتدميرهم على مراحل بدءاً بالمغول - التتار. وهكذا فإن الخطة أخذت في الحسبان إمكانية توجيه الضربة ليس إلى المغول - التتار فقط، بل وإلى حلفائهم حسب ظروف الموقف.

في ٣١ تموز، احتشدت قوات دميتري في كولومن، وأرسل الأمير دميتري مفرزة استطلاع قوية لملاقاة ماماى وبذلك فإن الإستطلاع كان يقدم المعلومات تلو الأخرى له عن تحركات قوات الأعداء.

أمر دميتري قائد جيشه فيليا مينوف بأن يجمع الجنود المتخلفين، وانطلق بقواته في مسير سريع دون أن يترك للقوات أي قسط من الراحة، فقطع مسافة تزيد على ٢٠٠ كم بين نهري"اوكا" ودون خلال سبعة أيام. وفي السابع من إيلول نصبت القوات الروسية بين مصب نهر نيباريادفا وقرية تاتينكا المعابر والجسور وحدّدت مواقع المخاضات. وفي ليلة ٨ ايلول عبرت هذه القوات إلى الضفة اليمنى لنهر الدون. وفي أثناء العبور علم الأمير دميتري أن العدو أصبح على علم بوصول القوات الروسية إلى نهر الدون، وأن قوات ماماي تسير مسرعة نحو هذا النهر بهدف منع القوات الروسية من عبوره، الأمر الذي يكسب قوات ياغايلو - أمير ليتوف الوقت للوصول. وعلى ضوء ذلك أسرع دميتري في عملية العبور. وتمركزت القوات الروسية التي عبرت النهر في سهل كولكوف. وهكذا فإن ماماي

(٥٩) "القطعان الذهبية" لقب أطلقه الروس على قبائل التتار والمغول.

لم يتمكن من إعاقة الروس في عبور النهر، وأمضى الأعداء ليلة الثامن من ايلول في سهل كوليكوف بعد أن تمركزوا في تراتيب القتال وجهاً لوجه مع القوات الروسية.

بني ترتيب قتال القوات الروسية بالشكل الذي يمكن معه إرغام التتار على الهجوم جبهياً ومنعهم من زج كل قواتهم في المعركة دفعة واحدة. وهذا أجبر ماماي على تقسيم قواته إلى أجزاء (المخطط رقم - ٣). وبنتيجة ذلك فقد التفوق العددي للتتار قيمته، والذي كان ماماي يعلق عليه الآمال.

تمركزت القوات الروسية في سهل كوليكوف الذي يحده من الشمال نهر الدون ونهر نيبريادفا، ومن الغرب والشرق الوهاد وروافد نهري الدون ونيبريادفا. كما استندت مجنبات الجيش الروسي إلى هذه الروافد. وكان يرابط أمام القوات فوج الطليعة ووراءه الفوج الكبير المؤلف من المشاة والخيالة، وتمركز على الأجناب فوجا الميمنة والميسرة. إضافة إلى ذلك، تمركز الإحتياط الخاص وراء المجنبة اليسرى للفوج الكبير مباشرة - وتخفى فوج الكمين (الإحتياط العام) في الغابة وراء المجنبة اليسرى لترتيب القتال برمته. وقبل أن يتخذ الأمير دميتري قراره، قام بتنفيذ الإستطلاع جيداً، وراقب عن كثب تجمعات العدو وتحركاته، وعلى ضوء ذلك سبر فكرة ماماي وحدّد فكرته لمواجهتها.

في الساعة الحادية عشرة من يوم ٨ ايلول تقّدم التتار نحو الروس واضعين المشاة في وسطهم والخيالة على مجنباتهم، وبدأت المعركة بالمبارزة بين البطلين العملاقين بيريسفيت وتشيلوبيا، وقد قتل الإثنان. وفي الساعة الثانية عشرة اصطدم فوج الطليعة الروسي بقوات التتار المتفوقة وبدأ بالإنسحاب نحو الفوج الكبير. وجه التتار كل جهودهم نحو الوسط ونحو المجنبة اليمنى لترتيب قتال الروس. صمد الفوج الكبير وفوج الميمنة. عندئذ عبر التتار نهر سمولكا دون أن يخفّفوا من ضرباتهم عن الوسط وهاجموا فوج الميسرة. واستمرت المعركة حتى الساعة الثالثة ظهراً. غير أن فوج الميسرة بدأ بالإنسحاب وهويعيق زحف

التتار بصعوبة، وقدكشف بذلك مجنبة الفوج الكبير. وعلى الرغم من أن الجنود الروس كانوا قد عُزلوا عن معابر نهر الدون فقد أبدوا مقاومة شديدة وخارقة.

تضعضع ترتيب قتال خيالة التتار بسبب تضاريس الأرض وصمود الجنود الروس. وعند إحاطتها بالمجنبة اليسرى، وضعت خيالة التتار مؤخرتها ومجنبتها تحت ضربة فوج الخيالة الروسي، وكان هذا مفاجأة تامة للعدو. "وأسفاه، الروس يخدعوننا من جديد ضعفاؤهم يقارعوننا، وأقوياؤهم يقهروننا" ..."ولاذ التتار بالفرار، وأحرز الروس النصر عليهم" (٦٠).

حصل دميتري على لقب الشرف "دونسكي" نسبة إلى نهر الدون، تقديراً على هذا الإنتصار. وقد أظهر هذا القائد فنّه العسكري الرائع ودهاءَه العسكري في تلك الموقعة مثل : الإستطلاع الحيني والخفي، وحرمان العدو من المبادرة في العمل، والنشر الخفي والبارع للقوى، والمفاجأة والحسمية في العمل.

أثبت حاكم أوكرانيا بوغدان خميلينتسكي (١٥٩٥–١٦٥٧م) أنّه قائد عسكري بارع وحاسم إبان حرب التحرير التي خاضها الشعب الأوكراني وشعب روسيا البيضاء في الفترة مابين ١٦٤٨و١٦٥٤، وقد اقترن باسمه ظهور الإستراتيجية والتكتيك لجيش الفلاحين الكوزاك. فقد استخدم على نطاق واسع في حملاته فكرة تفريق القوى المعادية، وتطويقها وتدميرها على مراحل. كما أدرك بوغدان خميلينتسكي حق الإدراك أهمية الدهاء والخداع في تأمين الضربة المفاجئة والموجهة إلى العدو، واستفاد من هذا الدهاء مراراً خلال تلك الحرب.

لقد قاتل بوغدان خميلينتسكي بأشكال وطرق مختلفة، إنطلاقاً من الموقف المتشكّل. ففي ضواحي مدينة كورسون، وفي الخامس عشر من آيار عام ١٦٤٨م (المخطط رقم –٤) سار بوغدان خميلينتسكي على رأس جيش قوامه ١٥ ألف جندي، واقترب من معسكر العدو المحصن والقوي الذي يضم ٢٠ ألف رجل بقيادة الأميرين البولونيين بوتوتسكي وكالينوفسكي، ونشر قواته على هضبة

---

(٦٠) "مختارات من التاريخ العسكري الروسي" لصاحبها ل.غ.بيسكروفني – ص٤٢

مرتفعة أمام معسكر العدو على شكل هلال، وأخذ يتظاهر بأنه يحضّر لهجوم بقوات كبيرة. وفي الوقت نفسه التحق بجيشه خفية عن البولونيين مفرزة من الكوزاك قوامها ستة آلاف جندي بقيادة ماكسيم كريغونوس الذي احتلّ غابة كثيفة في إحدى الوديان ونشر مجموعات الكمائن والمدفعية على جانبي الطريق وأقام الحواجز والحفر على الطريق.

بعد أن أصبح البولونيون على ثقة بتفوق العدو، غادروا معسكرهم المحصّن في السادس عشر من آيار، وبدؤوا بالإنسحاب إلى بوغوسلاف. وما أن دخلت القوات البولونية في الغابة، حتى واجهتها نيران مدفعية كريغونوس وهجوم مفرزته المفاجيء من الأجناب وكوزاك بوغدان خميلينتسكي من الأمام. وبنتيجة ذلك تّم سحق قوات بوتوتسكي وكالينوفسكي في السابع عشر من آيار (٦١).

دارت موقعة كبرى في ضواحي بيليا فتسي، في الفترة بين ٢١ و٢٣ ايلول من عام ١٦٤٨ : كانت قوات الجيش البولوني تتمركز في معسكرها المحصّن، فشّن عليها بوغدان خميلينتسكي هجومه السريع والمندفع ثم بدأ بالتراجع المبيّت (عن قصد)، سعياً وراء إخراج العدو من معسكره. لقد انطلت الخدعة على العدو الذي بدأ بمطاردة قوات خميلينتسكي لكن القائد خميلينتسكي وجّه ضربة قوية إلى مجنبات ترتيب قتال البولونيين بالأفواج المرابطة في أماكنها خصيصاً لذلك والمتمركزة خفية عن العدو. واستمرت المعركة حتى حلول المساء. وبعد أن خسر البولونيون عدداً كبيراً من جنودهم، اضطرت قواتهم إلى التقهقر، ونظّم بوغدان خميلينتسكي عملية مطاردتها. وفي نهاية الأمر وقعت هذه القوات في الفخ الذي نصبته لها مفرزة كريغونوس على شكل كمين. وبنتيجة هذه الضربة، وضربة أخرى من الخلف تم تدمير الجيش البولوني بكامله تقريباً. واستولى خميلينتسكي على قافلة كبيرة من العربات و٨٠ مدفعاً للعدو، وعلى العديد من التجهيزات والمعدات (٦٢).

---

(٦١) "تاريخ الفن العسكري" لمؤلفه ي.أ.رازين الجزء الثاني ، ص ٣٢٦-٣٢٨.

(٦٢) "تاريخ الفن العسكري" لمؤلفه ي.أ.رازين المجلد الثاني صفحة ٣٢٩.

استخدم بوغدان خميلينتسكي بذكاء وبراعة طريقة التضليل الإعلامي، حيث نشر شائعات تقول أنه توجّه إلى جزيرة بوتسك الوعرة ورابط فيها، وقد تحصّن جيداً بالأبراج الخشبية والخنادق والأسوار، وكدّس لديه كميات كبيرة من المؤونة والإمدادات وهذا مابلّغه أحد الضباط إلى بوتوتسكي. وفي الحقيقة، كان بوغدان خميلينتسكي يمضي معظم وقته في سيتشي ويقوم بتحركات كثيرة وفي ظروف صعبة بغية تدريب جيشه وإكسابه الخبرات الكافية (٦٣).

في أثناء إقتحام التحصينات المعادية في ضواحي لفوف وزاموستي، أظهر الكوزاك العاملين تحت إمرة خميلينتسكي قدراً لايستهان به من الدهاء والإبتكار. فقد قاموا بصنع "أبراج إقتحام" عالية تارة، وحفروا الأنفاق تحت تحصينات العدو ووضعوا فيها عبوات من البارود تارة أخرى، وكانوا يضعون على ظهور خيولهم هياكل كاذبة (دمى) لفرسان يرتدون زي الجنود.

لجأ أنصار خميلينتسكي وتلاميذه إلى الدهاء العسكري واتّبعوا أساليبه بحنكة وذكاء. ففي أثناء الدفاع عن فينيتسا ضد البولونيين، قرّر العقيد بوغون أن يوقع خصمه في المصيدة قبل وصول النجدة إليه. ترك بوغون حامية صغيرة في فينيتسا وتحرّك بقواته لملاقاة البولونيين، ودارت الموقعة على نهر مغطّى بالجليد. وما أن تعرّض الكوزاك لضغط من جانب العدو ولضرباته القوية حتى بدؤوا بالإنسحاب والتراجع. فتعقبهم البولونيون مهلّلين دون أن يعيروا أي اهتمام للتبن القذر المنثور في كل مكان تقريباً. وعندما وطأت أقدامهم على هذا القش أنهار الجليد، من تحتهم وتبين أن بوغون قام مسبقاً بفتح العديد من الثغرات في الجليد. وبعد أن تشكّلت فوق هذه الحفر الجليدية طبقة صقيع رقيقة، قام الكوزاك بتغطيتها بالتبن كي يقع فيها الأعداء.

في تموز عام ١٦٥١، وجدت قوات الكوزاك نفسها في موقف صعب للغاية بنتيجة خيانة حاكم القرم. لذلك شرع الكوزاك بالإنسحاب بعد أن أحاطت بهم

---

(٦٣) "بوغدان خميلينتسكي" لمؤلفه ك.أوسيبوف – موسكو ١٩٤٨ صفحة ١٢٤.

جيوش التتار والبولونيين. وهنا برز دور الدهاء العسكري كعامل حاسم في الحرب. فبعد أن قام بوغدان خميلينتسكي بربط ثلاثة صفوف من عربات النقل بواسطة السلاسل، وضع المشاة والمدفعية على العربات، والخيالة في الوسط، وبهذا الترتيب أخذ يحاول فك الحصار والخروج من الطوق. اعتمدت المشاة البروسية المرتزقة على تروسها ودروعها وتصدّت لهذه القلعة المتحركة، لكنّها أبيدت.

في مطلع عام ١٦٥٥، اقترب الجيش البولوني وقوات التتار المتحالفة معه من مدينة أومان. وهنا ظهرت مقدرة العقيد بوغون على الإبتكار والخداع العسكري : فقد أمر بصبّ الماء على السور المحيط بالمدينة – فتشكّلت طبقة من الجليد على السور، مما أدّى إلى تزحلق الجنود البولونيين عن هذا السور وسقوطهم. وفي الوقت نفسه، توجّه خميلينتسكي على رأس جيش قوامه ٢٥ ألف رجل إلى أومان لنجدتها. غير أن العدو الذي كان يمتلك التفوّق العددي الكبير، وجّه اليه ضربة قويّة، وكاد أن يسحق هذا الجيش. وهنا بادر بوغون أيضاً بإنقاذ الموقف : أي أنه عندما علم بأن القوات التترية والبولونية تتحرّك لملاقاة خميلينتسكي خرج سراً من قلعة أومان، وأخذ يلاحق تلك القوات، وفي أخطر اللحظات وأكثرها حرجاً، وجّه الضربة المفاجئة إلى مؤخرة العدو الذي أصابه الذعر والهلع.

لقد حظي الدهاء العسكري بأهمية كبرى من جانب بطرس الأول أيضاً، *الذي كان يرى أن مهمة الفن العسكري هي إيجاد القدرة على إقحام العدو في* موقعة حاسمة "بالعمل السهل والدماء القليلة". وفي معرض حديثه إلى الضباط الذين طالبهم بسرعة البديهة والبسالة قال بطرس الأول : "الأساليب والأصول مدوّنة في الأنظمة لكن هذه الأنظمة لاتتحدث عن الزمن، وعن الظروف والحالات، ولذلك لايجوز الوقوف عند حدود نظام القتال، كوقوف العميان أمام الجدران".

في أثناء حرب الشمال، اقترح بطرس الأول إجلاء سكان النطاق الحدودي

إلى داخل البلاد من أجل المحافظة على السرّية. وقد جاء في الأمر الذي أصدره القيصر بهذا الشأن مايلي : "في كل شعب خونة وشرفاء، أقوياء وضعفاء. فمن أراد أن يكون شريفاً وصادقاً معناً، نرسله فوراً إلى قازان لنستفيد من خبراته وأعماله، ومن تساوره نفسه في التعاون مع أعدائنا، نرسله فوراً إلى أرخانجلسك، ومن هناك تحمله السفن إلى أي بلد يشاء".

في أثناء التحضير لموقعة بولتافا، التي جرت في السادس والعشرين من تموز عام ١٧٠٩، اتخذ المجلس العسكري قراره بأن يكون الجيش إبتداءً من ليلة ٢٧ تموز جاهزاً للحرب. إلاّ أن بطرس الأول علم في الساعة الخامسة من صباح ٢٦ تموز بأن أحد ضباط الصف من فوج سيمينوف قد خان الأمانة وأفشى السرّ، وأن هذا العسكري هو الماني الجنسية. عندئذ استدعي المجلس العسكري للإجتماع من جديد، واتخّذ القرار الداعي إلى إدخال التعديلات على تنظيم الجيش. ونظراً لأن العميل كان قد أخبر السويديين بأن جنود القيصر الأغرار سيرتدون الثياب الرمادية، وأن السويديين بناء على ذلك سيعملون على تحطيم ترتيب قتال هؤلاء الأغرار، فقد أمر بطرس الأول بأن يرتدي الأغرار الثياب الخضراء، في حين يرتدي فوج نوفغورد – الفوج الأقوى بين الأفواج الأخرى – الثياب الرمادية. وكان لهذا الإجراء دوره الكبير في مجرى المعركة ومصيرها.

كان بطرس الأول يراقب سير الموقعة بكل حذر واهتمام، وفجأة تلّقى المعلومات التي تفيد بأن قوات سويدية بقيادة المدعو روس عزلت عن القوى الرئيسية، وهي تختبىء في الغابة. وبما أن بطرس الأول يعرف جيداً إمكانيات خيالته، فقد أمر مينشيكوف بالتقدم خفية على رأس خمسة أفواج من الخيالة وخمس كتائب من المشاة لتوجيه الضربة المفاجئة إلى الرتل المعادي المختبىء هناك وتدميره، وأمر باور بأن يتولّى قيادة ما تبقّى من الخيالة ويبدأ بالإنسحاب نحو المجنبة اليمنى للمعسكر المحّصن.

اعتبر السويديون إنسحاب الخيالة الروسية تراجعاً اضطرارياً، لذا قرّر

ملك السويد كارل الثاني عشر الإنتقال إلى الهجوم فوراً. وقد أظهر سير الأعمال اللاحقة أن دهاء بطرس الأول قد حقّق غايته. إذ أنّ كارل الثاني عشر شنّ عدّة هجمات بقواه الرئيسة على المعسكر المحصّن، إلا أن هذه الهجمات صدّت جميعها، عندئذ أمر قواته باقتحام المعسكر المحّصن، فاخترق السويديون بعض مواقع المعسكر المحّصن وأخذوا يتقدّمون ببطء. إلا أن الخيالة الروسية استدرجت بانسحابها الكاذب - السويديين ليقعوا تحت ضربة المدفعية المتمركزة في التحصينات، والتي حجبها عن أنظارهم الغبار المتصاعد من وراء الخيالة الروسية، وسحب الدخان المتصاعد من رمايات المدفعية المتواصلة، واقتربت مجنبتهم اليمنى من المدفعية الروسية التي فتحت نيرانها الغزيرة على مجنبة ترتيب قتالهم الخطّي. فتقهقر السويديون إلى الوراء، بعد أن دبّ الذعر والهلع في صفوفهم.

من بين المواقع الكبرى التي دخلت التاريخ العسكري في تلك الحقبة من الزمن موقعة كونردسدورف (المخطط رقم -٥) التي دارت بين الجيش الروسي - النمساوي من جهة والجيش البروسي من جهة أخرى عام ١٧٥٩. ومما تميّزت به تلك الموقعة، هو قيام القائد العام للجيش الروسي ب.س. سالتيكوف بتشكيل احتياطاً متحركاً قوياً جداً خلف المجنبة اليمنى لجيشه، وذلك خلافاً للقواعد القديمة المعمول بها في بنية ترتيب القتال الخطي، وبفضل هذا التجديد أصبح بالإمكان المناورة بهذا الإحتياط على إمتداد خط الجبهة. وبذلك أدخل على المخطط التقليدي للتكتيك الخطي عنصر جديد، الأمر الذي لم يأخذه العدو بالحسبان (٦٤). كما لعبت المدفعية دوراً كبيراً في هذه الموقعة. فقد أعيد تجميعها خفية وعلى أعلى المستويات، من الوسط والمجنبة اليمنى نحو المجنبة اليسرى، وجرى تحريك المدافع ونقلها بفضل استخدام الخيول، ثم فتحت نيرانها

---

(٦٤) "في سبيل أمجاد الوطن الروسي" لمؤلفه ف.أ. زولوتاريف و م.ن. ميجيفيتش و د.ي. سكوروبوموف موسكو ١٩٨٤ - صفحة ٩٥.

بصورة مفاجئة ومن فوق رؤوس القوات الصديقة.

إن موقعة كونرد سدورف التي انتهت بالتدمير الكامل للجيش البروسي، برهنت على القدر الكبير لفعالية ونجاعة الطرق الجديدة والمبتكرة في خوض الأعمال القتالية، إذ كان العدو يجهل كل شيء عنها قبل استخدامها .

لقد كان لتشكيل احتياط للقوات والمدفعية، خفية عن العدو، والمناورة بهما على امتداد خط الجبهة، أهمية حاسمة في موقعة نهر كاجول عام ١٧٧٠م. والملفت للنظر في هذه الموقعة هو ان الجيش الروسي البالغ عدده /٣٨/ الف رجل، والذي يقوده الجنرال ب.أ. زوميانتسيف أحرز انتصاراً كبيراً على الجيش التركي البالغ عدده /١٥٠/ ألف رجل.

تتلخص الخدعة العسكرية التي استخدمها ب.أ.روميانتسيف بما يلي : خلافاً للقوالب القديمة الجامدة المتّبعة في التكتيك الخطّي، قام روميانتسيف بتشكيل ما يسمّى بكتائب الصيادين «التي تمتلك قوة نارية كبيرة وتتحرك بسرعة وبذلك تستطيع إعاقة هجوم قسم كبير من خيالةالعدو، وتوفير الإمكانية اللازمة لتقدّم قوات ضخمة من المشاة إلى الأمام.

لقد استخدم بنجاح احتياط للمدفعية المتحرك. فلأول مرة يتقدّم هذا الاحتياط خلال الموقعة مع النسق الأول، ومن ثم يتحرك على امتداد خط الجبهة في ظروف المعركة الهجومية. كما أن روميانتسيف كان قد أدخل بعض العناصر الجديدة على طرق التنقل والإنتشار في تراتيب القتال. فقد تمّ تنفيذ المسير بعدّة أرتال، كان كل واحد منها يناسب جزءاً من ترتيب القتال القادم. وبمثل هذا القوام كانت القوات تقيم معسكرها في العراء قبل الموقعة. الأمر الذي سهل عليها أخذ البنية المناسبة قبل المعركة.

إن هذا كلّه حقّق للجنرال روميانتسيف النجاح على الرغم من التفوق العددي للأتراك. والجدير بالذكر أن النصر الذي أحرزه الجيش الروسي في موقعة نهر كاجول لم يكلّف الروس إلاّ القليل من الضحايا، أي أن الخسائر لم

تزد إلاّ قليلاً عن /٩٠٠/ قتيل (٦٥).

لقداقترن استخدام الدهاء العسكري بشكل خاص، باسمي القائدين الروسيين الكبيرين : أ.ف. سوفوروف وم.ي. كوتوزوف.

في أثناء الدفاع عن هيرسوف عام ١٧٧٣ استطاع أ.ف. سوفوروف الذي يقود مجموعة قوامها ثلاثة آلاف جندي ضد مجموعة تركية قوامها عشرة آلاف رجل، أن يخدع العدو ويوهمه بوجود ضعف في وسط دفاعه، ويستدرج خصمه للهجوم، ثم يواجهه من الأمام بنيران قوية متقاطعة، ويدّمره بضربة معاكسة مفاجئة من كلا الجانبين.

في غمار الإقتحام البطولي لقلعة اسماعيل عام ١٧٩٠، استخدم أ.ف. سوفوروف سلسلة كاملة من أساليب الدهاء العسكري. فبعد أن قدّر نسبة القوى والوسائط بصورة واقعية، وأخذ بالحسبان إمكانيات خصمه في المقاومة الشديدة، وتسلحيه الجيّد، وتأمينه المادي، وإمداداته، وضع خطة الإقتحام وشرع بتنظيمها تفصيلياً. وقد تلخّصت فكرة الإقتحام بمايلي : توجيه الضربات المركزة من تسعة *إتجاهات في آن واحد لتضليل العدو عن الإتجاه الحقيقي للضربة الرئيسة،* وإرغامه على توزيع قواته على طول إمتداد الجبهة للقضاء على تفوّقه العددي. وقد نفذت الضربة الرئيسة المجموعة الغربية بقيادة الجنرال ب.س. بوتيمكين بالتعاون مع نسق الإقتحام (الإنزال) بقيادة ماركوف. أما الضربة المساعدة فقد وجهها كوتوزوف بالتعاون مع نسق الإقتحام (الإنزال) بقيادة أرسينييف. وأخذت أعمال الأنساق الأخرى طابع التظاهر والتثبيت.

من أجل تأمين التنفيذ الناجح لهذه الخطة قام سوفوروف بتحضيرات سرّية ودرّب قواته خفية على أعمال الإقتحام، وشكّل سرايا مدفعية للحصار، بتنظيم يوهم العدو بأنّه يستّعد لحصار طويل الأمد، ووضع جدولاً بالشهب الإشارية المنتظمة، بحيث لايستطيع العدو أن يعرف معنى كل منها، وبالتالي لايستطيع

---

(٦٥) "في سبيل أمجاد الوطن الروسي" لمؤلفيه زولوتاريف وميجيفيتش وسكوروبوموف ص ١١٨.

تمييز إشارة بدء الإقتحام. وبعد أن أنهى سوفوروف تحضيراته وجّه إلى الأتراك إنذاراً بتسليم القلعة. وعندما تلّقى رَفْضَ الإستسلام بدأ الروس بقصف القلعة لمدة يومين دون إنقطاع، أي حتى بدء الإقتحام. وعند إنتقال القوات إلى الإقتحام (عند إنقضاضها على القلعة) واصلت المدفعية الرمي، ولكن بقذائف خلبية.

احتلت القوات قواعد الإنطلاق للبدء بالإقتحام تحت جنح الظلام، وبدون أي ضجيج، وبدأ الإقتحام المفاجىء قبل الفجر بساعتين. وسقطت قلعة اسماعيل، التي كانت تعتبر قلعة لاتقهر في ذلك الحين. كانت نسبة الخسائر مذهلة، أي بمعّدل واحد إلى ٢٦ لصالح الروس.

في موقعة نوفا عام ١٧٩٩ (المخطط رقم - ٦)، حرّك أ.ف سوفوروف قطعاته الأمامية من المنطقة التي ترابط فيها، بهدف إستدراج الفرنسيين إلى السهل. وقد ذكر أ.ف. سوفوروف في تعليماته مايلي : "على المواقع الأمامية المنتشرة أمام الخصم.. أن تقوم بجمع المعلومات الدقيقة عن تعداده، وتحركاته، وتتعامل معه بفصائل صغيرة فقط، وتحاول أن تخطف الأسرى، وتنسحب عند إقتراب قواته المتفوقة، ولايجوز لها أن تنتظر أي تعزيزات من الجيش ؛ لأننا ننوى إستدراجه إلى السهل" (٦٦). وبما أن الفرنسيين كانوا يحتلون مواقع دفاعية، فقد قرّر سوفوروف مهاجمتهم. فبعد أن تظاهر بأن الضربة الرئيسة ستّوجه إلى المجنبة اليسرى للفرنسيين والضربة المساعدة ستوجّه من أجل مشاغلة إحتياطاتهم، قام سوفوروف بتوجيه الضربة الرئيسة إلى مجنبة الفرنسيين اليمنى الضعيفة للوصول إلى المؤخرة وقطع الطريق على قواتهم المتراجعة. هذا وقد تراجع الجيش الفرنسي فعلاً خوفاً من التطويق (٦٧).

في المعارك التي دارت للإستيلاء على سان غوتاردوم وجسر الشيطان

---

(٦٦) "تاريخ الحملة الروسية - النمساوية - ١٧٩٩ "إصدار عام ١٨٢٦ الجزء الثالث ص ١

(٦٧) "الفن القيادي للقائد سوفوروف "أ.ن.بوغولوبوف موسكو - ١٩٤٠ ص١١٩.

خلال الحملة السويسرية التي قادها سوفوروف عام ١٧٩٩، تحقق الإخفاء والتمويه لأعمال القوات بفضل الإستفادة من الضباب الكثيف ومراعاة الصمت والسكون. خلال القيام بأعمال الإلتفاف العميقة والرامية إلى توجيه الضربات إلى مجنبات العدو ومؤخرته. وبذلك اضطرّ الفرنسيون للإنسحاب، بعد أن تكبدوا الخسائر الفادحة من جراء الضربات المفاجئة وفتحوا الطريق أمام قوات سوفوروف.

كانت الأعمال القيادية التي قام بها م.ى. كوتوزوف أمثلة رائعة على الدهاء العسكري. وقد قيّم أ.ف. سوفوروف القدرات الهائلة التي يتمتع بها كوتوزوف بقوله : "داهية - ماكر، ذكي - ذكي، حتى أن الثعلب المحتال لايخدعه". والحق يقال أنّ كوتوزوف أظهر العجائب الحقيقة في الفن العسكري.

كان ذلك التطويق الكامل لعدو متفوّق عددياً في موقعة سلوبوزي، بمثابة مثال كلاسيكي، إبّان الحرب الروسية - التركية ١٨٠٦-١٨١٢ (المخطط رقم - ٧).

بعد موقعة روشوك، مكث م.ي. كوتوزوف أربعة أيام في المنطقة، ثم سار بجيشه نحو الضفة اليسرى لنهر دوناي، حيث توفرت الظروف المواتية لسحق الأتراك بصورة نهائية. وبعد أن جعل نهر الدوناي خطاً فاصلاً بين جيشه والجيش التركي، صعّد كوتوزوف الموقف وزاده توتراً. عندئذ اضطرّ أحمد باشا، الذي كان يقود الجيش التركي لتقسيم جيشه إلى شطرين : القسم الأكبر يعبر إلى ماوراء نهر الدوناي لإحتلال رأس جسر، ويتمركز القسم المتبقي بالقرب من روشوك على الضفة اليمنى للنهر. وبذلك تهيّأت الظروف لكوتوزوف من أجل تطويق القوات التركية في رأس الجسر الذي تحتلّه والشروع في تدميرها.

أخذ الجيش الروسي مواقعه بحيث جاورت كلتا مجنبتيه نهر الدوناي، وبالتالي كان العدو مطوّقا على اليابسة من كافة الإتجاهات. ولم يبقى لديه إتصال مع معسكره في روشوك إلاّ عن طريق المعابر المقامة على النهر. لذلك أخذ الأتراك

ينسحبون عن طريق المعابر بالذات.

وقد جاء في تقرير م.ي. كوتوزوف عن إحدى المعارك قوله : "العدو الذي خُدِعَ تماماً، وتكّبد الهزيمة المنكرة في جميع المواقع، تراجع بشكل فوضوي نحو تحصيناته، بعد أن خسر أكثر من ٨٠٠ قتيل، تاركاً جثثهم فوق أرض المعركة" (٦٨).

من أجل إحكام الطوق حول القوات التركية، غادرت مفرزة ماركوف المعسكر خفية وتركت الخيام في أماكنها كي لايكتشف الأمر الجواسيس الأتراك. وفي ليلة ١٣ تشرين الأول، بدأت هذه المفرزة بالعبور إلى الضفة اليمنى لنهر الدوناي، التي تبعد مسافة ١٨ كم إلى الجنوب الغربي من روشوك. وقد تمّ عبور المشاة والمدفعية على الأطواف والسفن، أما الخيالة فقد عبرت خوضاً وسباحة، وعند الصباح كان قد انتهى العبور، فاتّجهت المفرزة نحو روشوك متحركة على الضفة اليمنى خفية، حتى وصلت إلى معسكر الأتراك بالذات، ووجّهت إليه ضربات مفاجئة، فسحقت ألفين من الخيالة التركية واقتحمت المعسكر. وبذلك أحكمت الطوق حول التجميع الرئيسي للأتراك. وقد سمحت فكرة القائد الكبير بتدمير وأسر الجيش التركي بقوى قليلة جداً.

تجلّت أساليب الدهاء العسكري الرائعة في أعمال كوتوزوف خلال تنظيم وتنفيذ مناورة تاروتين المشهورة ابّان الحرب الوطنية عام ١٨١٢. لقد وضع كوتوزوف شخصياً خطة هذه العملية، وظلّ يحتفظ بها لنفسه تحت غطاء من الكتمان الشديد. ولم يعرف أحد عن الأعمال المقبلة أي شيء، حتى الجنرالات والضباط المقربين إليه. وفي مراسلاته، وعند إعطاء الأوامر، لم يذكر الفيلد مارشال شيئاً عن هذه الخطة، سوى بعض جوانبها الضرورية فقط، وبذل قصار جهده كي يبقى العدو غير عارف بنوايا القوات الروسية، وعند قيامها بالمناورة، كانت هذه القوات تنفّذ المرحلة الكبرى من المسير تحت جنح الظلام.

تحرّك كوتوزوف بجيشه على رتلين، على طرق زراعية، مع مراعاة أقصى

---

(٦٨) "م.ي.كوتوزوف – بالوثائق" موسكو – ١٩٥٢ المجلد (٣) ص ٦٣٥.

درجات الحذر وانضباط المسير. فليس لأحد الحق، جنرالا كان أم ضابطا أم جنديا، بالخروج عن محور المسير وقواعده أو الإهتمام بأي شيء آخر. وكانت استراحة القوى الرئيسة تغطّى برهط حراسة خلفي قوي، لم تنحصر مهمته في تأمين الحركة المقررة والآمنة للقوات فحسب، بل وفي تضليل العدو أيضا. ولذلك كان يجب على قسم من قوات هذا الرهط أن تنفذ المسير على الإتجاه الكاذب، ليلفت اليه أنظار مفارز العدو وطلائعه. فمثلا، كان يجب على قائد رهط حراسة المؤخرة الجنرال ميلورادوفيتش أن يوجّه الكوزاك على طريق ريزان من أجل القيام « بالتحرك الكاذب » . وبنتيجة ذلك تلاشى الجيش الروسي البالغ عدده /١٠٠/ ألف رجل عن أنظار العدو. وقد اضطرّ نابليون للإعتراف بعد ذلك، حيث قال : "لقد أحرجني كوتوزوف جداً، وحيّرني بمسيره الجانبي" (٦٩).

أصبحت ملاحقة قوات نابليون بمثابة التطوير اللاحق لخطة كوتوزوف العميقة والشامله و. . محاولة من نابليون لإخفاء طريق إنسحابه، إستدار بجيشه نحو الطريق كالوغا الجديدة، بعد أن غطّى هذه المناورة بتوجيه قسم من قواته نحو فورونوفو. وفي الوقت نفسه، ومن أجل التضليل الإعلامي، وجّه رئيس أركان الجيش الفرنسي المارشال بيرتيه إلى معسكر كوتوزوف في تاروتين رسالة كتبت في موسكو على مايبدو. وفي هذه الرسالة يعرض نابليون شروط الصلح، ويطلب من كوتوزوف إتخاذ التدابير الكفيلة بأن تأخذ الحرب مجراها وفقاً للقواعد والأنظمة المقرّرة. كانت خدعة نابليون هذه ترمي إلى خلق الظروف المواتية لإخراج جيشه من الطريق المسدود الذي آل إليه، وفي حال نجاح هذه الفكرة الخداعية، فإن الخطّة تمكن القائد الفرنسي من تحسين موقف جيشه إلى حد كبير، فبعد أن يحصل على الإحتياطات الكافية من المواد الغذائية، يستطيع هذا الجيش مواصلة التحرّك إلى سمولنسك عبر مناطق غنيّة وخصيبة. ولكن بلوغ هذا الهدف، كان يتطلّب شرطاً هاماً، ألا وهو كيف يمكن إبقاء الروس في حالة

---

(٦٩) "دراسة الماضي القتالي لبلادنا" لمؤلفيه غ.ي.أوسكين، ي.ي.ماراتشيف موسكو ١٩٧١ – ص١٤٨.

الضـلال وإنعدام الرؤية وإلى أي مدى. وكـان يظن نابليـون - قـبل وصـوله إلى بوروفسك - أنه حـقّق هذا الشـرط. لكن الحـقيـقـة، هي أنّ خـداع نابليـون كـان مكشوفاً، وأنّ كوتوزوف تفوّق عليه

لقـد تميّزت في الحـرب الوطنيـة عـام ١٨١٢م، أعـمـال قـائد الكوزاك م.ي. بلاتوف بالفن الرفيع. إذ أنّه أطلق شائعات وأقوالاً مضلّلة ونصب أفخاخاً ماكرة وقع في حبائلها حتى نابليون ومارشالاته. أنه استخدم أساليبه المشهورة والخاصة بالإنسحاب الكاذب. وغالباً ما كان يقيم المعابر الوهمية عبر الأنهار، كي يلفت إليها إنتباه العدو، وينصب الكمائن ويضرم النيران والمشاعل فوق المرتفعات المجاورة بهدف تضليل العدو وإيهامه بأنّ هنا أو هناك فرقة كبيرة أو جيشاً من الكوزاك.

استخدم بلاتوف بنجاح أسلوبه الكوزاكي المشهور والتقليدي المسمّى "فينيتر" (المخطط رقم - ٨). فعلى مقربة من بلدة مير نصب بلاتوف كميناً للعدو، حيث احتل فوج من الكوزاك بقيادة سيسويف البلدة خفية : تمركز رهط حراسة بقوام مائة رجل على الطريق في بلدة كاريليتش في الأمام، وتمركز رهطان بقوام ٢٠٠ رجل على يسار ويمين الطريق، وتلخّصت خطة أتامان (لقب لقائد الكوزاك) في أن يقوم الرهط الأمامي الذي يحتل الطريق بالإنسحاب الكاذب عند إقتراب العدو منه، وبذلك يستدرج الخصم وراءه ويتعقبّه، وعند الوصول إلى بلدة مير ينتشر الرهط ويوجّه الضربة من الجبهة بالإشتراك مع فوج سيسويف، ويوجّه باقي الجنود (٢٠٠ جندي على يمين ويسار الطريق) الضربة إلى المجنبة. هذا وقد ذكر بلاتوف في تقريره حول تلك المعركة، أن أفواج العدو خسرت ٢٤٨ رجلاً.

لقد تميّزت أعمال القائد الكوزاكي بلاتوف الذكي والشجاع في معارك ومواقع عديدة. ومن بين مآثره العسكرية خلال الحرب الوطنية عام ١٨١٢ الإستيلاء على ناميور المدينة الفرنسية المحصّنة. فبعد أن اقترب منه ناميور في الرابع من شباط عام ١٨١٤، أوفد بلاتوف إلى المدينة رسولا مزوداً بكتاب إلى

قائد المدينة يطلب فيه من الإستسلام. فتسلّم منه الرد التالي : "لو تدفّق النهر بالدماء لن نسلّم المدينة. والفرنسيون مشهورون في كل مكان ببسالتهم وإرادتهم" (٧٠). فرد عليه الكوزاك بينران المدفعية الشديدة وعند حلول الظلام أمر بلاتوف بإشعال النيران في أماكن مختلفة، وذلك كي يخلق لدى خصمه إنطباعاً بأن الكوزاك حصلوا على تعزيزات جديدة. وفي الليلة نفسها اقتحم الكوزاك المدينة. وبعد سقوط ناميور كان قائد المدينة الفرنسي الذي أسر في حالة من الحيرة والإرباك : فهو لم يعرف مكان وجود المشاة الروسية، وتساءل عمّا إذا كان عدد ضئيل من الكوزاك، هو الذي اقتحم المدينة؟ وعندما أعلموه بحقيقة الأمر قال الضابط الفرنسي الذي انهارت قواه : "إنني استحق الإعدام جزاء لخطئي الذي أوقعتموني به".

استخدم الدهاء العسكري على نطاق واسع، أثناء الحرب الروسية –التركية ١٨٧٧ –١٨٧٨م فبفضل الإخفاء، وتضليل العدو، تمّ في حزيران ١٨٧٧ وبأسلوب رائع، عبور، القوات الرئيسة للجيش الروسي نهر الدوناي في منطقة زيمنيتسا.

قامت القيادة الروسية بالإستطلاع الشخصي بصورة سرّية للإختيار النهائي لمكان العبور. وقد تحقّق نجاح العبور – حسب رأي القيادة – بفضل المفاجأة التي نُفّذ بها. وتأمّنت المفاجأة بفضل التظاهر بأن الروس يحضّرون للعبور في أماكن مختلفة. إلاّ أن المكان الحقيقي للعبور ظلّ طيّ الكتمان الشديد، حتى بالنسبة لأعضاء الأركان العامة ولم يعط هذا السرّ إلاّ إلى قائد فرقة المشاة الرابعة عشرة الجنرال م.ي.دروغوميرف الذي كان يجب على كتائبه أن تبدأ العبور بالإشتراك مع لواء المشاة الرابع. وحدّدت للفيالق إتجاهات تظاهرية – كاذبة للتقدّم، وتقرر القيام بسلسلة كاملة من أعمال المشاغلة ولفت الأنظار. ومن أهم تلك الأعمال التظاهرية العبور الحقيقي لمفرزة الدوناي الأدنى عند بلدة غالاتس. كما جرت أعمال تظاهرية بالتحضير للعبور عند بلدة أولتينيتسا أيضاً، حيث رابطت بطاريات المدفعية، وحضّرت السفن والزوارق. وبالإضافة إلى ذلك بدأ

(٧٠) "مجلة التاريخ العسكري" العدد رقم ١٢ لعام ١٩٤٠ ص ٩٤.

الرمي إبتداء من ١٢ حزيران – من مدافع سرايا الحصار على روشوك، وإبتداء من ١٣ حزيران– الرمي على نيكوبول، الذي استمر ثلاثة أيام. والجدير بالذكر، أنّه بالرمي على هذه المدن، نفّذت أيضاً مهمة تأمين مجنبات القوات المكّلفة بالعبور.

لقد جرى تنفيذ جميع التدابير والإجراءات التحضيرية الخاصة بعبور نهر الدوناي مع مرعاة السرّية التامّة. وطلب إلى المراسلين الأجانب في الجيش عدم نقل أيّة معلومات عن مواقع وتعداد القوات، حتى ولا أيّة مقترحات أو إحتمالات بشأن الأعمال المقبلة، وقد تمّ تحذير هؤلاء بأنّه في حال مخالفتهم لهذه التعليمات سيطردون من الجيش.

ومن أجل لفت انظار الأتراك وانتباههم عن اتجاه الضربة الرئيسة، بدأ طابور الدوناي الأدنى (الفيلق الرابع عشر)، الذي يقوده الجنرال أ.ى. سيميرمان بعبور الدوناي في ليلة ١٠ حزيران في منطقة غالاتس وبرايلوف. ونُشرت في الوقت نفسه، الشائعات التي تقول بأنّ عبور القوات الرئيسة سيجري قرب فلاموندا. وقد تلقّى قائد الفيلق التاسع الجنرال ن.ب. تريدينير أمراً ببدء العبور مقابل قرية سياكي (قرب نيكوبول) في مساء ١٥ حزيران. كما أن اركان القائد العام انتقلت –عن قصد – بعيداً عن المكان الحقيقي للعبور. ولم تصل القوات الى زيمنيس إلا في ليلة ١٥ حزيران. تحت غطاء من التمويه الشديد. وقد قام الكوزاك بحراسة منطقة التحشّد.

لقد خدع العدو وضلّل، حتى أن القائد العام للجيش التركي عبد الكريم باشا صرّح أمام حاشيته، بعد أن زار سيستوفو (وهي مدينة واقعة مقابل زيمينتسا) قائلاً: «أراهن على ان شعر رأسي ينمو بسرعة أكبر من سرعة نمو شعر الروس الذين سيعبرون نهر الدوناي من هنا». وقد كتب مراسل صحيفة «الأزمنة الحديثة»ف. بورينين في مذكراته يقول: «لقد نفّذ العبور عند سيستوفو بصورة مفاجئة وغير متوقعة، إلى حدّ لم يظهر معه أي دليل على ذلك سوى

القوات التي قامت به. وليس الأترك وحدهم لم يتوقعّوا العبور هنا، بل أي شخص آخر سواهم لم يتوقع ذلك. والشخصيات العليا في الجيش تقول أنّه مفاجأة حقاً........وحتى المراسلين خدعوا هذه المرّة، وفاتهم العبور الكبير»(٧١).

كان الإقتحام الليلي لقلعة قارص (المخطط رقم - ٩) مثالاً رائعاً آخر على الدهاء العسكري خلال الحرب الروسية التركية ١٨٧٧ - ١٨٧٨م. فقد كان القدة العسكريين يرون أنّ قارص هي قلعة لاتقهر ولاتقتحم. وقد صرّح الجنرال الفرنسي دي كورسي الذي كان موجوداً في جيش القفقاس، أمام قائد الجيش الجنرال ي.د. لازاريف بمايلي : "لقد شاهدت مخافر وأبراج قارص، وكل مأستطيع أن أنصحكم به هو - لاتقتحموها؛ لأنه لا توجد أيّة قوى بشرية تستطيع ذلك. لابأس في أن تهاجم قواتكم تلك الصخور المنيعة، إلاّ أنكم تضحّون بآخر جندي لديكم دون أن تظفروا بمخفر واحد أو حصن واحد" (٧٢).

كان من المقرّر إقتحام قلعة قارص عند طلوع الفجر في بادىء الأمر. إلاّ أن الإقتحام في وقت الضوء من شأنه أن يواجه مصاعب كثيرة. لذلك تقرّر إقتحامها ليلاً. وجرى تحضير وتدريب القوات على هذا الأساس. وصدرت توجيهات خاصة تشرح خصائص المعركة في الظروف الليلية، مع تركيز الإهتمام بصورة خاصة على كتمان السر العسكري. ومن أجل إضعاف يقظة العدو وتضليله تمّ تشكيل مجموعات خاصة لتقوم بمهاجمة النقاط الأمامية للقوات التركية ليلاً، وإقلاق بال الحامية من حين لآخر. واعتاد الأتراك على التحرشات اليومية من جانب الروس وأصبحت هذه الأعمال اليومية مألوفة بالنسبة لهم، واكتفوا بالرد عليها برمايات الأطقم المناوبة فقط.

تقرر البدء بالإقتحام في ليلة السادس من تشرين الثاني عام ١٨٧٧ وبخمس أنساق في آن واحد.

---

(٧١) الأرشيف العسكري الهندسي المركزي للدولة - ف ٤٨٥، د ٣٧٦، ل ١.

(٧٢) "حصار وإقتحام قلعة قارص عام ١٨٧٧" بطرس بورغ - ١٨٨٥ ص٤٠٩-٤١٠.

لقد تأمّنت السرّية والإخفاء لتحشد القوات بمنتهى الدقّة والصرامة. وحُظّر تحت طائلة العقوبة القصوى إشعال النيران وإعطاء أي نوع من الإشارات الضوئية والصوتية. ولم يعرف الجنود أي شيء عن يوم أو ساعة الإقتحام. وسرت شائعات من أجل تضليل العدو، تقول بأن إقتحام القلعة سيجري صباح السادس من تشرين الثاني. فخلد الجنود الأتراك إلى النوم - لأنهم صدّقوا ذلك - لكي يستيقظوا صباحاً وهم في حالة الإستعداد البدني التام للتصدّي للإقتحام.

تحرّكت الأنساق من مناطق التحشد تحت جنح الظلام، وبدون أي ضجيج يذكر، وعند الفجر كانت أهم حصون قلعة قارص والواقعة على المجنبة اليمنى للنهر في أيدي الروس. وأصبحت مقاومة العدو اللاحقة عديمة الجدوى. وفرّ قائد القلعة حسين باشا، تاركا قواته تلقى مصيرها المحتوم. وقد حاولت حامية قلعة قارص الإفلات من الطوق والفرار نحو أرض روم، إلا أنّها أخفقت في ذلك وألقت سلاحها وبلغت الخسائر الأتراك ٢٥٠٠ قتيل و٤٥٠٠ جريح. أما خسائر الروس بلغت حوالي ٥٠٠ قتيل وحوالي ٢٣٠٠ جريح.

على الرغم من إلحاق الهزيمة بالجيش الروسي خلال الحرب الروسية - اليابانية ١٩٠٤ - ١٩٠٥، بسبب التقصير وإنعدام الأهلية لدى القيادة العسكرية العليا، فإن القوات الروسية بشكل عام قاتلت ببسالة وضراوة. وقد اعترف بانعدام الحكمة والكفاءة في القيادة العسكرية الروسية القائد العام نفسه، الجنرال أ.ن. كورباتكين، الذي قال : "يمكن القول بصدق وبدون أن نجافي الحقيقة، أن إنعدام زمام المبادرة كان الصفة الأساسية لهيئة القيادة العليا، ولاسيّما في المرحلة الأولى من الحملة ....." (٧٣).

لقد ألحق الجنود والضباط الروس بالعدو أضرار فادحة، وأبدوا خلال تلك الحرب مختلف أساليب الحنكة والدهاء. ففي أثناء دفاعهم عن بورت - آرثور استخدموا بنجاح الكواشف الضوئية (فوانيس المعركة) أثناء صدّ الهجمات

(٧٣) "نتائج ومحصلات الحرب" محضر الجنرال كورباتكين، وارسو- ١٩٠٦ المجلد ٤ صفحة ٢٩٦ - ٢٩٧.

المعادية في المعارك الليلية (٧٤). وعندما يقترب اليابنيون من المواقع الروسية على مسافة تتراوح بين ٣٠٠و٤٠٠ م كانوا يُكتشفون فجأة تحت أضواء هذه الكواشف، وعندئذٍ يلوذون بالفرار، بعد أن تعمى أبصارهم بالضوء الساطع، وتضطرب صفوفهم ومعنوياتهم عندما يتعرّضون للنيران الجانبية.

هناك .... في بورت - آرثور، وفي ظروف الحصار، صنع الروس الأذكياء خلال المعارك، نوعاً جديداً من سلاح المدفعية، هو مدفع الهاون واستخداموه بنجاح. وكان أصحاب هذا الإبتكار مجموعة من الضباط الروس بقيادة النقيب ل.ن.غوبياتو. واستخدمت الرمانات المصنوعة من فوارغ قذائف المدافع خفيفة العيار في العركة القريبة. وكان جنود المدفعية بدورهم أوّل من نفّذ الرمي من المرابض المستورة. وفي العمليات الأخيرة من تلك الحرب، ولاسيّما موقعة نهر شاهي، استخدمت على نطاق واسع الهجمات الليلية، التي ترافقها ضربات مفاجئة بالحراب والرمانات اليدوية. وكانت هذه الأعمال تساعد على الإقتراب من العدو بصمت وهدوء، وبث الذعر في صفوفه، وتحقيق النجاح بخسائر وإصابات قليلة.

انتشر فوج مورشان وكتيبتان من فوج زارايس بترتيب القتال خفية في مساء ٢٩ ايلول إستعداداً لشن هجوم ليلي على ايندونيولا، التي كان يحتلّها فوج من اليابانيين. توضّعت في الأمام أربع كتائب، وفي الإحتياط -كتيبتان. وكان الخط القتالي المؤلف من السرايا المنتظمة بأرتال الفصائل وبفاصل بين السرايا يصل إلى مسافة ٣٠ خطوة بطول حتى ١٠٠٠متر. وبذلك فإن الهجوم الذي بدأ الساعة ٢٢.٠٠ كان مفاجئاً لليابانيين الذين لم يستطيعوا التمسك بالقرية، بسبب إضطرابهم وهلعهم تحت تأثير الضربة المفاجئة بالحراب (٧٥).

---

(٧٤) "بورت آرثور" ف.ي. بولفانوف إصدار بطرس بورغ - ١٩٠٦ المجلد الثاني ص٥٩ و٢٠٠ و٢٠٢.

(٧٥) "تاريخ فن الحرب" أ.أ.ستروكوف. موسكو - ١٩٦٧ ص ١٢٢.

حظيت أشكال الدهاء العسكري بتطوّر لاحق خلال معارك وعمليات الحرب العالمية الأولى إذ أنّ خوض الأعمال القتالية على جبهات أطوالها بآلاف الكيلومترات، مع استخدام العديد من الأعتدة والأسلحة المختلفة، حدا بجيوش الأطراف المتحاربة إلى ما يسمّى بـ «حرب المواضع» أو «حرب الخنادق». أي أن القوات حفرت الأرض وتخندقت فيها، وانعدمت المجنبات المكشوفة، وتشكّل بذلك خط الدفاع المتّصل. وأصبح الدفاع يُعزّز بالمنشآت الهندسية والحواجز والنقاط النارية وخنادق المواصلات المختلفة. وغاصت القوات في خنادق عميقة. وهذا كله جعل الجيوش تبحث عن أشكال جديدة لخوض الأعمال القتالية. وأصبح لابدّ من دراسة واستخدام تلك الضربات الجانبية، التي من شأنها أن تساعد على خرق الدفاع المواضعي الثابت. إلاّ أنّ المحاولات العديدة التي قامت بها الجيوش الألمانية والفرنسية والبريطانية في عام ١٩١٥ - ١٩١٦ لإختراق الدفاع المواضعي لم تكلّل بالنجاح .

لقد بدأ التحضير لخرق الدفاع بتركيز القسم الأكبر من المدفعية على قطاع ضيّق من الجبهة كقاعدة عامة، وكان التمهيد المدفعي يستمر لبضعة أيام. وعلى الرغم من إن دفاع العدو كان يجري ابطاله بشكل مضمون، إلا أنّ الجانب المدافع، كان اثناء حشد التجميع الضارب وخلال التمهيد المدفعي، لا يزال يستطيع تغذية قواه في قطاع الخرق ودفع احتياطاته وتحريكها كما يشاء، وبذلك يبدّد آمال وجهود الجانب المهاجم، ويكبّده الخسائر والإصابات الجسيمة بالرجال والمعدات. كما أنّ زج قوات جديدة في الموقعة كان عديم الجدوى، لأن الجانب المدافع كان يتمكّن من شل أعمالها وتطوير قواه وتعزيزها . وكانت الاطراف المتحاربة تُوقف أعمالها القتالية، بعد استهلاك كميات هائلة من الذخائر، ووقوع خسائر واصابات فادحة والإخفاق في تحقيق النجاح.

لذلك كان لا بدّ من البحث عن حل آخر يؤدي الى تنفيذ مهمة خرق الدفاع القوي، وجاء الحلّ متمثلا في الأعمال المفاجئة والمبتكرة (البعيدة عن الجمود

والقوالب الثابتة). وخير مثال على هذه الأعمال في التحضير لخرق الدفاع وتنفيذه، هو الهجوم الذي شنّته الجبهة الروسية الجنوبية - الغربية بقيادة الجنرال أ.أ.بروسيلوف في حزيران من عام ١٩١٦(المخطط رقم ١٠).

كانت فكرة الهجوم تقوم على اساس تنفيذ الخرق على الإتجاه الرئيسي الى جانب مواصلة الهجوم، في الوقت نفسه، على عدّة اتجاهات عملياتية ثانوية. وبهذا الأسلوب تمّ تضليل العدو، ولم يتمكن من تحديد اتجاه الضربة الرئيسة. وفي هذا الصدد يقول أ.أ.بروسيلوف في مذكراته : « لو انني وجّهت كلّ الضربات في مكان واحد لكان نصيبي الإخفاق، كما حدث لكلّ من ايفانوف عام ١٩١٥، وإيفيرت وكورباتكن عام ١٩١٦، إلاّ أنني عملتُ بطريقتي الخاصة. إنّها اسلوبي الذي لا يمكن لأحد بفضله، أن يعرف أين الهجوم الحقيقي، وأين الهجوم التظاهري.....»(٧٦).

جرت على الجبهة الجنوبية - الغربية، تحت اشراف الجنرال بروسيلوف، وخلال مدّة وجيزة، تحضيرات للهجوم لم يعرف الجيش الروسي مثيلاً لها من قبل. وقد تلخّصت هذه التحضيرات في قيام القادة بدراسة دقيقة وشاملة للأرض التي ستكون مسرحاً للهجوم، وفي التحضير الهندسي لقطاعات الخرق، ووضع الخطّة المفصّلة لأعمال المدفعية، وفي تدريب القوات على الأساليب الفنية للهجوم. وقسّمت جبهة الهجوم في الجيوش والفيالق الى قطّاعات، وعُيِّن لكل قطاع ضابط من الأركان العامة، انحصرت مهامه وواجباته في جمع وتدقيق وتحميل كل ما يكتشفه استطلاع القوات على المخططات. ولأول مرّة تجري، وعلى نطاق واسع، أعمال التصوير الجوي لمواقع العدو. وبنتيجة ذلك أصبح بالإمكان تحميل قطّاعات مواقع النمساويين المراد مهاجمتها والقطاعات الملاصقة لها على الخرائط بكل دقّة، مع تحميل أعشاش الرشاشات أيضاً. وحصل جميع القادة - حتى قائد سرية ضمناً - على مخططات القطاعات المُزمع مهاجمتها .

---

(٧٦) من كتاب "الحرب العالمية ١٩١٤-١٩١٥، إختراق لوتسك" موسكو - ١٩٢٤ ص ٢٤.

كان دفاع العدو قويا، حيث يمتد ٢ - ٣ نطاقات محصنة على مسافة ٣ - ٥ كم بين الواحد والآخر، على طول امتداد الجبهة. ويصل عمق كل نطاق حتى ٤ كم، ويشمل على ٢ - ٣ خطوط من الحفر بالعمق الكامل. كما انشئت ايضا اعداد كبيرة من الملاجيء والمخابيء والدشم وأعشاش الرشاشات والنقاط الفردية للرمي. كما جُهِّزت شبكة من خنادق المواصلات للإتصال مع المؤخرة. وتمركزت في الحفر أعداد كبيرة من الرشاشات والمدافع وقواذف الرمانات وإحتياطات هائلة من الذخائر.

وأقيم أمام كل نطاق محصّن، حاجز من أسلاك الشائكة، التي يصعب إجتيازها، ويتألف الحاجز من ١٩ - ٢١ صفاً من الأوتاد. وكان يزداد عدد هذه الحواجز على بعض الإتجاهات، بحيث يبعد الحاجز عن الآخر مسافة ٢٠ - ٥٠ خطوة. وكانت بعض هذه الصفوف تحتوي على الأسلاك غليظة وقاسية لايمكن تقطيعها حتى بالمقصّات الخاصة، كما أن بعض الأسلاك رُبطت بالتيار الكهربائي ذي التوتر العالي، كما وزع النمساويون ملاغم تنفجر ذاتياً أمام حواجز الأسلاك في بعض الأماكن.

كان تعداد القوات الألمانية - النمساوية ٤٤٨ ألف حربة مقابل ٥٧٣ ألف حربة روسية. ولم توجد في العمق إحتياطات. إلاّ أن العدو كان يتفوّق على الروس بعدد مدافع الميدان والرشاشات.

إن فكرة الجنرال بروسيلوف لخرق الدفاع المعادي واضحة في توجيهه العملياتي الذي جاء فيه مايلي : «... لقد أمرتُ بأن يُعدّ، ليس في جيش واحد بل في كل جيوش الجبهة التي أقودها، قطّاع ضارب، وبالإضافة إلى ذلك، يختار بعض قادة الفيالق قطّاعاتهم الضاربة. ويجب البدء فوراً بالأعمال الهندسية والحفريات من أجل الإقتراب من العدو في جميع هذه القطاعات. وبفضل ذلك، سيرى العدو تلك الأعمال والتحضيرات الهندسية في ٢٠ - ٣٠ موقعاً ضمن الجبهة التي أقودها، كما أن الفارّين لايستطيعون أن يخبروا العدو بأي شيء

سوى أن العمل يجري في هذا القطاع وذاك، إستعداداً للهجوم. وبذلك لن يكون في إستطاعة العدو حشد كل قواه أمام قطاع معيّن، ولن يعرف أين ستوجّه إليه الضربة الرئيسة، لأنه سيجد كل الإتجاهات خطرة بالنسبة له» (٧٧).

قام النقابون (جنود الهندسة) بحفر المساتر في القطاعات المحدّدة من قبل، تحت جنح الظلام ودعّموها بأغصان الأشجار والأكياس والرمال. وعند بزوغ الفجر توقّفت جميع الأعمال، ولم يستطع الرصاد إكتشاف مخابىء المدافع المموّهة بالأعشاب والأغصان. إلاّ أن المدافع بقيت في الخلف وفي الغابات، ولم تظهر في مرابضها إلاّ في الليلة الأخيرة قبل الهجوم، ولم يتمكّن إستطلاع عملاء العدو ولاطيرانه من كشف حقيقة هذه الأعمال والتحضيرات.

لقد جرت التدريبات الضرورية للقوات في مؤخرة الجبهة. كما انشئت قطاعات ومواضع شبيهة بمواضع وقطاعات العدو، حيث أجرت المشاة والمدفعية تمريناتها على الأعمال المشتركة لخرق الدفاع. وتدرّب الجنود على قذف الرمانات اليدوية، واجتياز حواجز الأسلاك الشائكة واحتلال المواضع والتمسك بها.

لقيت طريقة تحضير رمايات المدفعية، التي أوجدها لأوّل مرّة، المقدّم كيري، إهتماماً كبيراً. وتلخّصت هذه الطريقة في أن كل سريّة مدفعية، وكل مدفع مستقل، تلقّى إحداثيات الأهداف المكشوفة، وحضّرت المعطيات مسبقاً بناءً عليها. ومن أجل خداع العدو وتضليله خلال تنفيذ الرمايات، تمّ التخطيط مسبقاً لنقل هذه الرمايات إلى خط الموضع الثاني، ولوقفات الرمي الكاذبة التي تسبق بدء الهجمة عادةً. بنتيجة ذلك، وخلال تمهيد مدفعي لمدة ثماني ساعات، استطاعت المدفعية الروسية أن تُبطل النشاط الناري للعدو بالكامل، وتخرّب مواضعه المحصّنة، الأمر الذي ساعد المهاجمين على إختراق الدفاع المعادي بدون خسائر تُذكر.

لايمكن القول بأن النمساويين والألمان ظلّوا معصوبي العيون ولم يعرفوا شيئاً عن الهجوم الروسي الذي يجري التحضير له. فقد كانوا على علم، بوجه

(٧٧) "مذكراتي" أ.أ. بروسيلوف، موسكو ١٩٨٣ ص ١٨٥.

عام، بإعادة تجميع القوات الروسية، كما حصلوا على معلومات عن يوم الهجوم بالذات. غير أن قيادتهم المقتنعة بعدم توفر القدرات القتالية لدى الروس بعد هزيمتهم عام ١٩١٥، تجاهلت الخطر المتعاظم من جانبهم. زد على ذلك، أنّها كانت واثقة جداً بقوّة تحصيناتها، وشجّعها هذا على إرسال عدداً من فرقها إلى الجبهة الإيطالية، والتي أخلت مواقعها على الجبهة الروسية. ولذلك فإن الهجوم القوي والناجح للقوات الروسية صعق الإستراتيجيين النمساويين والألمان، وكان كما قال رئيس الأركان العامة للجيش الألماني الجنرال فالكينهاين، كالرعد وسط سماء صافية.

تعاظمت أهمية الدهاء العسكري أكثر فأكثر لتحقيق النصر، مع تطوّر وسائط الصراع المسلح، الذي جاء في أعقاب التطوّر المستمر لقوى الإنتاج في عصر الأمبريالية. وبدأت الجيوش الجرارة (التي يقدّر تعداد كل منها بالملايين) تظهر في الدول الأمبريالية. وساعد النمو الإقتصادي السريع على التحضير للحرب وخوضها مع الإستخدام الشامل لمختلف أنواع العتاد والسلاح. وبرز العامل المعنوي ليحتلّ مرتبة عليا، وأصبح عامل الزمن يحظى بالإهتمام البالغ. ومن أجل التنفيذ الناجح للحرب، أصبح من المهم جداً أن تكون الدولة قادرة على نقل إقتصادها إلى حالة الحرب بأسرع مايمكن، ونشر قواتها المسلحة وتغيير الميزان الإستراتيجي للقوى والوسائط لصالحها في الوقت المناسب.

إن تلك الأمثلة الكثيرة التي سلّط الضوء عليها، ماهي إلاّ جُزيء صغير من الماضي التليد للجيش الروسي، وهي تؤكّد على أهمية الدهاء العسكرى في الحروب دفاعاً عن البلاد. ولاشكّ في أن الدراسة اللاحقة لخبرات الشعب الروسي العسكرية الطليعيّة تتطلّب التعامل الواقعي والبنّاء مع التاريخ.

٣ - في الحرب الأهلية والصراع ضد الدخلاء الأجانب

أظهر القادة العسكريون السوفييت إبّان الحرب الأهلية الحنكة والبراعة،

والعزم والدهاء في إختيار أساليب الصراع ضد أعداء بلاد السوفييت الفتية. وتميّزت أعمال هؤلاء بالجرأة وسرعة البديهة وإمتلاك زمام المبادرة، والبحث الإبداعي الخلّاق، وأصبح بالإمكان استخدام أساليب الصراع المسلح الجديدة بفضل التطبيق البارع لقواعد وشروط السرّية في التحضير للأعمال القتالية كأحد أشكال الدهاء العسكري.

في عام ١٩١٩ استطاعت قطعات فرقة المشاة الثلاثين بقيادة ف.ك بلوخر أن تتصدّى لهجمات العدو العديدة والمتكرّرة لمدّة تزيد عن يوم واحد، وعلى قطاع السكة الحديدية كراسنو أوفيمسك – قازان. وفي اللحظات الحرجة كان بلوخر يوجّه، خفيةً، إلى مؤخرة العدو، مجموعة من راكبي الدراجات النارية، وقد نُصبت الرشاشات على درّاجاتهم. أنطلقت المجموعة بسرعتها القصوى على الدراجات وهي ترمي على العدو، إلى أن اخترقت دفاعه واتجهت نحو كراسنو أوفيمسك، وكانت تلك الطريقة غير مألوفة في ذلك الحين إلى حدّ أن جنود الحرس الأبيض أصيبوا بالهلع والإرباك وغادروا المدينة (٧٨).

وفي أثناء التحضير والإعداد لإقتحام مدينة بيريكوب في شهر تشرين الأول عام ١٩٢٠ أتبع ف.ك. بلوخر، الذي كان قائداً لفرقة المشاة الحادية والخمسين، ترتيب قتال للإقتحام، لم يكن مألوفاً من قبل، ولافي ظروف الحرب الأهلية. إذ كان على النسق الأول المؤلف من النقّابين (رجال الهندسة)، وقواذف الرمانات، والرماة – القناصة، أن يخرّب ويدمر العوائق والموانع، ويفتح الثغرات في حواجز الأسلاك الشائكة. وتتحرك خلفه وعلى مسافة مئة خطوة النسق الأساسي للمشاة المقتحمة، بمهمة التقدّم إلى الأمام بعناد وإصرار. أمّا الأنساق الأخرى فكان عليها أن تقضي بصورة نهائية على أي مقاومة للعدو.

وخلال إقتحام فولوتشايفكا في شباط عام ١٩٢٢ استخدم ف.ك. بلوخر هذه الطريقة بنجاح، لأنها كانت غير متوقّعة بالنسبة للعدو على الإطلاق. فقد أصدر بلوخر أوامره إلى قائد لواء المشاة بأن يشكّل خفيةً، وتحت غطاء من

(٧٨) "من جندي إلى مارشال" لمؤلفه ف.ف.دوشينسكي. موسكو ١٩٦١ ص٤٦.

السرّية التامة، «فصائل الإقتحام التي تدخل في قوام أرتال الإقتحام، بمهمة خرق الحواجز، وسلّح أرتال الإقتحام بالرمّانات، والمقصّات، والكلاّبات، والفؤوس، والبلطات» (٧٩).

كان القطاع الشمالي من فولوتشايفكا هو الأقوى والأكثر تحصيناً لدى العدو. وعلى ضوء ذلك فقد قرّر بلوخر توجيه الضربة إليه من جهة الجنوب. حيث لم ينته العدو بعد من إقامة التحصينات، مع توجيه رتل نحو مؤخرة العدو للإلتفاف والتطويق في نفس الوقت. بدأ بلوخر الإقتحام إلاّ أن قطارات العدو المدرعة تصدّت لإقتحام المواضع وأوقفته. عندئذٍ قرر بلوخر أن يصرف إنتباه العدو، وأخذ يرد عليه بنيران المدفعية، كما وجّه نحوه أحد قطاراته المدرعة.

ثم عاود بلوخر الهجوم، في نفس الوقت الذي وصل فيه رتل الإلتفاف إلى مؤخرة العدو.

عندها فوجيء جنود الحرس الأبيض ودبّت البلبلة في صفوفهم، ثمّ ولّوا الأدبار بشكل فوضوي. وهكذا انتهت موقعة فولوتشايفكا التي كانت قد حسمت الصراع وأدت إلى تثبيت وإقرار السلطة السوفيتية في الشرق الأقصى.

تميزت أعمال بطل الحرب الأهلية .غ.ي. كوتوفسكي بالبراعة والحنكة. وقد كان تبديل "الفوج الأممي" (المتعددة الجنسيات) الذي كان يحتل الدفاع على نهر زدفيغ بلواء غ.ي كوتوفسكي عام ١٩١٩ مثالاً حيّاً على السرّية والإخفاء في التحضير والإعداد للهجوم المعاكس. كان الفوج الأممي يحاول الصمود بآخر ماتبقى لديه من قوى، والمعركة متواصلة تقريباً. وكان الخط الدفاعي يمتد في حقل مكشوف. ولذلك فقد انتظر كوتوفسكي حلول الظلام، ثمّ سرّب رجاله بمجموعات صغيرة نحو الحفر والخنادق حيث استبدلوا الأمميين وحلّوا محلهم. وقبل طلوع الفجر انتقل اللواء إلى الهجوم المعاكس، فأصيب العدو بالهلع

(٧٩) "من جندي إلى مارشال" لمؤلفه .ڤ.ڤ. دوشينسكي. موسكو. ١٩٦١م. ص١١٧ -١١٨.

والصدمة وتمّ تدميره (٨٠).

ومن الأمثلة الرائعة أيضاً - الغارة الناجحة التي نفذها لواء الحرس الأحمر بقيادة .غ.ي كوتوفسكي خلال المعارك ضد يودينيتش في ضواحي بيتروغراد عام ١٩١٩م. فبعد أن اكتشف وحدّد نقاط الضعف في جانب العدو. اختار كوتوفسكي أفضل محور ملائم للتحرك المستور نحو مؤخرة العدو. وتحت جنح الظلام تسلل جنود الحرس الأحمر عبر الوادي الضيق والعميق دون أن يراقبهم أحد، وهاجموا وقضوا على مخافر الحراسة الميدانية بصمت وبدون أي ضجّة، ثم هاجموا العدو بسرعة وعلى حين غرة.إن هذه الغارة الناجحة سمحت لقطعات الجيش الأحمر ببدء الهجوم على طول إمتداد الجبهة والتقدّم إلى الأمام بنجاح. إستطاع قادة الجيش الأحمر أن يستفيدوا ببراعة وإتقان من معرفتهم لتكتيك العدو. ففي المعارك التي خاضها فيلق الخيالة بقيادة د. ب. جلوبا (٨١) ضد فرقة الحرس الأبيض الثانية لجأ قائد اللواء كيبكالو إلى العمل على ضوء معرفته بالأعمال السابقة للطيران المعادي، وخاض الأعمال القتالية على النحو الذي جعل أفواج العدو تتواجد في نطاق إنسحاب القوات الصديقة وبذلك ضلّل الطيران الذي قصفها على أنها قوات الجيش الأحمر.

لقدتميزت أعمال قائد الجيش .ي.ب أوبوريفيتش بالأمثلة الرائعة على الدهاء العسكري إبّان تلك الحرب. ويتلخّص أحد هذه الأمثلة بمايلي : أخفى قائد الجيش وموّه بشكل جيّد عدداً من المدافع الخفيفة، التي وزّعها على إمتداد الشاطىء بفاصل مئة متر بين المدفع والآخر. وقد واجه أطقم هذه المدافع السفن المعادية الصغيرة بنيران أحد المدافع، إلى أن أكتشف العدو موقعه، فانتقل الرمي منه إلى المدفع الآخر، وفي هذه الأثناء أنتقل المدفع المكتشف إلى مربض آخر... وهكذا. وبفضل الرمي المتناوب بين هذه المدافع لم يتمكن العدو من التأثير عليها ونفذت مهمتها بنجاح.

---

(٨٠) "كوتوفسكي" لمؤلفه. غ.أنانييف، موسكو ١٩٨٢م ص ١٠٨.

(٨١) "قائد الفيلق دميتري جلوبا" غ.مارتينينكو، موسكو ١٩٨٥ ص١٤٩.

كان التجديد والإبتكار من بين السمات المميزة للأعمال القتالية التي قامت بها الخيالة. ففي موقعة كارنوقايا بالكا أستخدمت قطعات جيش الخيالة الثاني بنجاح الأسلوب التالي : أخفى جنود الحرس الأحمر داخل ترتيب قتالهم سلسلة من العربات اليدوية الخفيفة المحملة بالرشاشات أثناء التقدّم لملاقاة مجموعة من خيالة الحرس الأبيض. وعندما أقتربت مجموعتان من خيالة الحرس الأبيض من بعضهما البعض، انتشرت مجموعة خيالة الحرس الأحمر بأمر من قائد الجيش، فأصبح في مواجهة العدو ٢٥٠ عربة رشاش أمطرت خيالة الحرس الأبيض بوابل من الرصاص (٨٢).

كانت درساً مفيداً تلك الغارة التي قامت بها فرقة المشاة السادسة والعشرون في مؤخرة قوات كولتشاك (قائد من قادة الثورة المضادة) عام ١٩١٩م بناء على فكرة قائد الجيش. م.ن. توخاتشيفسكي. كان على الفرقة أن تمر عبر وادٍ ضيق يجري فيه نهر يوروزان الجبلي. وكان هذا الوادي لايمكن إجتيازه. ولذلك فإن قيادة قوات الحرس الأبيض التي لم تقدّر بشكل صحيح إمكانيات التحرّك لقوات الحرس الأحمر عبر الوادي، رأت أنه ليس من الضروري نشر حراسة متنقّلة (حراسة مسير) هناك. وعلى هذا الأساس بنى توخاتشيفسكي فكرته وأجرى حساباته - أي توجيه الضربة إلى حيث لايتوقع العدو ذلك. ولكن كان لابدّ من قطع مسافة حوالي ١٢٠ كم لتحقيق تلك الفكرة على إمتداد ضفاف النهر الجبلي، وفي منطقة خالية من الطرقات. وقد توقّف نجاح الأعمال على سرّية التحركات بوجه عام لأنّه في حال إكتشاف المناورة كان بإمكان العدو أن يدمّر الفرقة بكاملها في وادي النهر الجبلي الضيق بدون أي مشقّة أو عناء. كان ظهور القوات في مؤخرة العدو مباغتاً بالنسبة للعدو الذي ظنّ بأنها قوات جواره تقوم بمشاريع ميدانية. اندفع جنود الجيش الأحمر بأرتال متلاحقة ومضمومة مباشرة نحو فوج الحرس الأبيض الذي كان يسير بترتيب النظام المنضم، وانقضوا عليه

---

(٨٢) بيريكوب : ديوان المذكرات - موسكو. لينينغراد - ١٩٤١ ص ٢٤٤.

دون أن يطلقوا طلقة واحدة (٨٣).

قاتل فوج المشاة الـ ٢٥٦ بضراوة وبسالة وهوتابع لفرقة المشاة السادسة والعشرين التي يقودها .غ.خ. أريخي في منطقة بيرمي. فقد استولى الفوج على محطة ليفشينو وقطع الطريق أمام إنسحاب جنود الحرس الأبيض. وفي الأمر الصادر عن المجلس الثوري العسكري للجمهورية بشأن تقليد الفوج راية الثورة الحمراء الفخرية، جاء وصف لأعمال الفوج على النحو التالي : «في ليلة الأول من تموز عام ١٩١٩م قامت الكتيبة الثانية من الفوج بنقل عدد من السفن و الزوارق، ثمّ عبرت بصمت وهدوء نهر تشوسوفايا، وبعد أن استولت على المرتفع الأول تركته وراءها لتحرسه الكتيبة الثالثة، ثمّ وجّهت الضربة إلى محطة ليفشينو. لقد نُفّذ الهجوم بقسم من قوات الفوج المحمولة على السفن، والقسم الثاني فتح النيران الغزيرة من أسلحته الخفيفة ورشاشاته بصورة مفاجئة على العدو، فدبّ الزعر في قطعاته الأمامية التي تمّ أسر بعضها، والإجهاز على البعض الآخر بسرايا الفوج الأربع التي عبرت نهر كاما. إن هذه السرايا التي لم تتوقّف، تابعت زحفها إلى الأمام وتعقّبت فلول جنود الحرس الأبيض الفارين واستولت على المرتفع الواقع وراء محطة ليفشينو، وأرغمت العدو على التراجع نحو محطة لادا........» (٨٤).

وفي حادثة أخرى نظّم قائد الفرقة .غ.خ. أريخي واستخدم، خفيةً، طريقة جديدة وبارعة لمطاردة العدو – هي "طريقة الركوب" ومن أجل التنقل أستخدمت عربات الكارو التي تمّ الحصول عليها من السكان. وبعد أن نفذ لواءان من النسق الأول مهمتهما القتالية اليومية، تركا مكانهما لألوية النسق الثاني وتوضّعا في أماكن المبيت. وبعد أخذ قسط من الراحة تحركا في اليوم الثاني إلى الأمام على

(٨٣) "كراسكوم غينريك أريخي" لمؤلفه. ي.ب. تاراسوف–موسكو ١٩٧٥م ص٧٦.

(٨٤) "المآثر القتالية لقطعات الجيش الأحمر– ١٩١٨–١٩٢٢م" مجموعة وثائق ومستندات – موسكو ١٩٥٧م ص ٣٦.

عربات الكارو وواصلا مطاردة العدو المدحور. وبذلك كان الهجوم يتطور دون توقف، ودون أن يلتقط العدو أنفاسه (٨٥).

لقد أولت قيادة الجيش الأحمر مسائل اليقظة والحذر، والمحافظة على السر، الاهتمام الكبير، وهذا ما تؤكّده وثائق ومستندات الحرب الأهلية. ومن هذه المستندات والوثائق، ماجاء في التوجيه العملياتي الصادر عن القيادة العامة حول التحضير للأعمال الإيجابية في منطقة بيتروغراد في ١٤ حزيران عام ١٩١٩م : «إن المعلومات الأخيرة عن تجميع قوات العدو وتحركاتها تُظهر، كما يبدو، نواياه في حشد المزيد من قطعاته... والعدو بدوره قد يكون على علمٍ بتحشداتنا على الإتجاه نفسه... وعلى ضوءماتقدّم نقترح مايلي :

١ - مراقبة وتتبع جميع تحركات قوات العدو بإنتظام وإصرار، مع الإستخدام الواسع والمكثّف لجميع وسائل الإستطلاع المتوفّرة وإختبار هذه الوسائل بدقّة وإمعان بهدف الإسراع قدر الإمكان في كشف خطة أعمال العدو المحتملة.

٢ - التأكيد لجميع الأركانات على أن الطلب الذي لابدّ من تنفيذه، هو التقيّد بالسرية التامة لجيع تحركاتناوالسرّية لجميع الأوامر والتعليمات العملياتية» (٨٦).

لقد جاء في التوجيهات الصادرة عن الأركانات الميدانية برقم ٢٩٥، وتاريخ ٢٤ شباط عام ١٩١٩م حول التحضير لعملية تحرير أرخنجيلسك مايلي : «يجب أن تُنفذ عملية أرخنجيلسك في القريب العاجل، خفيةً، وبشكل مفاجىء، ولذلك يجب ألاّ يعرف مهمة فرقة كاميشين أحد آخر، إلاّ أنتم، وقائد الفرقة، والمفوضون

(٨٥) "كراسكوم غينريك أريخي" لمؤلفه. ي.ب. تاراسوف -موسكو ١٩٧٥م ص٦٣.

(٨٦) "التوجيهات العملياتية الصادرة عن القيادة العامة للجيش الأحمر" (١٩١٧-١٩٢٠) موسكو ١٩٦٩ ص ٣٨٠.

أصحاب العلاقة (٨٧).

إن عملية بوغوروسلان المشهورة التي نفذتها مجموعة قوات الجنوب بقيادة م.ف.فرونزه عام ١٩١٩ وضعت نقطة البداية لسحق كولتشاك بصورة حاسمة. وقدطلب م.ف. فرونزه في أمره الصادر إلى قوات مجموعة الجنوب، تنفيذ الإستطلاع باستمرار، وعدم قطع التماس مع العدو، من أجل الحصول على المعلومات الأكثر دقة عن توضع قطعاته ومواقعها. لقد طلب فرونزه من مرؤوسيه العمل قدر المستطاع، من أجل إعادة التجميع للقوات خفية، لتوجيه الضربة المعاكسة، وخلق إنطباع لدى العدو المهاجم بأن نجاحه يتطوّر ويتعاظم.

إن حصول إستطلاع الجيش الأحمر على إثنين من الأوامر العملياتية للعدو ساعد فرونزه على تحديد مواقع ومعسكرات قواته، والحصول على المعطيات عن الفرجة الحاصلة بين فيلقي قوات الحرس الأبيض السادس والثالث. وبنتيجة ذلك وُلدت خطة للتسلل بين هذين الفيلقين وتوجيه الضربة إلى مؤخرة العدو. وفي إحدى اللحظات الحاسمة جداً في التحضير للعملية انتقل (فرّ) إلى جانب العدو قائد اللواء أفيلوف، بعد أن أخذ معه أهم الوثائق العملياتية.

ومن جراء ذلك، وعلى ضوء هذه الظروف المستجّدة قرّر فرونزه أن يبدأ العملية قبل موعدها بأربعة أيام، وبذلك يضلل العدو، الذي كان يحاول الإستفادة من المعلومات الهامة جداً التي نقلها إليه أحد الخونة المأجورين. وتكللت عملية بوغوروسلان بفضل الدهاء العسكري الذي تميز به م.ف. فرونزه بالنجاح.

استخدمت قوات الجيش الأحمر بحنكة وبراعة، شروط التمويه والإخفاء بهدف منع العدو من إكتشاف تجميع القوى الصديقة ونواياها أثناء التحضير والإعداد للعديد من المعارك والعمليات وخلالها أيضاً. وقد نُفذّت تدابير وإجراءات التمويه بصورة أساسية عن طريق الإستفادة الجيدة من المساتر الطبيعية، والمواد المحلية، مثل الطبقات العشبية، والأقمشة المصبوغة، وشباك صيد الأسماك.

(٨٧) "التوجيهات العملياتية الصادرة عن القيادة العامة للجيش الأحمر" (١٩١٧-١٩٢٠) موسكو ١٩٦٩ ص ٣٥٢.

وكانت تُستعمل للتمويه في الشتاء العباءات والشراشف البيضاء....الخ

في شتاء عام ١٩١٩م أرتدى أفراد لواءين تابعين لقائد الجيش ي.ب أوبوريفيتش الشراشف البيضاء، وتسللوا خفيةً إلى مواقع فرقة كورنيلوف واخترقوا جبهتها بهجوم بالحراب (٨٨).

كما أن. ف.ك. بلوخر قرّر، أثناء إقتحام ڤولوتشايفكا، أن تتوضّع في وسط ترتيب القتال مجموعة من جنود الإستطلاع الذين يرتدون العباءات البيضاء (٨٩). كما أن قوات الهندسة قامت بتدابير وإجراءات تمويهية خاصة. ففي عام ١٩١٩م، وفي ضواحي بيتروغراد مثلاً استطاعت سرية التمويه والإخفاء تأمين التحركات المستورة للقوات على طريق ڤيبورعنك، ونشر المدافع الثقيلة في ضواحي كراسناياغوركا.

ومن أجل تحقيق عنصر المفاجأة تمّ عبور الأنهار في عدة نقاط، وعلى جبهة عريضة مع إقامة معابر تظاهرية - كاذبة كما استُخدمت المعابر الليلية أيضاً.

بغية إخفاء المعبر المقرر استُخدم التمويه لإخفاء الأعْمال التحضيرية قبل عبور الأنهار. وقام جنود الهندسة بتحضير وإعداد وسائل العبور، في الغابات عادةً، أو ليلاً، ونقلوها إلى الضفاف والشواطىء بأيديهم أو على عربات الكارو تحت جنح الظلام أو تحت ستائر الدخان. وخير مثال على ذلك - التحضير لعبور نهر بيريزينا في تموز ١٩٢٠م. فقد تمّ إختيار أماكن العبور، بحيث توفر الغابات القريبة منها إمكانية التحضير الخفي والمستور لجسري إقتحام بالطول الكافي. وفي الصباح الباكر تمّ نقلهما إلى النهر وتمديدهما نحو الضفة المقابلة، حيث تمكّن جنود الهندسة من نصبها وتثبيتهما خفيةً. هذا وقدعبرت وحدات المشاة الأمامية على الجسور المنصوبة فوق النهر، وشنت الهجوم على ذلك القطّاع الذي لم يتوقّعه العدو.

ومما يلفت الإنتباه تلك الأساليب في خداع العدو وتضليله، خلال المعارك

---

(٨٨) "قائد الجيش أوبوريفيتش" ص ٩٠.

(٨٩) "من جندي إلى مارشال" لمؤلفه. ف.ف. نوشينكين، ص ١١٨.

التي دارت في ضواحي أوديسا عام ١٩١٩م، عندما اكتشف جنود كوتوفسكي كلمة السر والتعارف، ومواقع مخافر الحراسة والمراقبة، فارتدوا ثياب العدو وشاراته وتسللوا إلى مؤخرة العدو (٩٠).

أثناء قيام فرقة القائد الأسطوري .غ.د.غاي بالمسير اصطدمت بقطعات فيلق الدون الرابع لقوات الحرس الأبيض. ولم تكن الأرض هناك صالحة لخوض المعركة، ومهاجمة العدو تعني القضاء على الفرقة. عندئذ قرر غ. د.غاي الإستفادة من كون خيالة الفرقة يرتدون نفس الألبسة التي يرتديها جنود فيلق كوبان الأول المعادي، فأمر العقيد السابق في الجيش القيصري ريفيتسكي بأن يرتدي رتبة الحرس الأبيض ويلعب دور أحد قادة قطعات فيلق كوبان الأول. وانطلت الحيلة، وظنّ العدو أن جنود غاي هم جنوده. وبعد أن مرّت القوات الرئيسية لفيلق الدون الرابع على مقربة منه سمح لها غاي بمواصلة السير، ثم استدار نحوها بأحد ألويته وهاجمها جانبياً، ودمّر رهط الحراسة الخلفي للعدو. لقد صُعق جنود الحرس الأبيض من شدة الهجوم وإندفاعه. وبعد إشتباك قصير بالسلاح الأبيض ألقى جنود الحرس الأبيض السلاح واستسلموا.

كانت الموقعة التي دارت في ضواحي نيفينوميسك ضد قوات دينيكين (أحد زعماء الثورة المضادة) – المخطط رقم ١١ – نموذجاً كلاسيكياً للأعمال التظاهرية، فعندما وجد قائد الفرقة .د.ب.جلوبا أنه لاحظّ له في إحراز النصر في معركة مكشوفة مع القطعات المعادية القوية والمتفوّقة عددياً، قرّر خداع الحرس الأبيض، بأن يخلق لديهم إنطباعاً بأن القوات الحمراء سوف تتخلىّ عن المدينة (نيفينوميسك) بدون قتال. فأمر فوج مشاة بأن يتخلّى عن مواقعه أمام المحطة وينسحب أمام أنظار الحرس الأبيض، ولكن على أن يتمسك جيداً بشوارع أطراف المدينة التي لايشاهدها أو يرصدها العدو. كما أصدر أمراً آخر إلى فوج الخيالة بالإنسحاب والإختفاء وراء مرتفعات تقع على المجنبة اليسرى، على ألاّ يكتشف العدو ذلك أيضاً. وحدّد د.ب.جلوبا لكتيبة المدفعية أيضاً المرابض

(٩٠) "كوتوفسكي" لمؤلفه. غ. أنانييف – ص ١٢٨.

المستورة وأسند إليها المهمة بأن تجهّز مدافعها للرمي المباشر عند تلقي الإيعاز، لتطلق نيرانها على الحرس الأبيض وجهاً لوجه.

ونجحت الخدعة العسكرية التي لجأ اليها جلوبا؛ فبعد أن أقتنع العدو بأن قوات البلشفيك تخلّت عن المحطة بدون قتال، خرج من مواقعه وتقدّم نحو محطة المدينة للسكك الحديدية، وعندما لم يواجه أيّة مقاومة، أقترب من المحطة بأرتال العرض والإستعراض. وعلى مقربة من المحطة واجهته نيران الأسلحة الخفيفة والرشاشات والمدفعية المفاجئة، فارتدّ جنود الحرس الأبيض إلى الوراء. وفي هذه الأثناء فتحت الرشاشات نيرانها من الكمين المنصوب. وهنا أسرعت الخيالة بقيادة الجنرال شكورولتقديم المساعدة إلى قوات دينيكين. إلاّ أنها ووجهت بفوج الحرس الأحمر الذي أنقض عليها فجأة منْ وراء مساتر ومرتفعات واقعة على المجنبة اليسرى.

كتب رئيس الأركان السابق شكورو والجنرال سلاشيف في مذكراتهما «إن الهزيمة التي وقعت في ضواحي محطة نيڤينومسك وضعت قيادة دينيكين في حالة من القلق والبلبلة» (٩١).

استخدم .غ.ي.كوتوفسكي الأساليب التظاهرية والإستعراضية ببراعة وذكاء. ومن بين الصفحات الناصعة في تاريخ الحرب الأهلية، الإستيلاء على أوديسا، عندما قامت أفواج الخيالة التي يقودها كوتوفسكي، بسحق قوات دينيكين المدافعة والمتفوّقة عليها بالرجال والسلاح، وذلك دون أن تنتظر وصول المشاة لتعزيزها. وقد تلخّصت الفكرة بما يلي : الدخول في معركة مشاغلة مع العدو وعلى مشارف المدينة. وبعد ارغامه على شن الهجوم المعاكس، التظاهر بالفرار الفوضوي بقوام كوكبة من الخيالة. وهذا ما حدث فعلا حسب الخطة المرسومة. أي أن رجال دينيكين أخذوا يلاحقون الكوكبة المتراجعة، فوقعوا في الفخ ، وبذلك أصبح في إمكان رجال كوتوفسكي تنفيذ الضربة الجانبية.

وبفضل نجاح الأعمال التظاهرية والإستعراضية حققت قطعات فرقة المشاة

---

(٩١) "قائد الفيلق ديمتري جلوبا" لمؤلفه غ. مارتينينكو، ص ٤٩.

الثامنة عشرة بقيادة.ي.ب.أوبوريفيتش النصر في المعارك التي دارت في ضواحي سيليسكا وغوروديكا. فمن خلال إقلاق العدو المستمر، وخلق انطباع لديه بالهجوم المتواصل على الضفة اليمنى للنهر «دڤينا»، إستطاع أوبوريفيتش ارغامه على نقل قسم من قواته من الضفة اليسرى الى الضفة اليمنى. وفي الوقت نفسه صعّدت فرقة المشاة أعمالها على الضفة اليسرى، ثم بدأت بتطوير الهجوم على كلتا ضفتي نهر دڤينا في آن واحد (٩٢).

لقد كا ن للتضليل الإعلامي مكانة هامة بين التدابير والإجراءات الرامية الى تضليل العد خداعه، ومن أجل القيام بهذا النشاط استخدمت الطرق المختلفة مثل إرسال ـسومات كاذبة عبر وسائط الإتصال ؛ إعطاء أوامر وتعليمات كاذبة، ونشر الشائعات المغرضة...الخ

وفي عام ١٩١٩م وفي ضواحي كاستورنا اتصل س.م.بوديوني هاتفيا مع، قيادة قوات الحرس الأبيض وطلب منها تقديم المساعدة «المزعومة» للحماية من *الحرس الأحمر، وبعد ذلك استخدم هذا الأسلوب مرتين، مما أدى الى الإستيلاء* على ثلاثة قطارات مدرعة(٩٣).

وخلال معركة أتشينسك عام ١٩٢٠م استخدم قائد اللواءالأول ي.ك.غرازنوف ببراعة خطوط الإتصال المتبقية، والتي كان جنود الحرس الأبيض قد استخدموها من قبل. وتسنّى له (أي لقائد اللواء الأول) إرسال عدد من الأوامر باسم قائد الجيش الأبيض الثاني إلى قيادات كولتشاك، والإطلاع بصورة مفصلة على موقف العدو ومواقعه (٩٤). وبنتيجة ذلك تم الإستيلاء على أتشينسك بدون خسائر تذكر.

وفي حالات أخرى تمّ ببراعة وإتقان، إعداد و إرسال الأوامر الكاذبة، ففي

---

(٩٢) " قائد الجيش أوبوريڤيتش ". ص ٢٠.

(٩٣) "نسر السهول" /صحيفة النجم الأحمر/ بقلم س.م. بوديوني- ٢٥ايلول ١٩٦٩م

(٩٤) "قائد الفيلق إيڤان غرازنوف" لمؤلفه ن.ف.ڤارغين. موسكو ١٩٧١م ص ٤٦.

أثناء معركة ڤورونيج (المخطط رقم ١٢) عام ١٩١٩م أصدر س.م.بوديوني أمراً كاذباً حول التحضير لتوجيه الضربة إلى ڤورونيج من الجنوب الشرقي، أي بالمجنبة اليسرى لفيلق الخيالة. التقط العدو الأمر وأجرى حساباته واتخذ قراره على أساس إنه أمر حقيقي وجاد.. وبنتيجة ذلك أختار العدو لنفسه خطة أعمال غير صحيحة، وتكبد خسائر فادحة (تدمير فرقة كوبان الكوزاكية تدميراً كاملاً، مع فوج مشاة من الحرس الأبيض)، وأرغم في أعقاب ذلك على الإنتقال إلى الدفاع على عجل، على إمتداد الضفة الغربية لنهر ڤورونيج. وتم الإستيلاء على المدينة، وبذلك خلقت أعمال فيلق بوديوني الظروف المواتية لهجوم الجيش الثامن، ووصوله حتى خط نهر الدون (٩٥).

وخلال المعارك التي دارت ضد قوات فرانجيل أصدر ي.ب.أبوريڤيتش عدداً من الأوامر الكاذبة بهدف تعزيز قناعة العدو، بأن مانعاً مائياً مثل نهر الدنيبر لايستطيع الجيش الأحمر عبوره، وأشار أوبوريڤيتش في هذه الأوامر إلى أن قيادة الجيش الثالث عشر ترى أن قطّاع مجموعة الضفة اليمنى (مجموعة براڤوبيريجني) لايمكن عبوره، وإن العمليات الرئيسية التي تنوي القيادة تنفيذها ستتم على كل الأحوال -على إتجاه آخر. ومن أجل التأكيد على هذا الإعلام المضلل قامت القوات بإعادة تجميع كاذب أيضاً. وفي الوقت نفسه قامت قوات الجيش الأحمر بعبور الدنيبر ووصلت إلى مؤخرة قوات العدو /قوات فرانجيل/ في منطقة سيڤيرناياتافويا، وهدّدت خطوط مواصلاتها مع شبه جزيرة القرم. إن أعمال أوبوريڤيتش أرغمت فرانجيل على تغيير طبيعة أعماله القتالية بصورة جذرية والإنتقال من الهجوم إلى الدفاع (٩٦).

من بين الأمثلة الرائعة على الدهاء العسكري التدابير والإجراءات الخداعية التي اتّخذت خلال عملية بيريكوب - تشونغار، التي نفّذتها قوات الجبهة الجنوبية

---

(٩٥) "لمحة موجزة عن تطور الفن العسكري السوڤييتي" ف.أ.سيمينوف موسكو ١٩٦٠م ص ٧٠.

(٩٦) "قائد الجيش أوبوريفيتش" ص ٢٥.

بقيادة م.ف فرونزه بهدف سحق قوات فرانجيل والقضاء عليها نهائياً.

يقول م.ف فرونزه في مذكراته : «إن مضيقي بيريكوپ وتشونغار والضفة الجنوبية لنهر سيڤاش التي تربط بينهما، تشكّل بمجموعها شبكة واحدة ومشتركة من المواقع المحصنة المنشأة مسبقاً والمعززة بالموانع والحواجز الطبيعية والإصطناعية. وإن هذه المواقع التي كان قد بُدِىء ببنائها عندما كان جيش المتطوعين بإمرة دينيكين، كانت ذات أهمية خاصة، ثم حظيت بالإهتمام والتحسين من قبل فرانجيل. وقد شارك في هذه المواضع الروس. وحسب معلومات إستطلاعنا والمهندسين العسكريين الفرنسيين أيضاً، فإن مرابض المدافع المبنية بالإسمنت المسلح، والحواجز من عدّة صفوف، والدشم والمساند الجانبية المرتبطة إرتباطاً نارياً وثيقاً فيما بينها... كل ذلك شكل بمجموعه، نطاقاً محصناً، لاتستطيع قوة مكشوفة أن تهاجمه وتخترقه...

في مضيق بيريكوپ أستولت قطعات الجيش /جيشنا السادس/ على خطين دفاعيين محصنين، كما أستولت بغارة مفاجئة على مدينة بيريكوپ ذاتها، لكنها لم تستطع التقدم أكثر من ذلك وتوقّفت أمام الخط الدفاعي الثالث الأكثر قوةً وتحصيناً، والذي أطلق عليه أسم "السور التركي".

وبعد أن أستولينا على جميع التحصينات في شبه جزيرة تشونغار، توقفنا مباشرة أمام جسر سالكوف للسكة الحديدية، الذي نسفه العدو، وأمام جسر تشونغار الذي تمّ إحراقه ... (٩٧)

كان ف.ي.لينين يتتبع سير الصراع ضد فرانجيل بكل الجدية والإهتمام. ونظراً لمعرفته بأن الإستيلاء على بيريكوپ صعب للغاية، فقد أصدر في السادس عشر من تشرين الأول ١٩٢٠ توجيهاته الإستثنائية إلى م.ف. فرونزه، والتي جاء فيها : «حضّروا وأستعدوا على أفضل وجه، وتأكّدوا ما إذا كانت كل المعابر والمخاضات لإحتلال القرم قد استطلعت ودرست جيداً» (٩٨). إن هذه التوجيهات

(٩٧) "المؤلفات المختارة" م.ف. فرونزه، ص ١٠٣ - ١٠٤.

(٩٨) "ف.ي. لينين" "المختارات الكاملة" المجلد ٥١، ص ٢٠٧.

التي أصدرها لينين حدت بـ م.ف. فرونزه نحو فكرة عبور خليج سيفاش وتوجيه الضربة إلى مؤخرة تحصينات فرانجيل في بيريكوب. وقد أخذ فرونزه بعين الإعتبار حقيقة أن المياه في خليج سيفاش تتحرك عند هبوب الرياح الغربية، نحو الجزء الشرقي للخليج وتفتح بذلك الطريق أمام عبور الخليج "خوضاً" باتجاه شبه جزيرة ليتوف الضعيفة التحصين، الأمر الذي يؤمّن بدوره توجيه الضربة إلى مؤخرة تحصينات بيريكوب.

لقد أسندت مهمة خرق تحصينات بيريكوب في شبه جزيرة ليتوف إلى لواءين من فرقة المشاة الحادية والخمسين بقيادة ف. كبلوخر. وكان يجب على الجيش الرابع أن يوجّه ضربة قوية إلى تجمع قوات بيريكوب (قوات الحرس الأبيض) بكامله. وجّه م.ف فرونزه طيران الجبهة بكامله نحو إتجاه تشونغار من أجل تسهيل العمل للقوات الصديقة. وأرغمت الضربات المحضّرة على عدة إتجاهات في آن واحد العدو على توزيع قواته على جبهة عريضة، وبعثرت جهوده.

بدأ هجوم قوات الجبهة الجنوبية في ليلة الثامن من تشرين الثاني وتحقّق النصر الكامل هنا بفضل الإختيار البارع والخفي لإتجاه الضربة الرئيسية. وقد كتب م.ف. فرونزه في مذكراته، حول هذا الحدث، وتحت عنوان «ذكريات بيريكوب وتشونغار» : «تبيّن من التقارير الواردة خلال النهار والليل، أننا نعمل عين الصواب، عندما قررنا المضي في الإقتحام بدون أية عراقيل، أو حتى بدون إنتظار وصول المدفعية الثقيلة التي تخلّفت عنا. لم يتوقع العدو إطلاقاً مثل هذه الضربة السريعة من جانبنا. فقد كان على ثقة بأنه أمين الجانب، ولاخطر عليه، حتى أنه في لحظة بدء هجومنا قام بإعادة تجميع لقواته، مستبدلاً بذلك قطعات فرقتيه الثالثة عشرة والرابعة والعشرين من الفيلق الثاني التي طال تواجدها وعناؤها على إتجاه بيريكوب، بقوات دروزدف، وماركوف، وكورنيلوف التي أخذها من قوام أفضل فيالقه وهو الفيلق الأول. وبنتيجة ذلك كان بعض المواضع تحتله الحاميات السابقة، والبعض الآخر تحتله الحاميات الجديدة، التي لم تتمكن بعد، من التعرّف

على الأرض».

لقد ثبتت الصحة التامة لإختيار إتجاه الضربة الرئيسية عبر خليج سيفاش بإتجاه شبه جزيرة ليتوف. وبذلك تحقّقت المفاجأة العملياتية. ولم تكتشف وحدات لواء كوبان المدافعة عن شبه جزيرة ليتوف، مرور قوات الجيش السادس عبر المضيق، إلاّ عندما وصل مقاتلو الجيش الأحمر مباشرة إلى المواضع الدفاعية للحرس الأبيض.

أسفر عبور خليج سيفاش عن وصول القوات الرئيسية للتجميع الأحمر الضارب إلى مؤخرة موقع بيريكوپ المحصّن. عندئذ بدأ العدو، الذي انهارت معنوياته بالإنسحاب على عجل، ونقل فلول فرقته إلى موانىء البحر الأسود. إلاّ أن الإنسحاب المنظم لم يتحقق، حيث لوحظت مظاهر الفرار الفوضوي والذعر في كل مكان. وعندها لم يجد فرانجيل بداً من الإبحار مع بعض وحداته المتبقية، إلى تركيا. وأبلغ م.ف. فرونزه القائد العام ف.ي.لينين بأنّ شبه جزيرة القرم قد طُهرت من الأعداء بالكامل.

لقد أظهر معظم القادة العسكريين في الجيش الأحمر الفتي، خلال المعارك ضد قوات الحرس الأبيض، وقوات التدخّل الأجنبي، سرعة البديهة والفطنة والدهاء والخداع لتحقيق النصر على العدو. ولذلك فإن السمة المميزة للأعمال القتالية خلال الحرب الأهلية هي : الإستخدام الواسع لمختلف أساليب الدهاء العسكري على المستوى التكتيكي، التي كان لها، أحياناً كثيرة، تأثير كبير على سير المعارك والعمليات ومصيرها على حدٍ سواء.

لقد تمت الإستفادة، على نطاق واسع من خبرات الحرب، من أجل تطوير وتحسين التكتيك وفن العمليات في الجيش الأحمر، كما احتلّت هذه الخبرات مكانها في العلم العسكري السوفييتي الفتي. وقد عُمّمت تلك الخبرات وأُخذت في الحسبان خلال عمليات ومعارك الحرب العالمية الثانية.

* * *

١ - في الحملات والعمليات

كانت دراسة وتعميم خبرات الحرب العالمية الثانية دوماً، ولاتزال محط إهتمام العلم العسكري. والعودة إلى خبرات هذه الحروب والإغتناء بها، لايقتصر على الصحفيين و المؤرخين العسكريين، لأن الإستفادة المبدعة والخلاّقة من هذه الثروة النظرية والعملية الطائلة التي أفرزتها الحرب المنصرمة – هي الوسيلة الهامة لتربية وإعداد الجيل الحالي من المواطنين بما في ذلك – عسكريي وأفراد القوات المسلحة.

لقد نفّذ الجيش السوفييتي إبّان الحرب العالمية الثانية عدداً كبيراً من العمليات الناجحة التي كان لها أهمية عملياتية واستراتيجية كبرى، واستمرت هذه العمليات حتىّ إستسلام العدو نهائياً. وقد تميّزت تلك العمليات بأبعاد ومقاييس لامثيل لها، وبالهدفيّة والإعداد الدقيق والبارع، والتأمين الشامل.

أوجدت القيادة السوفييتية، التي لم تتقيّد بالقوالب والأساليب الجامدة، أشكال الصراع وطرقه الجديدة، التي تلاءمت، على أكمل وجه، مع الأهداف المقرّرة، والموقف المتشكّل وفي إطار سعيها إلى تحقيق المفاجأة، كانت القيادة السوفييتية تتّجه نحو تنفيذ هذه المهمة، في كل مرة بأسلوب إبداعي خلاّق، وعلى ضوء خصائص الظروف القائمة، مستفيدة من الخبرات العملية التي حصلت عليها، ومُظهرةً من خلال ذلك، المرونة والإبتكار، وهنا، كان يحتل مكان الصدارة الدهاء العسكري على المستوى الإستراتيجي.

عند دراسة بداية الحرب العالمية الثانية، لابدّ أن تؤخذ في الحسبان حقيقة أخرى وهي أن زمام المبادرة الإستراتيجية كانت في يد العَدو. كانت القيادة السوفييتية ومن خلال خوض العمليات الدفاعية تسعى جاهدة إلى إنتزاع زمام المبادرة من يد العدو، قبل كل شيء. ومع إن إمكانيات الإستفادة من الدهاء

العسكري كانت محدودة في تلك الظروف، فإن الخداع العسكري كان حاضراً، إلى حد ما، في أذهان القيادة السوفييتية.

إن إستخدام العدو للطيران بشكل كثيف كان يتطلّب إتخاذ التدابير والإجراءات الخاصة بتأمين الإخفاء والتمويه للقوات والأغراض الهامة في المؤخرات التكتيكية، والعملياتية، والإستراتيجية على حد سواء. طالب التوجيه العملياتي الصادر عن هيئة القيادة العامة العليا في ٢٩ ايلول ١٩٤١م، القادة على مختلف مستوياتهم، بأن يولوا إجراءات الإخفاء والسرّية جلّ إهتمامهم. كما أن الحرب كانت تقتضي، ليس تمويه القوات فحسب، بل والأغراض الحيوية، والإقتصادية الهامة الواقعة في المؤخرة.

بناءً على قرار إتخذته «لجنة الدولة للدفاع» في مطلع تموز ١٩٤١م تمّ تشكيل مصلحة خاصة في موسكو، أُلقيت على عاتقها مهمة الإخفاء والتمويه، ولاسيما تمويه أهم الأغراض في العاصمة (مثل الكرملين، مركز البريد والبرق، المعامل والمصانع، محطات وخطوط المياه، مستودعات الوقود، الجسور وغير ذلك من الأغراض الأخرى).

وقد نفّذت مثل هذه المهام في مدن أخرى. ففي مدينة لينينغراد المحاصرة، مثلاً، تمّ تمويه منطقة سمولني حيث كانت توجد أركان الجبهة، ومحطة خطوط المياه الرئيسية، وجميع محطات القطارات، والسفن العسكرية الراسية في نهر نيفا، والأغراض الأخرى. وقامت قوات الهندسة التابعة لجبهة لينينغراد بتمويه جسر السكة الحديدية فوق نهر فولخوف، ذي الأهمية الإستراتيجية الكبرى. وتمّ إنشاء جسر كاذب على السكة الحديدية مع الخطوط الفرعية والجانبية المؤدية إليه بهدف تضليل الطيران المعادي، أما الجسر الحقيقي فقد جرى تغيير معالمه ليبدو كأنه جسر مخرّب. كما تمّ إخفاء محطة فولخوف للطاقة بشكل جيد بواسطة شبكات تمويه رُسمت عليها أشكال هندسية وديكورات ساعدت على تغيير شكل البناء بشكل عام (٩٩). وعلى الرغم من كثافة غارات العدو الجوية، فإنه لم يصب

(٩٩) "القوات الهندسية للمدينة-الجبهة" لينينغراد ١٩٧٩ص١١٦-١١٧، ١٢٣/٢٥.

أي جسر أو أي محطة للطاقة بأذى.

في نهاية شهر آب ومطلع شهر ايلول اتخذت الإجراءات على الإتجاه الشمالي – الغربي لتمويه السدود، وخزانات المياه في مناطق بوروفيتش، ڤالدايا، أستاشكوڤا، ڤيشني ڤولوتشوك.

وفي الأشهر الأولى للحرب العالمية الثانية سمحت التدابير والإجراءات المتخذة بدقّة وبراعة للقيادة السوفييتية العامة العليا بتأمين المفاجأة للهجوم المضاد في ضواحي موسكو، والذي أدّى إلى سحق القطعات الالمانية الفاشية المختارة (مخطط رقم ١٣).

إن المفاجأة الإستراتيجية في الهجوم المضاد لم تتحقّق بفضل الإختيار الصحيح فقط لإتجاه الضربات الرئيسية، بل وبفضل الدهاء العسكري أيضاً – أي السريّة والإخفاء في إعادة تجميع الإحتياطات الإستراتيجية الضخمة، وحشدها. فمن أجل صدّ ضربات القوات الالمانية – الفاشية، والإنتقال اللاحق إلى الهجوم المضاد، قامت القيادة العامة العليا خلال شهر تشرين الثاني ومطلع كانون الأول من عام ١٩٤١ بإعادة تجميع حوالي ٧٠ فرقة على هذا الإتجاه، كما أن تقدّم التشكيلات الإحتياطية إلى خط الجبهة كان يجري تحت جنح الظلام بصورة عامة، أو في ظروف الطقس السيء، التي لايستطيع فيها طيران العدو تنفيذ الإستطلاع، وقد تحشدت هذه التشكيلات في الغابات والقرى والمدن، ولم تعلم القيادة الهتلرية أي شيء عن حشد الإحتياطات الإستراتيجية الضخمة في منطقة موسكو.

لقد أدى الدهاء العسكري على المستوى الإستراتيجي، إلى أن المفاجأة في الهجوم المضاد للقوات السوفييتية كانت كاملة بالنسبة للعدو. وممّا يؤكّد ذلك إعتراف المؤرخ العسكري الالماني الغربي . ك. رينهارد، الذي قال : «الحقيقة القائلة بأن القيادة الالمانية كانت قد أُخذت على حين غرة، تؤكّد قدرة الروس على

نشر قواتهم بشكل جيد» (١٠٠).

إن النتائج العامة لملحمة موسكو كانت مشجعة للجانب السوفييتي، ومثبّطةً لعزائم العدو، لأن الهتلريين خسروا في ملحمة موسكو مايزيد على نصف مليون رجل، و١٣٠٠ دبابة، و٢٥٠٠ مدفع، وأكثر من ١٥ ألف سيارة، ومعدات كثيرة أخرى. كما أن القوات الالمانية دُحرت وتراجعت عن موسكو لمسافة تتراوح بين ٨٠ و٢٥٠ كم إلى الغرب.

في مطلع عام ١٩٤٣م كان الجيش السوفييتي قد أنجز الهجوم المضاد وتطويق تجمّع كبير من القوات الألمانية - الفاشية في ضواحي ستالينغراد. إن نجاح هذا الهجوم المضاد يؤكّد تعاظم وتطوّر التجهيز التقني للقوات السوفييتية، وتحسّن مستوى تدريب هذه القوات ومهاراتها وخبراتها القتالية، ومستوى الفن العسكري لدى القادة.

لقد تميز الدهاء العسكري في هذا الهجوم المضاد بالتنّوع الإبداعي والخلاّق، والإرادة القوية والإصرار على التنفيذ والإنضباط العالي. كما أن بعض أشكال وأساليب الدهاء العسكري ظهر لأول مرة في تلك الفترة.

عند التخطيط للهجوم المضاد، سعت هيئة القيادة العامة العليا جاهدة، واتخذت كل التدابير والإجراءات الرامية إلى تضليل العدو. فبالإعلام المضلل، والأعمال التظاهرية تبين لدى العدو، أن القيادة السوفييتية لاتمتلك القوى اللازمة لشن هجوم ضخم على الجنوب الغربي.

وفي التوجيه العملياتي الذي أصدرته هيئة القيادة العليا في تشرين الأول عام ١٩٤٢م طلبت القيادة من القوات، بأن تقوم بأعمال حثيثة، متظاهرةً من خلالها بأنّها تقيم خطوطاً دفاعية، وأنها تحضّر وتجهز القرى والمدن للدفاع الدائري، وتجهز الحدّ الأمامي بالحواجز الهندسية والموانع. وفي نهاية الأمر ضلّل العدو، والبرهان على ذلك - تقييم الأركان العامة للقوات البرية الألمانية بشأن

(١٠٠) "تاريخ الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩-١٩٤٥م" موسكو ١٩٧٥م، المجلد (٤) ص ٢٨٤.

حالة ووضعية القوات السوفييتية في ضواحي ستالينغراد قبل أسبوع من موعد الإنتقال إلى الهجوم المضاد. وقد جاء في هذا التقييم مايلي : ..«ليس لدى العدو، كما يبدو، العدد الكافي من القوى للقيام بعمليات واسعة» (١٠١). زد على ذلك إن صحافة الجبهة والجيش والفرقة تحدّثت بإسهاب عن اليقظة والحذر، والمحافظة على السر العسكري، وضرورة تحسين وتطوير الخطوط الدفاعية، والدفاع الصامد والعنيد، ونشر مقالات ومواداً بهذا الشأن، ذكرت فيها أسماء وهمية مختلفة لعدد من القادة والمسؤولين.

لقد لعب الإخفاء الإستراتيجي دوراً بارزاً في تحقيق النجاح. وكانت مهمة هذا الإخفاء تتلخص في كتمان السر عن الإستطلاع المعادي، لإخفاء حشد القوى والوسائط الضخمة المكلّفة بتنفيذ العملية الإستراتيجية في ظروف الأرض السهلية المكشوفة. وفي هذا الصدد يقول المارشال .أ.م. كاسيليفسكي في مذكراته : «لقد فرض ستالين نظام السرّية والإخفاء الصارم على كل التحضيرات الأولية للعملية. وحُظّر علينا نحن أيضاً إعلام وإطلاع أي شخص آخر، حتى أعضاء لجنة الدولة للدفاع، على هذه التحضيرات. وأوعز ستالين إلينا جميعاً بأنه هو الذي يطلع شخصياً، من يجب إطلاعه على التحضير للعملية. ولم نستطع نحن و غ.ك. جوكوف إبلاغ قادة الجبهات إلا بما يخص كلاً منهم بشكل مباشر، ولم نزد على ذلك كلمة واحدة. وأنا أرى أن مثل هذا الإجراء من الحيطة والحذر كان له مايبرّره في تلك الظروف» (١٠٢).

لقد جاء هذا في التوجيهات العملياتية الصادرة عن هيئة القيادة العامة العليا في التاسع عشر من تشرين الأول عام ١٩٤٢م إلى قائد جبهة ستالينغراد الجنرال .أ.ي. يريمينكو مايلي : «إن هيئة القيادة العامة تحذّركم، تحت طائلة

---

(١٠١) "تاريخ الحرب الوطنية العظمى للإتحاد السوفييتي ١٩٤١-١٩٥٤" موسكو- ١٩٦٤م- المجلد (٣) – ص ١٥.

(١٠٢) "قضية الحياة كلها" أ. ڤا. سيڤليسكي – موسكو ١٩٧٨ ص ٢٢٢-٢٢٣.

المسؤولية من نقل أو إرسال أي من المعلومات، حتى ولو بالشيفرة، عن خطة العملية، أو إصدار أو توزيع الأوامر بشأن الأعمال القادمة. وجميع خطط ومخططات العملية لاتُرسل إلا مكتوبة بخطكم شخصياً وبخط المنفذ المسؤول. والأوامر لا تُعطى إلى قادة الجيوش بشأن العملية القادمة، إلا شخصياً وعلى الخريطة» (١٠٣).

وقد جرى تشكيل التجمعات الضاربة خلال عشرين يوماً. وعلى جبهة ستالينغراد فقط تمّ خفية عبور أكثر من ١٦٠ ألف رجل و٤٣٠ دبابة، و٦٠٠ مدفع و١٤ ألف سيارة، وأكثر من ستة آلاف طن من الذخائر، وكمية كبيرة من الوسائط المادية الأخرى، عبر نهر الفولغا.

إن تقيّد القوات والأركانات بالنظام الصارم للسرّية والإخفاء، طيلة مرحلة التحضير للعملية حقّق أهدافه المرجوّة منه. فالأركانات العامة الألمانية – كما ذكرنا من قبل ، أستنتجت، على ضوء معطيات الإستطلاع، أنه من غير المحتمل قيام الجيش السوفييتي بعمليات هجومية على إتجاه ستالينغراد.

اعترف رئيس الأركان السابق لشعبة العمليات في القيادة العامة للقوات المسلحة الألمانية الجنرال بودل بعد الحرب، بأنهم لم يتمكنوا من إكتشاف حشود القوات السوفييتية إلى الشمال الغربي من ستالينغراد. وفي هذا الصدد يقول: «لم يكن لدينا على الإطلاق أي تصوّر عن قدرات القوات الروسية في هذه المنطقة، فبالأمس لم يتواجد فيها أحد، وفجأة توجّه منها الضربة بقوات كبيرة لتسفر عن نتائج حاسمة» (١٠٤).

إن تنوع وتعدد أشكال وطرق الدهاء العسكري (الإخفاء، التظاهر، التقليد، التمثيل، الإعلام المضلّل) والربط الجيد فيما بينهما وبين القرار المتخذ لخوض العملية ساعد على تأمين المفاجأة في توجيه ضربات القوات السوفييتية على

(١٠٣) "الفن العسكري في الحرب العالمية الثانية" موسكو-١٩٧٣ ص٢١٠-٢١١

(١٠٤) "مذكرات وتأملات" غ.ك.جوكوف موسكو – ١٩٧٤م ص ١٠٢.

الإتجاهات الحاسمة.

كان من الصعب خرق الدفاع القوي وتحقيق نتائج حاسمة بتجميع ضارب واحد ولوكان قوياً جداً. وكان في مقدور العدو غير المعني بالأعمال الإيجابية على إتجاهات أخرى، إستخدام إحتياطاته، وتعزيز قواته بسرعة في منطقة الخرق، وعلى ضوء ذلك، حضّرت القيادة السوفييتية، ونفّذت الخرق على ستة إتجاهات متباعدة عن بعضها البعض. وهذا لم يسمح للعدو بأن يعمل بحرّية لإعادة تجميع قواته، وفي الوقت ذاته خلق وجود أعداد كبيرة من فيالق الدبابات، والفيالق الميكانيكية وفيالق الخيالة في قوام التجمعات الضاربة، إمكانية تنفيذ الهجوم بوتيرة عالية.

خلال تطوير الهجوم المضاد للقوات السوفييتية في ضواحي ستالينغراد (عملية الدون الأوسط الهجومية من ١٦ إلى ٣٠ كانون الأول ١٩٤٢م) نُفّذ الإستطلاع القتالي في الرابع عشر من كانون الأول ١٩٤٢م قبل خرق الدفاع المعادي، أي قبل بدء العملية بيومين. ومع أن الإستطلاع القتالي نُفّذ في موعده، إلاأنه كان يسعى إلى تنفيذ مهام أخرى محدّدة. وقد جاء ذلك واضحاً في التعليمات التي أصدرها القائد العام الأعلى ي.ف.ستالين إلى الجبهة الجنوبية الغربية، وجبهة ڤورونيج في مطلع كانون الأول عام ١٩٤٢م، التي تقول : «طالما أن الألمان يعرفون جيداً راجماتنا الصاروخية /م-٣٠/ التي تفجر الحد الأمامي للدفاع بكامله، فإنهم يستخدمون الآن التكتيك التالي : يتركون الحراسة فقط على الحدّ الأمامي الوهمي، وينقلون الحد الأمامي الحقيقي إلى الخلف لمسافة ٤-٥ كم. لذلك يجب علينا أن نواجه هذا التكتيك الألماني بتكتيك مضاد، يتلّخص في القيام بإستطلاع قتالي - قبل إنتقالنا إلى الهجوم - بهدف كشف الحد الأمامي الحقيقي للدفاع. لذا يجب بذل كل المستطاع، ومهما كلف الأمر، للوصول إلى الحد الأمامي للدفاع المعادي، بالقيام بعدد من الإستطلاعات الإيجابية، وإختطاف الأسرى والتأكد من خلال إفاداتهم من أن ذخائرنا التي نستهلكها لن تذهب هباءً

منثوراً. وينفذ الإستطلاع القتالي بالكتائب المستقلة وقبل بدء العملية بيومين (١٠٥).

إن التجربة التاريخية المستخلصة من ملحمة ستالينغراد تثبت أنه في أثناء التحضير لعمليات إستراتيجية ضخمة تدور في فلكها أعداد هائلة من قوى ووسائط عدّة جبهات، في ظروف الأرض المكشوفة، التي تنعدم فيها، التضاريس والمساتر الطبيعية تقريباً، يمكن بالدهاء العسكري تحقيق المفاجأة، من حيث توقيت بدء العملية ومن حيث القوة التدميرية للضربة، وذلك بغض النظر عن طول فترة التحضير لتلك العمليات.

يعتبر التمهيد المدفعي المعاكس الذي نُفّذ في عملية كورسك الدفاعية، مثالاً حياً ونموذجياً على الدهاء العسكري الإستراتيجي. وفي هذا الصدد كتب المارشال ك. ك.روكوسوفسكي يقول: «في ليلة الخامس من تموز، وفي نطاق الجيشين الثالث عشر والثامن والأربعين ألقي القبض على عدد من جنود الهندسة الألمان (النقّابين) الذين كانوا يكسحون حقول الألغام، وتم أسرهم. وقد أفاد هؤلاء، بأن الهجوم الألماني سيبدأ الساعة الثالثة صباحاً، وأن القوات الألمانية احتلت فعلاً قواعد الإنطلاق. لم يبق أمامنا حتى هذا الموعد سوى ساعة ونيّف فقط، وهل نثق، أم لا نثق بأقوال الأسرى الألمان؟.. إذا كان هؤلاء الأسرى يقولون الحقيقة، فإن علينا البدء بالتمهيد المدفعي المعاكس الذي خططنا له، والذي خُصّص له حوالي نصف وحدة نارية من قذائف المدفعية والهاون.

ليس لدينا متّسع من الوقت لاخذ الموافقة من هيئة القيادة العامة العليا. والموقف الذي نشأ الآن لايحتمل أي تباطؤ، وإلاّ فإن التأخير قد يسفر عن نتائج وخيمة. زد على ذلك أن ممثّل هيئة القيادة العليا .غ.ك.جوكوف الحاضر لدينا في هذه الأثناء والذي كان قد وصل إلينا مساءً- منذ قليل- صدّق على قراري بهذا الشأن. أرى أنه فعل الصواب، لأن ذلك سمح لي بإعطاء التعليمات فوراً إلى قائد

---

(١٠٥) عن كتاب "الإتجاه الجنوبي-الغربي" لمؤلفه. ك.س. موسكالينكو. موسكو ١٩٦٩م ص٢٨٦.

مدفعية الجبهة من أجل فتح النار.

في الساعة الثانية والدقيقة العشرين من صباح الخامس من تموز بدّد دوي المدافع وإنفجارات القذائف السكون الذي يسبق الفجر، والمخيم على السهل الفسيح، وعلى مواقع كلا الجانبين على قطاع عريض من الجبهة إلى الجنوب من بلدة أوريول.

لقد فتحت مدفعيتنا نيرانها في نطاق الجيش الثالث عشر، وجزئياً – في نطاق الجيش الثامن والأربعين، حيث كان من المنتظر أن يوجّه العدو ضربته الرئيسية، وقد تبيّن أن ذلك حدث قبل بدء التمهيد المدفعي لهجوم العدو بعشر دقائق فقط.

وأنهمرت على قوات العدو المتأهبة للهجوم، وعلى سرايا مدفعيته رمايات أكثر من ٥٠٠ مدفع و٤٦٠ هاون، و١٠٠ راجمة صواريخ طراز /م-٣٠/. وبنتيجة ذلك تكبّد العدو خسائر فادحة، ولاسيّما بالمدفعية، كما أصيب نظام القيادة والسيطرة على قواته بالشلل.

لقد أصيبت القوات الألمانية – الفاشية بالهلع والذعر. ورأى العدو أن الجانب السوفييتي نفسه انتقل إلى الهجوم. وقد أفشل هذا الخداع خطط العدو، طبعاً، وبث الذعر والإرباك في صفوف الجنود الألمان. وكان العدو يحتاج إلى حوالي ساعتين كي يعيد النظام والإنضباط، والهدوء إلى قواته. ولم يستطع البدء بالتمهيد المدفعي إلاّ في الساعة الرابعة والدقيقة الثلاثين. لكن هذا التمهيد بدأ بقوى مضعضعة، وبشكل غير منتظم (١٠٦).

تميّزت أعمال الجنرال ن.ف.ڤاتوتين الرامية إلى تضليل العدو وخداعه خلال ملحمة كورسك. ففي أثناء التحضير لعملية بيلغورود – خاركوف الهجومية (المخطط رقم ١٤) أسفرت التدابير والإجراءات المنظّمة والمنفّذة بصورة جيدة بهدف تشكيل إتجاه وهمي كاذب للضربة الرئيسية، عن إرغام العدو على تجميع

(١٠٦) "واجب الجندي" لمؤلفه ك.ك. روكوسوفسكي – موسكو ١٩٦٨م ص٢١٦، ٢١٧.

قواته على الإتجاه الكاذب، وعلى القيام بقصف جوي شديد لمناطق تحشّد قواتنا الوهمية المقلّدة على هذا الإتجاه.

ويحظى بالإهتمام أيضاً الدهاء العسكري ذو الأهمية الإستراتيجية، والذي أثبتت نجاعته أثناء التحضير "لعملية بيلا روسيا" في صيف عام ١٩٤٤م. كان الموقف يتطلب إعادة تجميع خمسة جيوش مشتركة وجيشين من الدبابات، وجيش جوي واحد. وقد نفذ عدد من هذه الجيوش إعادة التجميع على السكة الحديدية لمسافة ١٥٠٠-١٨٠٠كم بعد أن تحركت من إتجاه القرم ومن الإتجاهات الإستراتيجية الأخرى نحو بيلا روسيا. وبالإضافة إلى ذلك فقد نقلت هيئة القيادة العامة العليا خمسة فيالق دبابات وفيلقين ميكانيكيين وأربعة فيالق حرس وتشكيلات أخرى وقطعات من صنوف القوات تابعة لإحتياط القيادة العامة إلى الجبهات (١٠٧). إن إعادة التجميع السرّي والخفي لمثل هذا القوام من القوات إقتضى بذل الجهود المشتركة، والأعمال المنسّقة في تنظيم وتنفيذ التمويه من جانب هيئة القيادة العامة العليا والأركان العامة، ومن قبل كل جحفل مستقل أو تشكيل أو قطعة. لقد تحدّث عن ذلك بوضوح وجلاء مارشال الإتحاد السوفييتي. أ.م. ڤاسيلفسكي في مذكراته التي جاء فيها : «إن التدابير والإجراءات الخاصة بإعادة تجميع القوات، ونقل كل ماهو مطلوب وضروري لعملية بيلاروسيا من عمق البلاد، تطلّب المزيد من الأعمال والجهود والإهتمامات الكبرى من جانب اللجنة المركزية للحزب، والأركان العامة، والإدارات المركزية لوزارة الدفاع، وخطوط المواصلات. وهذا الحجم الهائل من الأعمال والمهام كان لابدّ من تنفيذه بأكمله في موقف يحتاج إلى السرّية التامة بغية إخفاء تلك الأعمال التحضيرية الهائلة عن العدو لتنفيذ عملية الصيف القادمة» (١٠٨).

الجدير بالذكر إن إعادة تجميع القوى من قبل جبهات بيلاروسيا الأولى والثانية والثالثة، وخروج القوات وتحركها إلى قواعد إنطلاقها، وكذلك تفريغ

---

(١٠٧) كتاب "مذكرات وتأملات" غ.ك. جوكوف - المجلد (٢) ص ٢٤٨.

(١٠٨) كتاب "قضية الحياة كلها" لمؤلفه . أ. ڤاسيليڤسكي. ص ٣٩٦.

القطارات وأرتال النقل – كل ذلك جرى خفية وتحت جنح الظلام بصورة عامة. أما في وقت الضوء فلم يسمح باستخدام أكثر من ١٠٠ آلية في كل جبهة. وضمن هذه الحدود والمعدّلات تقرّر العمل في الحالات الإستثنائية الخاصة : ففي حال ظهور طائرات إفرادية معادية يجب تغيير إتجاه سير الأرتال التي تتحرك نحو مناطق الإنطلاق، ليصبح على الإتجاه المعاكس. وكانت الدبابات، والتشكيلات الآلية والميكانيكية محتشدة – قبل بدء الهجوم – على مسافة ٣٠ – ٤٠كم وأكثر عن خط الجبهة.

لقد فُرضت الرقابة المشدّدة على تنفيذ القوات لتدابير وإجراءات التمويه والإخفاء. وأهتمت بهذه المسألة هيئة القيادة العامة العليا بالذات، التي طالبت بأن تُرفع التقارير اليومية إلى الأركان العامة حول نتائج تفقّد حالة السرّية والإخفاء للقوات. هذا وقد كُلّف بهذه المهمة ضباط من أركانات الجبهات والجيوش والفيالق، قاموا بجولات على محاور تحرك القوات، وحلّقوا بالطائرات فوق الأرتال، ومناطق الإستراحات النهارية، وخطوط السكك الحديدية. وتركّز الإهتمام بصورة خاصة على التأكّد من مدى تقيّد الأركانات والقوات بنظام الصمت اللاسلكي.

قام ممثلون عن هيئة القيادة العامة العليا والأركان العامة بتفقّد وإختبار وتنفيذ هذه التدابير بصورة منتظمة ودورية. ومن خلال تقديره لنتائج عملية بيلاروسيا كتب مارشال الإتحاد السوفييتي .أ.م. ڤاسيليڤسكي بصفته ممثلاً لهيئة القيادة العامة العليا لدى جبهة بيلاروسيا الثالثة يقول : «لقد تبيّن بنتيجة الإختبار، أن القيادة، والأركان، والإدارة السياسية للجبهة تولي الإهتمام الكبير لمسألة تمويه وإخفاء التشكيلات المشتركة، وتشكيلات الدبابات والمدفعية القادمة إلى الجبهة ... وقام ضباط من أركان الجبهة باستقبال القوات في محطات التفريغ، ورافقوها إلى مناطق التحشّد المحدّدة لها، مع التقيّد الصارم بتدابير التمويه والإخفاء» (١٠٩).

لقد نفّذت قوات جبهة بيلاروسيا الأولى أيضاً تدابير وإجراءات ضخمة

---

(١٠٩) "واجب الجندي" ك.ك. روكوسوڤسكي ص ٢٦٣.

بهدف الإخفاء وتضليل العدو وخداعه. وحول هذا الموضوع يقول مارشال الإتحاد السوفييتي .ك.ك. روكوسوفسكي في مذكراته : «لقد عولج ودُرس بدقة على الطبيعة كل شيء يتعلّق بالهجوم المرتقب – قيادة القوات عند بدء العملية، وخلالها، تمويه وإخفاء تحركات القوات الصديقة، نقل العتاد والذخائر، إختيار وتجهيز المحاور والطرقات، وكذلك كل الخدع والحيل التي من شأنها تضليل العدو ومنعه من إكتشاف نوايانا».

طلبنا من جميع الأركانات على مختلف مستوياتها أن تراقب وتتفقّد باستمرار التمويه الجيد من الأرض والجو وتتأكّد من إخفاء كل مايجري وماجرى تنفيذه من قبل قوات الجبهة. ولم يستطع الألمان أن يشاهدوا إلاّ مانريد لهم أن يشاهدوه، فالقطعات أُعيد تجميعها، وتحشّدت ليلاً، وتحركت القطارات التي تحمل هياكل الدبابات والمدافع من خطوط الجبهة إلى المؤخرة في وضح النهار. وفي العديد من الأماكن أقيمت المعابر الكاذبة كما تم شق الطرقات الوهمية. وحُشِدَ العديد من المدافع على الخطوط الثانوية، التي نفّذت عدداً من الرشقات النارية، ثمّ نقلت إلى المؤخرة، ووضعت بدلاً عنها هياكل المدافع في مرابض الرمي».

لقد نفذ الإستطلاع على طول إمتداد الجبهة، بصورة عامة، كما نفذ الإستطلاع الشخصي بمجموعات صغيرة (٢-٣) أشخاص، وحُظّر على جنود الدبابات، وبعض ضباط صنوف القوات الأخرى الظهور بألبستهم على الحد الأمامي.

إلاّ أنّ الغاية لم تكن حشد القوات والعتاد خفيةً على إتجاهات الضربات الرئيسية، وعدم خلق المبرّرات للعدو كي يحرك وينقل إحتياطاته العملياتية من القطّاعات الأخرى للجبهة السوفييتية – الألمانية. وقد كتب الجنرال . س.م. شيتمينكو في مذكراته حول تلك الأحداث : «في الثالث من أيار أُعطيت التعليمات التالية إلى قائد جبهة أوكرانيا الثالثة : «يلقى على عاتقكم القيام بالتدابير والإجراءات الخاصة بالتمويه من أجل خداع العدو، لذا يجب أن تظهر خلف

المجنبة اليمنى للجبهة حشود الثماني - تسع فرق مشاة معززة بالمدفعية والدبابات، ويجب تنشيط منطقة التحشد الكاذبة عن طريق تجهيزها وإظهار تحرك وتوضّع عدد من مجموعات الأشخاص، والآليات، والدبابات، والمدافع؛ ويجب نصب المدافع المضادة للطائرات في أماكن توضّع هياكل الدبابات، والمدفعية، ويجب أن يُمثّل في الوقت نفسه نظام الدفاع الجوي للمنطقة كلها عن طريق نصب وسائط المدفعية المضادة للطائرات وقيام الطيران المقاتل بأعمال الدورية».

لقد صدرت هذه التوجيهات أيضاً إلى جبهة البلطيق الثالثة. وقد طُلب إليها القيام بالأعمال التمويهيّة إلى الشرق من تشيريخ.

ابتلع العدو، على الفور، هذين الطعمين...

كان إبقاء جيوش الدبابات أيضاً على الإتجاه الجنوبي - الغربي نوعاً من أنواع التضليل الإعلامي. لقد لاحقنا الإستطلاع المعادي هنا أيضاً، وبما أن هذه الجيوش لم تحرك من أماكنها، فقد استنتج استطلاع العدو، أننا ننوي شن الهجوم هنا - أي من هذه الأماكن بالذات على الأرجح.

هذا وقد أتخذت الإجراءات لتأمين سرّية نوايانا. ففي عملية الإعداد المباشر لخطة الحملة الصيفيّة عامة، وعملية بيلاروسيا خاصة لم يشارك إلاّ عدد قليل جداً من الأشخاص، ولم يطّلع على هذه الخطط بشكل كامل إلا خمسة أشخاص هم : نائب القائد العام الأعلى، رئيس الأركان العامة، نائبه الأول، ورئيس هيئة العمليات وأحد نوابه. وقد حُظر على هؤلاء تحت طائلة المسؤولية، أي نوع من أعمال النسخ أو المكالمة الهاتفية أو الإرسال البرقي بشأن العملية، وفُرضت على هذه النشاطات الرقابة المشددة. وجرت في القوات الأعمال لتحسين الدفاع وتطويره، وقامت صحافة الجبهات والجيوش والفرق بنشر مواد حول مواضيع دفاعية فقط. كما أن النشاط الإعلامي والإذاعي تركّز على ضرورة التمسك بالمواضع والخطوط المحتلة.

إن هذه السلسلة الطويلة من تدابير وإجراءات التمويه العملياتي أثبتت نجاعتها في نهاية المطاف. ويؤكّد التاريخ أن الألمان وقعوا في أفخاخ الخداع وأنّهم ضُلّلوا فعلاً عن النوايا الحقيقية للقيادة السوفييتية. وقد جاء في مذكرات. ك. يتپليسكرخ، الذي كان يقود آنذاك الجيش الألماني الرابع، أن الجنرال موديل الذي كان قائداً للجبهة في غاليسيا، لم ير أية امكانية لهجوم الروس في أي مكان ما عدا القطاع الذي في مواجهته، والقيادة الألمانية العليا وافقته على هذا الرأي بشكل تام٠٠٠(١١٠)

اتخذت على نطاق واسع التدابير والإجراءات لتضليل العدو في عملية ياسي – كيشينيوف الهجومية الاستراتيجية التي نفذتها قوات الجبهتين الأوكرانيتين الثانية والثالثة (المخطط رقم ١٥)٠بموجب خطة جبهة أوكرانيا الثانية (التي يقودها جنرال الجيش ٠ر٠يا٠مالينوفسكي) تقرّر إخفاء التحضيرات للهجوم في الوسط (في نطاقي الجيش السابع والعشرين، والثاني والخمسين)، وتمثيل حشود التجمع الضارب بقوام جيش دبابات على الجناح الأيمن للجبهة (في نطاقي جيش الحرس السابع، والجيش الأربعين).

ومن أجل إعادة التجميع الخفي، ومناطق التحشّد للقوات على اتجاه الضربة الرئيسة، قام نقّابو (مهندسو) الجبهة خلال خمسة أيام بنصب ١٢٥ كم من الحُجُب والستائر العمودية، و ٢٥٠٠٠٠م٢ تقريباً من الحجب والأقنعة الأفقية، كما غيّروا معالم الأرض على مساحة ٩٠٠٠٠م٢ تقريباً٠ وقد تمّ تمثيل تحشد تجميع كبير من القوات في عشر مناطق في آن واحد٠ وأقام لواء الإقتحام الهندسي الرابع عشر وسريّة التمويه الخامسة والعشرون في المناطق الكاذبة ٢٥٠ هيكل دبابة، وحوالي ١٠٠ هيكل مدفع وهاون...(١١١).

---

(١١٠) "الأركان العامة في سنوات الحرب" س.م شيتمينكو. س.م. موسكو ١٩٧٥م المجلد (١) ص ٣٠٢-٣٠٤.

(١١١) "قوات الهندسة في الجيش السوفييتي" ١٩١٨-١٩٤٦ موسكو ١٩٨٦، ص٣٩٨.

ومما يشير إلى فعالية ونجاعة التدابير والإجراءات المتخذة والمنفذة، هو أن الطيران لم يقصف مرّة واحدة، خلال فترة التحضير للعملية، قطعات وتشكيلات جبهة أوكرانيا الثانية على إتجاه الضربة الرئيسية. ولم يتمكّن العدو من إكتشاف هذا الإتجاه على حقيقته، إلاّ قبل بدء موعد العملية بيوم واحد، أي في وقت لم يعد بإمكانه إتخاذ أي إجراء مضاد. وقد روعي أيضاً في فكرة قائد جبهة أوكرانيا الثالثة جنرال الجيش ف.ي. تولبوخين العمل على إخفاء تحشّد التجميع الضارب في وسط نطاق الجبهة، وإظهار التجميع الكاذب بقوام فيلق مشاة وفيلق ميكانيكي، وفرقة مدفعية على الجناح الأيمن للجبهة (أي على إتجاه كيشينيوف).

هاهو مارشال الإتحاد السوفييتي .س.س. بيريوزوف، الذي كان آنذاك رئيساً لأركان جبهة أوكرانيا الثالثة يتحدّث حول كيفية التظاهر بحشد القوات في المناطق الكاذبة بقوله : «لقد مثّلنا تحشد الفيلق الميكانيكي في منطقة ريمارفكا، وفيلق المشاة -في كارمانوفو، وفرقة المدفعية - في منطقة غريغوريبول - تاشليك. لقد تمّ تنفيذ كل شيء بدقة. إذ أن محطات السكك الحديدية، التي زُعم أنها تقوم بتحميل القوات، عملت ليل نهار وبجهود مضنية. وانطلقت من منطقة التحشد الحقيقي لقواتنا الآليات والدبابات، ووحدات المشاة على الطرقات المكشوفة. وقد جرى ذلك كله قبل حلول المساء، وذلك لإيهام العدو بأن قواتنا تشرع بالتحشد فعلاً مع حلول الظلام. والحقيقة هي أن القوات عادت أدراجها ليلاً. ولم يبق في مكان التحشّد الكاذب، إلاّ كالسابق - فوج إحتياط واحد، ولواء هندسة، وكتيبتا هندسة إنشاءات. لقد مثّلت هذه القوات، بفعالية ونشاط، توضّع التشكيلات التي وصلت إلى المنطقة مجدداً : حيث أطلقت المطابخ الميدانية دخانها، وأقيمت هياكل الدبابات في القطاعات المرئية. ومن هناك أخذت المحطات اللاسلكية تبث وترسل الإشارات والإيعازات الوهمية، مخالفة بذلك قواعد التخاطب والعمل.

ولكي تأخذ منطقة التحشد الكاذبة طابعها الكامل والقريب جداً من الطابع الحقيقي فقد تمت تغطيتها بالمدفعية المضادة للطائرات والطائرات على الوجه

الأكمل. وعند ظهور طائرات الإستطلاع المعادية، كانت تفتح عليها النيران الحقيقية والغزيرة من الأرض، وتهاجمها مقاتلاتنا فوراً.

وبذلك فإن النوايا كانت تتجه نحو تحقيق هدف مزدوج هو : خلق إنطباع وهمي بوجود وتغطية قوية لتجميع ضخم من القوات لاوجود له في الحقيقة من جهة، ومن جهة أخرى منع الإستطلاع المعادي من إكتشاف حقيقة الأمر في هذه المنطقة، وبالتالي كشف فكرتنا الحقيقية.

لقد أصبحنا فيما بعد، على قناعة تامة، بأن جميع إجراءات التمويه العملياتي هذه، أثبتت نجاعتها، وكان لها مايبررها. فالعدو ظل يعتقد، ليس حتى لحظة إختراق دفاعه، بل وحتى اليوم الثاني لهجومنا، بأن ضربتنا الرئيسية ستكون على إتجاه كيشينيوف. وأعتقد بأن الأعمال من رأس جسر كيتسكان ماهي إلاّ أعمال تظاهرية ملفتة للنظر. ولم يشعر العدو بحقيقة موقفه المأساوي إلاّ في نهاية اليوم الثاني من المعارك الضارية. وهكذا أستطعنا أن نخفي عن أنظار العدو إعادة التجميع الحقيقي للقوات عن طريق القيام بسلسلة كاملة من المناورات الخداعية» (١١٢).

وقد تم في منطقة التحشد الكاذبة إنشاء ٥٢٠٥ مساتر كاذبة مختلفة الأنواع، و١٠٤ مستودعات، وإقامة ٥١٤ هيكل دبابة ومدفع وسيارة (١١٣).

لقد لعب الدهاء العسكري دوراً حاسماً في عملية «ياسي- كيشينيوف» فقد قامت جبهتان بالأعمال التظاهرية والتقليدية الناجحة لتمثيل تحشد القوات الضخمة والتحضير للخرق بإتجاه كيشينيوف. وبذلك ثبتت الجبهتان على هذا الإتجاه الكاذب القوى الرئيسية لمجموعة جيوش «جنوب أوكرانيا» الألمانية، التي اكتشفت الخطر الذي يهدّدها من الأجناب، ولذلك لم تتمكن من الإنسحاب المنظّم، ووقعت في فخ التطويق. وقد أعلنت القيادة الألمانية بأن القوات السوفييتية ستوجّه الضربة في منطقة كيشينيوف بالذات وليس في أي مكان آخر.

(١١٢) "السنوات العصيبة" س.س. بيريوزوف. موسكو ١٩٦٦م، ص٣٥٤.

(١١٣) "فرسان ياسي- كيشينوف" موسكو ١٩٦٤م، ص ٩٢.

في الفترة بين عامي ١٩٤٤-١٩٤٥م كانت القيادة الهتلرية تعلّق الآمال على حتمية تفكك التحالف المضاد للهتلرية، ولهذه الغاية أخذت تسعى إلى الدفاع العنيد وإعاقة التقدم اللاحق للقوات السوفييتية، وكسب الوقت. وقد أقام الهتلريون على جميع الإتجاهات دفاعاً محصناً وعميقاً من عدة أنساق ومجهّز بشبكة متطورة من الخنادق، وخنادق المواصلات، والحواجز المضادة للمشاة، مستفيدين، إلى أقصى حد ممكن من ظروف الأرض والتضاريس الطبيعية الملائمة لذلك.

كان خرق مثل هذا الدفاع يتطلّب تشكيل تجمعات ضاربة قويّة، وتفوقاً حاسماً بالقوى والوسائط على العدو. وكان يستحيل تحقيق أفضل النتائج بأقل قدر ممكن من الخسائر والإصابات، إلاّفي حال توفر عنصر المفاجأة للضربة.

إنّ وجود زمام المبادرة الإستراتيجية في يد القيادة السوفييتية العليا، والتي كانت تمتلك أيضاً إحتياطات استراتيجية ضخمة، أمّن لها حرية إختيار الزمن والمكان المناسبين لتوجيه الضربات وتحديد تلك التجمعات المعادية التي ينبغي تدميرها.

ومن بين المفاجآت التي تعرض لها الألمان خلال فترة ١٩٤٤-١٩٤٥م، قيام الجيش السوفييتي في تلك الفترة بالتحضيرات السريّة لعمليات استراتيجية ضخمة متتالية - الواحدة تلو الأخرى - وعلى إتجاهات مختلفة، ومتباعدة، تفصل بينها مجالات واسعة. فالقيادة الألمانية التي كانت تُضلّل على المستوى الإستراتيجي، لم تعلم أين ستقع الضربات التالية، الأمر الذي كان يرغمها على القيام مراراً، بإعادة التجميع الإستراتيجي الضخم، مع نقل إحتياطاتها من قطّاع لآخر. إلاّ أنّ هذا كلّه لم ينقذ الموقف، كما أن الإحتياطات المنقولة على عجل إلى القطاعات المهددة لم يتأمن لها الإخفاء الجيد، ولم تصل في الأوقات المحددة لها، ولذلك فإن ضربات الجيش السوفييتي كانت مفاجئة من حيث الزمان والمكان.

ومما يلفت الإهتمام في هذا المضمار - التحضيرات لعملية - فيسلو- أودر التي نفذتها جبهة أوكرانيا الأولى، وجبهة بيلاروسيا الأولى في نهاية عام ١٩٤٤

ومطلع عام ١٩٤٥. فقد كان على قوات الجبهتين تحضير وتنفيذ أعمال الخرق للدفاع المعادي من رؤوس جسور محدودة المساحة، والتي يجب أن تُحشد فيها أعداد كبيرة من المعدات والأسلحة، والقوات، وتموّه.

بناءً على فكرة قائد جبهة أوكرانيا الأولى مارشال الإتحاد السوفييتي ي.س كونييف كان ينبغي حشد تجميع الجبهة الضارب خفية في رأس جسر ساندومير مع التظاهر في الوقت نفسه بالتحضير للهجوم بإتجاه كراكوف.

ومن أجل المحافظة على السرّية في الإعداد للعملية لم يشارك في ذلك سوى عدد محدود جداً من الأشخاص، الذين أسندت لهم المهام كلّ فيما يخصّه فقط، وأعدت الوثائق على نسخة واحدة فقط لكل منها. وحُظّرت المكالمات بشأن التحضير للعملية، ونشرت صحافة الجبهة مقالات ذات طابع دفاعي. وأُرسلت إلى القوات مذكرات تتضمن تعليمات حول إقامة المنشآت والتحصينات الدفاعية.

أضف إلى ذلك أن تحقيق إخفاء التحضير للهجوم على إتجاه الضربة الرئيسية، لايمكن إلاّ عن طريق التمويه الدقيق للقوات القادمة إليه، ومراعاة هذه القوات لإنضباط الإخفاء، سواء أكان ذلك أثناء التحرك أم في منطقة التحشد.

فمن أجل التمويه والإخفاء على جبهة أوكرانيا الأولى أُستخدمت بنجاح الحجب والستائر العمودية على ارتفاع ٢,٠م، والتي سمحت للقوات الصديقة بتنفيذ الرصد والمراقبة وفتح النار على العدو. كما جرى تمويه مرابض رمي المدفعية التي تقع في مدى رؤية العدو عن طريق استخدام الستائر العمودية المتصلة على ارتفاع ٣-٤م. وحتى كانون الأول عام ١٩٤٤م نصبت قوات الجبهة أكثر من ٧٣كم من الستائر العمودية في رأس جسر ساندومير لتمويه المدفعية فقط، أما المجموع فقد بلغ ٢٤٠ كم من الستائر العمودية على جوانب الطرقات، و١٩ كم من الستائر الأفقية على الطرقات.

ولتحقيق أكبر قدر من الإخفاء والسرّية، لم تُسلم مخططات المحاور إلى قيادة القطعات المتحركة والمتقدمة إلى رأس الجسر، إلا قبل موعد التحرك بخمسة

أيام. وقد تم تحشد القوات في رأس الجسر ليلاً مع التقيّد الصارم بتدابير وإجراءات التمويه الضوئي والصوتي ، حيث شكلت أركان الجبهة نقاط للمراقبة الأرضية والجوية للتحقّق من التمويه الضوئي، وإنضباط المسير.

واتخذت قوات الجبهة في نفس الوقت التدابير الكفيلة بتضليل العدو. ففي نطاق دفاع الجيش الستين (بقيادة الجنرال ب.أ. كوروتشكين) جرت الأعمال التظاهرية والتقليدية لتشكيل تجمع كاذب بقوام جيش دبابات وفيلق دبابات. ومن أجل القيام بهذه الأعمال والإجراءات تم تخصيص ثلاث كتائب مشاة وأربع كتائب هندسة، وسرية دبابات، وقاعدتين لراجمات الصواريخ، وثلاث كتائب مدفعية، وسرية التمويه المستقلة الثانية والعشرين، وثلاث سرايا مضادة للطائرات.

ويهدف الإستعراض والتظاهر قام فيلق الدبابات الرابع (بقيادة الجنرال ب.ب. بولوبوياروف) بمسير نهاري وخرج إلى منطقة التحشد الكاذب. واكتشف طيران الإستطلاع الألماني تحركات الدبابات. وبعد يوم واحد غادر الفيلق المنطقة تحت جنح الظلام إلى رأس الجسر، وفور خروج الدبابات من المنطقة الكاذبة، أقيمت فيها هياكل الدبابات الوهمية. وأقيم حتى بدء الهجوم ٤٠٠ هيكل دبابة طراز ت - ٣٤ وأكثر من ١٠٠٠ هيكل مدفع وهاون، وحوالي ٥٠٠ هيكل سيارة.

ونُفذت أعمال أخرى من أجل تنشيط المناطق الكاذبة، حيث وضعت مولدات صوتية ينبعث عنها ضجيج يشبه ضجيج محركات الدبابات، وجرت إصلاحات للمعدات ... الخ. كما شكلت مجموعات خاصة مزوّدة بمحطات لاسلكية، وقامت هذه المجموعات بإتصالات وهمية تظاهرية مع قيادات وأركان عليا.

تقرر أيضاً قيام المشاة والدبابات بهجمات كاذبة ترمي إلى لفت إنتباه العدو وصرف أنظاره عن إتجاه الضربة الرئيسية، وكشف جهاز النيران للدفاع المعادي.

لقد نفذت ببراعة وإتقان الإجراءات المتعلقة بخداع العدو وتضليله على

جبهة بيلاروسيا الأولى (التي كان يقودها مارشال الإتحاد السوفييتي .غ.ك. جوكوف). فبموجب الخطة الموضوعة أرسل كل من فيلق الدبابات التاسع، وفيلق الدبابات الثاني عشر برقية لاسلكية إلى قائد جيش الدبابات الثاني الجنرال .س.ي بوغدانوف جاء فيها : «تلقيت مهمة الهجوم على دانتزيغ والوقود كاف». لقد حقّق هذا التضليل الإعلامي أهدافه. فبعد أن صدّق العدو ما جاء في البرقية سحب قطعاته من منطقة تشارنكوف، وتركها بدون حماية تقريبا، ووجّهها إلى تعزيز إتجاه دانتزيغ (١١٤). وبهدف المحافظة على سرّية التحضير للهجوم، أسندت المهام إلى القوات قبيل الهجوم مباشرة : للفيلق - قبل الموعد بخمسة أيام، ولفرق وأفواج النسق الأول (شفهياً) - قبل الموعد بثلاثة أيام؛ ولفرقة النسق الثاني، وكتائب وسرايا النسق الأول - قبل موعد بدء الهجوم بيومين (١١٥). ولم يُسمح بنقل الذخائر إلى الحد الأمامي مباشرة. وعلى سبيل المثال فقد أمر قائد الجيش الضارب الخامس الجنرال ن.ي. بيرزارين بعدم نقل الذخائر إلى مسافة تقل عن ٥-٦كم عن خط الحد الأمامي. ومن أجل إخفاء تقدّم القوات وُضعت على الأقسام الأمامية والجانبية للدبابات ألواح خشبية أمكن بفضلها إمتصاص الضجيج إلى حد كبير. وفي الجيش الميداني الثامن (الذي يقوده الجنرال ڤ.ي. تشويكوف) تم تخميد الضجيج بأجهزة خاصة. ومع هذا كله، فإن تنفيذ تلك الإجراءات والأعمال لم يؤمن الإخفاء التام لتحضيرات الهجوم. فالقيادة الألمانية الفاشية علمت بالتحضير للهجوم قبل موعده بثلاثة - أربعة أيام. إلاّ أن ما حصل عليه العدو من معلومات عن الهجوم المرتقب لم يكن كافياً بعد. فلم تكن لديه معلومات عن قوة الضربةالسوفييتية. زد على ذلك أنه لم يعد في إستطاعته إتخاذ الإجراءات المضادة خلال الوقت المتبقي لديه.

---

(١١٤) "الموسوعة العسكرية السوفييتية" موسكو ١٩٧٧ - المجلد (٣) ص ١٣٠.

(١١٥) "عمليات القوات المسلحة السوفييتية خلال الحرب الوطنية العظمى ١٩٤١-١٩٤٥" موسكو ١٩٥٩ - المجلد (٤) ص ١٢٢.

وطالما أن العدو كان يعرف جيداً طرق أعمال مدفعيتنا، فإنه أستطاع أن يسحب -مسبقاً- قواته إلى الموضع الثاني - ولذلك قررّت قيادة الجبهة خداعه، وتنفيذ التمهيد المدفعي للهجوم، ليس في وقت الضوء، كما اعتاد العدو على ذلك، بل قبيل الفجر - أي بصبيب ناري لمدة ٢٥ دقيقة وبكامل قوام مدفعية الجبهة، ومن ثم تنتقل الكتائب الأمامية إلى الهجوم. أخذ هذا الصبيب الناري القوي العدو على حين غرّة، دون أن يتمكّن من إدخال جنوده إلى المساتر، وبذلك تكبّد الخسائر الفادحة. مما أدى إلى نجاح الهجوم.

من الملفت للإنتباه في مجرى عملية فيسلو - أودر طبيعة الإبتكار في قرار مارشال الإتحاد السوفييتي .ي.س كونييف بشأن الإستيلاء على منطقة سيليزيا الصناعية (خلال عملية ساندومير- سيليزيا ١٩٤٥) - المخطط رقم ١٦ - كانت جبهة أوكرانيا الأولى في نهاية كانون الثاني تمتلك الإمكانيات الحقيقية لتطويق تجميع قوات سيليزيا الألمانية تطويقاً كاملاً. إلاّ أن قائد الجبهة اتّخذ قراره على النحو التالي : تطويق العدو مع ترك ممر في نفس الوقت بين جيش الدبابات الثالث والجيش التاسع والخمسين بعرض ٤-٦كم، وتوجيه الضربات الحاسمة بالقوى المتبقية من الجيشين : التاسع والخمسين والثالث دبابات من الأجناب، والجيش الحادي والعشرين - من الأمام لإرغام العدو على الإنسحاب والخروج من المنطقة الصناعية. وقد نُفذّت هذه الخطة على الوجه الأكمل. لأن الهجوم الكاسح والحاسم للقوات السوفييتية من الشرق والشمال والغرب جعل العدو يتخلّى - على عجل- عن المدن الهامة في سيليزيا ويتراجع باتجاه الجنوب الغربي.

وفيما بعد، وفي ايلول عام ١٩٤٥م تحدّث .ي.س. كونييف، في كلمة له، عن أسباب إتخاذ مثل هذا القرار، فقال : إن منطقة سيليزيا الصناعية في حد ذاتها مدينة منتشرة ومتباعدة، قوامها المصانع والمعامل والمؤسسات والمنشآت الصناعية المتصلة ببعضها البعض. ومعركة التطويق وتدمير القوات الفاشية داخل هذه

المنطقة من شأنه أن يؤدي إلى خراب كبير في المصانع والمعامل والمناجم الثمينة. وكان من المهم المحافظة على « سلامة هذه المنطقة الغنيّة لصالح أصدقائنا البولونيين. وفي مجال تعليل هذا القرار يقول المارشال ي.س. كونييف : «قد تتشكل في الحرب مواقف توفر لك إمكانية التنفيذ الناجح لهذه العملية أو تلك – على مستوى الجبهة – إلاّ أن ذلك قد لايتوقف على المصالح العامة. هناك مصالح دولية عليا، وهذه المصالح هي التي أملَتْ قرار العملية المناسب في ذلك الموقف» (١١٦).

على الرغم من التفوّق الكبير على الألمان خلال التحضير لعملية برلين، فإن عدداً من التدابير والإجراءات قد اتّخذ من أجل تأمين السرّية والإخفاء وتضليل العدو. وعلى سبيل المثال : صدر أمر كاذب بشأن تنحية مارشال الإتحاد السوفييتي .غ.ك. جوكوف عن قيادة جبهة بيلاروسيا الأولى، وتعيين جنرال الجيش .ف.د. سوكولوفسكي قائداً لقوات هذه الجبهة (١١٧). كما سُرّبت إلى مواقع قوات الألمان وثائق تتحدث عن إنتقال القوات السوفييتية إلى الدفاع، ورسائل الضباط التي يعبر فيها مرسلوها عن إستيائهم من الإنتقال إلى الأعمال السلبية. وعُقدت للجنود ندوات توعية وتوجيه حول ضرورة التمسّك بالخطوط المحتلة إستعداداً لدفاع طويل الأمد. ومن أجل تمويه خروج الدبابات وتحركها إلى مواضع الإنطلاق أستخدمت الستائر الدخانية، كما أطلقت نيران شديدة من الرشاشات ومدافع الهاون.

وبما أنه من غير الممكن إخفاء تحضيرات ثلاث جبهات للهجوم بالكامل، فقد لجأت القيادة السوفييتية إلى أساليب جديدة لخداع الألمان وتضليلهم. فالإستطلاع القتالي الذي نفّذته الكتائب المعزّزة، والذي توقّف نشاطه بعد حين على جبهة عريضة، أعتبره الألمان هجوماً فاشلاً، الأمر الذي أدّى إلى تضليلهم وعدم تمكّنهم من تحديد موعد بدء عملية برلين.

(١١٦) "المبادىء الأساسية لفن العمليات والتكتيك" موسكو ١٩٧٢ ص ٣٣٨.

(١١٧) "مجلة التاريخ العسكري" ١٩٧٥ العدد الرابع. ص ١٠٨.

يقول القائد الألماني السابق المسؤول عن الدفاع في برلين – الجنرال ويدلينغ في مذكراته : «إن عدم قيام الروس بشن الهجوم بعد أعمال مفارزهم الإستطلاعية يومي ١٤و١٥ نيسان، أدى إلى تضليل قيادتنا، وقد قال لي رئيس أركاني العقيد فون دوفنيغ شخصياً في ١٥ نيسان بأنه طلب من رئيس أركان فيلق الدبابات الحادي عشر إذناً لإستبدال الفرقة الميكانيكية العشرين بفرقة "مونخيبرغ" عشيّة الهجوم الروسي – فأجابه الأخير : إذا لم يبدأ الروس هجومهم اليوم فإنهم لن يشنّوه إلا بعد بضعة أيام وقد شاركه بهذا الرأي ضباط آخرون في الجيش التاسع» (١١٨).

إن التمهيد المدفعي القوي للهجوم لمدة عشرين دقيقة والهجوم الليلي الذي أعقبه بقوى الدبابات والمشاة مع إستخدام ١٤٠ كاشفاً ضوئياً كان بالنسبة للألمان مفاجأة تامة. الأمر الذي سمح للقوات السوفييتية باختراق النطاق الأول الرئيسي للدفاع الألماني. الجدير بالإهتمام على هذا الصعيد أيضاً، التطوّر اللاحق للدهاء العسكري خلال عملية سحق جيش كونتون (المخطط رقم ١٧). فقد شدّدت هيئة القيادة العامة العليا على ضرورة التقيّد التام بالسريّة والإخفاء أثناء التحضير لعملية الشرق الأقصى، وعلى وجوب خداع العدو وتضليله. وفي هذا الصدد كتب مارشال الإتحاد السوفييتي ك.أ. ميريتشكوف يقول : «لقد تبيّن أنّ المحافظة على السرية لإخفاء إنتشار جيش يزيد قوامه على المليون والنصف، وعلى إمتداد حدود طويلة جداً، مسألة في غاية الصعوبة، لابل في حكم المستحيل. ومع ذلك فقد أخذنا اليابانيين على حين غرّة، إنهم عرفوا بأننا نحضّر لعمليات قادمة وإستعدوا لذلك كلّ الإستعداد، إلاّ أن موعد بدء المعارك ظل بالنسبة لهم سراً وراء سبعة أبواب مُوصدة، الحقيقة، هي أن الخداع الإعلامي لتضليل العدو لم يلعب الدور الأخير في هذا المضمار. فعندما توجهت أنا والضباط الذين كانوا قد كُلفوا للعمل في قيادة جبهة الشرق الأقصى الأولى، قاصدين الشرق العتيد، اتخذنا جميع الإجراءات الكفيلة بعدم تسرّب أي من المعلومات إلى خارج القطار

(١١٨) "مجلة التاريخ العسكري" ١٩٥٩ – العدد الخامس – ص ٩٠.

الذي كان يقلّنا، والذي أختير من بين القطارات العادية جداً، وأعطي له الرقم ١ العادي جداً : فلم نرسل من داخله أية رسائل غير ضرورية، وعلّقت في المحطات لائحة "كل البطاقات مبيعة" قبل وصول القطار اليها. كما أنني أعلمت ضباط الأركان بأننا ذاهبون إلى نوفوسيبيرسك. وعندما وصلنا إلى نوفوسيبيرك قلت أننا ذاهبون إلى كراسنويارك، ثم إلى ايركوتسك. وفي أيركوتسك - ذكرت لهم أننا قاصدون خاباروفسك، وفي هذه المدينة فقط أعلمتهم بمحطتنا الأخيرة في فوروشيلوف - أوسورسكي. وعندما أرسل المقدم سوسلوف - أثناء توقّف القطار في أومسك برقية إلى زوجته في ياروسلافل وذكر لها فيها مكان وجوده في تلك اللحظة- عُقد إجتماع حزبي للبحث في هذه المسألة. لقد التقطنا البرقية طبعاً، وأتلفناها، ولم تتكرر بعد ذلك مثل هذه الحادثة.

كنت أرتدي لباس الجندي العادي، وأعطيت لي وللعاملين معي في القيادة الميدانية للجبهة رتب عسكرية وهمية أدنى بكثير من رتبنا الحقيقية، مع العلم أننا لم نحمل شارات الرتب إلاّ عند الضرورة القصوى، وكنّا ننادي بعضنا برتب وأسماء حركية (اصطلاحية): أنا مثلاً أطلقوا عليّ تسمية «الجنرال ماكسيموف» وعضو المجلس العسكري شتيكوف أعطي أسم شورين، ورئيس الأركان كروتيكوف أعطي أسم كيسيليف .... وهكذا ... .

عندما ألتقيت في خاباروفسك مع أحد ضباطي الذين خدموا تحت قيادتي سابقاً، وهو م.أ. يوركايف الذي يعرفني جيداً، سألني متعجّباً وهو يشير إلى رتبتي التي أحملها «رتبة لواء» ما الذي حدث لك يا كيريك أفانا سييفيتش. فأبتسمت له بهدوء وأجبته بأن كل شيء ممكن على هذه الأرض، وأبرزت له البطاقة التي تحمل توقيع القائد العام. وتبين له من البطاقة أن الذي يقف أمام يوركايف هو ماكسيموف. أعتقد أن ذلك الجنرال فهم كل شيء، فلذلك لم يوجّه أي سؤال آخر لي، ولا سيما أنه كان قد أجتمَع منذ فترة قصيرة بقائد جبهة ما وراء البايكال اللواء موروزف (المارشال. ر. يا. مالينوفسكي)، ورئيس أركان تلك

الجبهة اللواء زولوتوف (جنرال الجيش.م. ف. زاخاروف)، وأخيرا بنائب وزيرالدفاع اللواء ڤاسيليف (المارشال أ. م. ڤاسيليفسكي). أما بشأن اليابانيين فإنهم استطاعوا معرفة بعض وظائفنا العسكرية، إلاّ أنهم لم يتمكّنوا من معرفة حقيقة تلك الأسماء والرتب الوهمية (وهذا ما تبيّن من خلال أستجواب عدد من جنرالاتهم).

تأكّد أخيراً لقبي الحركي «ماكسيموف» لأنه كان يعمل هناك في بريموري (في المنطقة الساحلية) جنرال سوڤييتي آخر يدعى - ماكسيموف - حقيقةً - وهو قائد لأحد الجيوش هناك. وأنا كنت على يقين بأن اليابانيين سيتعقّبونه من مكان لآخر، ويتلقّفون أوامره غير آبهين بتقارير عملائهم الذين لا نشك بوجودهم في كل مكان. أخيراً كان الجنرالات اليابانيون الأسرى توّاقين - أثناء إستجوابهم - لمعرفة من هو ماكسيموف الحقيقي الذي كان يقود قوات جبهة الشرق الأقصى الأولى. كانت القيادة العامة قد أتبعت هذا الأسلوب من قبل بوجه عام لتضليل العدو وخداعه : ففي عملية ستالينغراد مثلاً، أطلق على غ.ك. جوكوف أسم "كونستانيتنوف" وعلى ن.ف. ڤاتوتين - أسم "ڤيدورڤ" وعلى .أ.ي. يريمينكو - إسم "أيڤانوڤ" و أ.م. ڤاسيليڤسكي - أسم "ميخايلوڤ" و ي.ڤ. ستالين- أسم "ڤاسيليڤ" وفي ملحمة كورسك أخذ غ.ك. جوكوڤ أسم "يوربيڤ" وي.ڤ. ستالين - أسم "أيڤانوڤ" وك.ك. روكوسوڤسكي - إسم "كوستين". وفي عملية كورسون - شيڤيتشينكو حمل .ي.س. كونييڤ أسم "ستيبين"، كما حمل ن.ڤ. ڤاتوتين - إسم "نيكولاييڤ" . وفي عملية بيلاروسيا أطلق على ي.ڤ. ستالين اسم "سيمونوڤ" و ي.د. تشيرناخوڤسكي - أسم تشيرنوڤ.....

تقلّص إلى حد كبير عدد الذين شاركوا في إعداد خطط عمليات الجبهات والجيوش وأسطول المحيط الهادي. وتحت غطاء السرّية والكتمان الشديدين جرى أيضاً حشد، وإعادة تجميع، وإنتشار القوات في قواعد الإنطلاق واتّخذت إدارة النقل من أجل تأمين السرّية والإخفاء للنقليات الإستراتيجية بالسكك الحديدية

الإجراءات التالية : تقليص عدد المسموح لهم بالمشاركة في النقليات العسكريه المركزية (الإستراتيجية) إلى حد كبير، وكذلك عدد الذين شاركوا في إعداد الوثائق المتعلّقة بذلك، وأعطيت الرموز والأرقام لمحطات التفريغ وخدمة القطارات؛ وكان يخضع إرسال التقارير والنشرات حول تحركات القطارات لمراقبة شديدة من قبل ضباط مصلحة النقل العسكري، كما مُنعت منعاً باتاً المكالمات الهاتفية بهذا الشأن، وتحركّت مجموعات القطارات العسكرية تحت جنح الظلام في القطّاعات الحدودية من الشرق الأقصى، كما تمّ تفريغ القطارات ليلاً على سكة الحديد الساحلية الواقعة قرب الحدود. وعبر عدد من القطارات محطات وهمية وأجريت الصيانة الفنية لعدد من القطارات في المحطات الوسيطة. واتُّخذت ونفّذت جميع التدابير والإجراءات المتعلّقة بتحركات القوات على شكل تدريبات عملية وذلك بغية تضليل العدو وخداعه.

فقد جرى تحركّات قوات الجيش الخامس، مثلاً، نحو الحدود الدولية على أساس خطّة وضعت لإجراء المشاريع والتمارين. وقام الجيش الأول بإخلاء نطاق الهجوم للجيش الخامس، وأعاد تجميع قواته بناءً على توجيه عملياتي خاص بالتدريب "توجيه تدريبي". بينما واصلت القوات الحدودية أعمالها وخدماتها في قطاعاتها السابقة كالمعتاد. حيث واصلت الفرق الخاصة لجمع الحشائش اليابسة والمكلفة بجمع محصول الأعلاف، أعمالها في كافة القطّاعات الواقعة تحت أنظار العدو، مُظهرة بذلك سيرة الحياة الإعتيادية للحاميات والمناطق في ذلك الفصل من السنة. وأرسل الضباط إلى المصحّات ودور الراحة المحلية في فترة الإجازات.

ومما زاد في خداع العدو وتضليله هو أن السكان المحليين في المنطقة الحدودية لم يَجْلوا عن أماكن سكناهم، وواصلوا حياتهم اليومية كالمعتاد، دون أي تغيير في نمط هذه الحياة. كما جرت تحركات القوات بإتجاه خط الحدود الدولية تحت ستار عدد من المشاريع والتمارين التي نظر إليها السكان وكأنها دروس عسكرية عادية. وروعي التمويه الضوئي بحذر شديد بغية المحافظة على السرّية

والإخفاء في تحركات القوات، أي أن وسائط النقل مُنعت من إستخدام الأنوار وهي على مسافة ٦–٨ كم عن الحدود الدولية.

وقد حُددت الإستراحات القصيرة والطويلة (اليومية) للقوات المتحركة في الغابات والوديان، وتم إخفاء الدبابات والسيارات والمدافع في حُفر حُضّرت خصيصاً لذلك ومغطاة من الأعلى بشبكات تمويه أو بمواد محلية في المناطق السهلية من داوريا ومنغوليا.

وقد شُكّلت مجموعات من ضباط أركان الجبهات والجيوش، بناء على تعليمات خاصة، من أجل التأكّد من تقيّد القوات بتدابير التمويه والإخفاء.

لم تعمل في أثناء التحضير والإعداد للعملية إلاّ المحطات اللاسلكية العائدة للقطعات والتشكيلات المتواجدة هناك من قبل، كما سعى قادة الجبهات والجيوش إلى تحقيق السرّية التامة للأعمال.

وتمّ إعداد خطة خاصة في كل جبهة، جرت بموجبها أعمال كاذبة لنقل القوات بالسكك الحديدية والسيارات وتجهيز مناطق كاذبة لتحشّد القوات، وأقيمت السواتر العمودية والأفقية على إمتداد الطرقات الواقعة تحت أنظار العدو. فقد أقيم في نطاق الجيش الخامس فقط وعلى إتجاه ضربته الرئيسية، ١٥كم من السواتر العمودية و١٥١٥ ساتراً أفقياً.

كانت منطقة ماوراء البايكال تفتقر إلى المساتر الطبيعية ولذلك أستخدمت على نطاق واسع وسائط التمويه النظامية والمواد المحلية المتوفرة. ففي قوات جبهة ماوراء البايكال وحدها، أستُهلكت ١٦٢٤٨ شبكة تمويه، و٦٤١١٠ شباك للرماية و١٤٠٦ أغطية للدبابات، و٢٥٠ بساط تمويه، إلاّ أنّه في مناطق التحشد لقوات جبهات الشرق الأقصى أستخدمت على نطاق واسع السواتر الطبيعية (الغابات، الأدغال، الأحراج، الوهاد والوديان ...الخ). بينما انحصرت الأعمال التمويهية بصورة أساسية في إخفاء القطّاعات والطرقات الموجودة من جانب العدو بوساطة السواتر العمودية

والأفقية (١١٩).

وهكذا يتضّح أن أساليب وطرق الدهاء العسكري خلال عملية سحق جيش كوانتون تتمثّل في عدد من الإجراءات والتدابير التي أتخذتها القيادة والقوات، والتي لعبت دورها الهام في نهاية المطاف.

لقد أعترف قائد الجيش الياباني الخامس اللواء سيميزو نوريسوني فيما بعد قائلاً : "كان هجوم القوات الروسية مفاجئاً بالنسبة لنا كلّ المفاجأة" (١٢٠).

إن الدهاء العسكري على المستوى الإستراتيجي كان قد وُلِدَ وترعرع على المستويات العملياتية والتكتيكية. ففي أثناء الأعمال القتالية والعمليات حصل القادة بمختلف مستوياتهم، على الخبرات القتالية، بما في ذلك خبرات الدهاء العسكري. وقد تطورت وتحسّنت، قبل كل شيء، طرق تحضير القوات خفيةً، وطرق تضليل العدو.

إن مايدل على الأهمية التي أولاها القادة والمسؤولون السوفييت للدهاء العسكري خلال عمليات الحرب العالمية الثانية، تلك التوجيهات التي أصدرها قائد الجبهة الغربية مارشال الإتحاد السوفييتي غ.ك. جوكوف، حول تحضير وتنظيم الأعمال القتالية الهجومية، وذلك بعد سحق القوات الألمانية - الفاشية في ضواحي موسكو. وقد جاء في تلك التوجيهات أنّ النجاح الرائع كان دوماً يتحقّق حيث تستخدم القوات السوفييتية التحضير الخفي وخداع العدو، وعلى العكس من ذلك - عندما يستطيع العدو كشف أفكارنا، كنّا نتكبّد غالباً الخسائر الفادحة دون تحقيق النجاح المطلوب.

لقد أشار غ.ك. جوكوف، إلى أنه عند تنظيم الهجوم، يجب أن تكون لدى كل قائد خطة مُحكمة ومدروسة بعمق، تهدف إلى تضليل العدو وخداعه. غير أن طرق وأساليب خداع العدو لايجوز أن تكون جامدة وثابتة، لأن كل تقليد أعمى لما

(١١٩) "عمليات القوات المسلحة السوفييتية خلال الحرب الوطنية العظمى ١٩٤١-١٩٤٥م - المجلد (٤) ص ٦٧٧.

(١٢٠) "الإنتصار في الشرق الأقصى" ل.ن.ڤنوتشينكو موسكو١٩٧١م ص ١٣٦.

سبق سيكون في متناول العدو. كما ينبغي على القادة أن يتحلوا بالروح الإبتكارية والإبداعية، ويسعوا بكل ما لديهم من قوة وجهد، لإخفاء وسائلهم وأسلحتهم وقطّاع ضربتهم.

إن تحرك القوات إلى قاعدة الإنطلاق واحتلالها، وإنتشارها يجب أن يتمّ ليلاً مع التقيّد الصارم بانضباط التمويه والإخفاء، مع تركيز الإهتمام بصورة خاصة على التحركات الخفيّة، وإنتشار المدفعية ولاسيما الهاون ووحدات المدفعية الصاروخية. وقد جاء في التوجيهات، بأن التدابير والإجراءات السلبية الخاصة بالسرّية والإخفاء يجب أن تكون مستكملة في كل مرة، بالأعمال والنشاطات الإيجابية الرامية إلى خداع العدو وتضليله. ففي القطّاع الذي تجري الإستعدادات للهجوم عليه، يجب التظاهر بتحرك بعض القطعات من الجبهة إلى العمق – نحو المؤخرة. وفي قطاعات الجبهة البعيدة عن المنطقة المقررة لتنفيذ الضربة، يجب التظاهر باقتراب قوات من خطوط الجبهة، وتنشيط التخاطب اللاسلكي، وتجهيز سرايا مدفعية كاذبة، وهياكل سيارات، وشق محاور الطرق، وتنظيم عمل الإستطلاع، وتقليد حشود الدبابات، وتصعيد أعمال طيران الإستطلاع.

لقد تجلى الدهاء العسكري على المستوى العملياتي بشكل واضح، خلال عملية رجيف – سيتشيف الهجومية التي نفّذتها الجبهة الغربية (بقيادة الفريق غ.ك. جوكوف) وجبهة كالينين (بقيادة العماد .ي.س. كونييف) عام ١٩٤٢، والتي وُضعت لها خطة خاصة لخداع العدو قام بإعدادها قائدا الجبهتين (المخطط رقم ١٨).

دعا قرار خوض العملية إلى سحق التجميع الفاشي في منطقة زويتسوف، والإستيلاء على هذه المنطقة، ومن ثمّ تطوير الهجوم لاحقاً، والإستيلاء على رجيف. شارك في تنفيذ العملية الجيوش – الحادي والثلاثون، والعشرون، والخامس – التابعة للجبهة الغربية، والجيشان التاسع والعشرون والثلاثون

التابعان لجبهة كالينين، مع العلم أن الجيشين الحادي والثلاثين والتاسع والعشرين يجب أن يهاجما على إتجاهين متلاقيين ويستوليا على زوبتسوف، بينما انحصرت مهمة الجيش الخامس في لفت أنظار العدو وإهتمامه، وتأمين الجناح الأيسر الضارب لتجمع الجبهة الغربية. ولهذه الغاية تقرّر إخفاء تحضيرات الهجوم للجيشين الحادي والثلاثين والتاسع والعشرين والمحافظة على سرّيتها التامة؛ وإظهار تحضيرات الجيش الخامس للهجوم، وقيامه بهجوم تظاهري باتجاه فيازما؛ وتمثيل التحضير للهجوم في نطاقات الجيوش : الثالث والأربعين، والتاسع والأربعين والخمسين. ونتيجة هذه الإجراءات والتدابير تركّزت أنظار الإستطلاع المعادي على كشف التجمع المعادي الكاذب، وبذلك كان هجوم الجيشين الحادي والثلاثين والتاسع والعشرين مفاجئاً للعدو.

ازداد إلى حدّ كبير "الوزن النوعي" للتدابير والإجراءات الهندسية المناسبة عند التحضير للعملية. فعلى الجناح الأيسر للجبهة الغربية تمّ تقليد أعمال ترمي إلى تشكّيل تجمع قوي، لكي يُضلّل الألمان عن إتجاه الهجوم – إتجاه رجيف. ومن أجل إظهار تحشد القوات على الإتجاه الكاذب كُلّفت بهذه المهمة أربع سرايا تمويه وثلاث سرايا مشاة و٢٢ آلية وتسع دبابات، وقاعدة مدفع رشاش مضاد للطائرات، و١١ محطة لاسلكية. وقام النقابون (جنود الهندسة) بتحضير ٨٣٣ هيكل دبابة وسيارة ومدفعاً وصهريجاً، ومطبخاً متنقلاً.

قامت مجموعات التمويه والإخفاء بتقليد حركة أرتال الدبابات والمشاة نحو مناطق التحشد الكاذب، وتواجد القوات فيها. وخلال ليلة واحدة فقط استطاعت هذه المجموعات أن تنصب على المحاور المحدّدة لها، هياكل الدبابات والسيارات. وهذا الرتل المصطنع ظلّ يتحرك إلى أن كشفته طائرة ألمانية، وبعد ذلك فقط تمّ نشر القوات والعتاد وتحريكها نحو المحاور والقطّاعات الجديدة. ومن أجل لفت أنظار طيران الإستطلاع الألماني نحو المناطق الكاذبة تمّ إظهار النشاط العسكري في هذه المناطق : حيث قُطرت هياكل العربات القتالية بواسطة

الدبابات الملحقة والسيارات مخلفةً وراءها على التراب آثار السلال والعجلات وأضرمت المشاعل ليلاً. وقامت مجموعات مناوبة بالقاء الزجاجات المملوءة بالخلائط المشتعلة (زجاجات مولوتوف) في أثناء غارات الطيران التي رافقها قصف بالقنابل مقلّدة بذلك الإنفجارات والحرائق في أماكن تواجد هياكل المعدات والآلات العسكرية، كم قامت بفتح نيران الأسلحة الخفيفة والرشاشات على الطائرات المنخفضة. لقد أعطت تلك التدابير والإجراءات ثمارها ونتائجها الإيجابية. فالعدو قصف مراراً وتكراراً المناطق الكاذبة، وأطلق عليها نيران الرشاشات، محاولاً بذلك تشتيت القوات المحتشدة وقمعها. إلا أن الأهم من ذلك هو أنه عزّز نشاطاته الدفاعية على هذا الإتجاه ونقل إليه حتى فرقتين.

وفي أثناء تحضير قوات جبهة الدون (بقيادة الجنرال .ك.ك. روكوسوفسكي) للقضاء على العدو المطوّق في ضواحي ستالينغراد (مخطط رقم ١٩) تقرر العمل لإخفاء وتمويه التجمع الضارب الذي شُكّل في نطاق الجيش الخامس والستين، في حين تمّ تقليد تحشد قوات ضخمة من الدبابات ضمن نطاق الجيش الرابع والعشرين في منطقة كوتلوباني. وللقيام بذلك تمّ إشراك أعداد كبيرة من قطعات الهندسة. كما قامت كتيبتا الهندسة والنقابين الحادية والثلاثون، والثانية والثلاثون بتمويه مناطق توضّع المدفعية ومستودع تسليح الجيش الخامس والستين، آزرتها سرية الهندسة والنقابين في كتيبة الهندسة الثالثة والثلاثين، كما موّهت كتيبتا الهندسة والنقابين الرابعة والثلاثون والخامسة الثلاثون مناطق تحشّد الدبابات. وفي منطقة كوتلوباني قلدّ تحشد فيلق دبابات وخمسة أفواج مدفعية. وقد حضّرت ووضعت الهياكل للدبابات والمدافع سرية التمويه الخامسة والعشرون في مكان يبعد ٧٥ كم عن نصبها، وقد نقلت إليه بالسيارات الشاحنة. كما قامت باعمال الحفر و«تنشيط» المنطقة وحدات في كتيبة الهندسة الـ ١٠٤ وسرية التمويه الخامسة والعشرون.

بدأت القيادة الألمانية الفاشية التي ضُلّلت عن الإتجاه الحقيقي لضربا

القوات السوفييتية، بتعزيز الدفاع المضاد للدبابات أمام جبهة الجيش الرابع والعشرين. وقد جاء في البرقية اللاسلكية الألمانية الملتقطة أن هناك حشوداً كبيرة للقوات السوفييتية في منطقة كوتلوباني. وأحتفظ الألمان باحتياطاتهم على هذا الإتجاه، وبذلك أعطى الدهاء العسكري نتائجه وثماره المرجوّه. حيث وجّهت إلى التجمع المطوّق الضربة المفاجئة فأنشطر إلى قسمين ثم تم القضاء عليه.

استطاعت قوات جيش الحرس الأحمر الحادي عشر بقيادة اللواء .ي.خ. باغراميان أن تحضر للهجوم خفيةً وبسريّة تامة أثناء التحضير لعملية أوريول الهجومية خلال ملحمة كورسك وتوّجه إلى العدو الضربة القوية، على الرغم من أن هذه القوات كانت تحت أنظار العدو لمدة شهرين دون إنقطاع، حيث تحركت القوات إلى قواعد الإنطلاق تحت جنح الظلام فقط ونفذت الدبابات والآليات والقاطرات المسير بمصابيح مموّهة، وتم إمتصاص ضجيج المحركات بصليات نارية موّجهة إلى الحد الأمامي، وغارات الطيران على إرتفاعات منخفضة. ومن أجل تضليل الألمان عن معرفة توقيت إنتقال القوات السوفييتية إلى الهجوم، فقد تقرّر – بناء على توجيهات نائب القائد العام الأعلى مارشال الإتحاد السوفييتي .غ.ك.جوكوف – ألاّ يبدأ هجوم المشاة والدبابات بعد التمهيد المدفعي كما كان متعارفاً عليه من قبل – بل خلاله. وتقرّر بموجب خطّة التأثير الناري تنفيذ صبيب ناري قوي لمدة خمس دقائق، يليه فاصل زمني لمدة عشرين دقيقة، ثم المراقبة والترصّد وإحكام الرمي، فالرمي للتأثير لمدة ساعة، ونفّذ صبيب ناري لمدة خمس وعشرين دقيقة بعد صلية من ٤٥٠ قاعدة كاتيوشا وشنت القوات السوفييتية هجومها في أعقاب السد الناري. وهكذا أُخذ العدو على حين غرة

أستخدمت القوات بايجابية ونشاط مختلف الطرق في الدهاء العسكري وذلك أثناء تنفيذ عملية كييف الدفاعية عام ١٩٤٣م. ففي أثناء إعادة تجميع قوات جيش الدبابات الثالث (بقيادة اللواءب.س. ريبالكو) (مخطط رقم ٢٠) – من رأس جسر بوكرين على الضفة الشرقية لنهر الدينبر، ومن ثم إلى الضفة الغربية

للدينبر ثانية عبر نهر دلينا، وإلى رأس جسر لوتيج، أبقيت هياكل الدبابات والمدافع التي تقلّد تحشد قطعات جيش الدبابات في رأس جسر بوكرين (١٢١). وللمزيد في إقناع الخصم بذلك تُركت الدبابات ذات أرصدة المحركات المحدودة في مرابضها السابقة، بينما أرسلت الدبابات المخصصة لإستكمال وحدات الجيش إلى رأس جسر لوتيج في منطقة تحشد جيش الدبابات الثالث الجديدة.

بناءً على أمر قائد جبهة أوكرانيا الأولى جنرال الجيش .ن.ڤ. ڤاتوتين قامت القطعات التي بقيت في رأس جسر بوكرين بأعمال تظاهرية بهدف لفت أنظار وإهتمام المزيد من قوات العدو. كما قامت المحطات اللاسلكية لقطعات المشاة المكلّفة بذلك بأعمال تظاهرية لتمثيل أركان جيش دبابات وفيالقه. يقول مارشال القوات المدرعة .ب.س. ريبالكو - القائد السابق للجيش المدرع، في مذكراته : «بهدف إخفاء إنسحاب تشكيل الدبابات من رأس جسر بوكرين ... أتخذت تدابير التمويه الدقيق. فقد تُرك في رأس الجسر مقر قيادة التشكيل وعدد من المحطات اللاسلكية. وجميع هذه الاغراض واصلت عملها المعتاد لخداع العدو إعلامياً، وبدلاً من الدبابات التي سحبت من مرابضها نصبت الهياكل التي صُنعت من الخشب والطين. وصُنعت هياكل المدافع ووضِعت في مرابض الرمي. ولم يسمح بتحرك الدبابات والآليات إلاّ تحت جنح الظلام مع مراعاة التمويه الضوئي. كما طبّق التمويه الصارم في منطقة التحشد الجديدة.... وبهذه الإجراءات المتّخذة ضلّلنا العدو الذي ظل طيرانه يقصف مرابضنا المهجورة لمدة أسبوع...» (١٢٢).

في أثناء التحضير لعملية نوڤورسيسك ١٩٤٣ (المخطط ٢١)، التي لعب فيها الدور الأساسي الجيش الثامن عشر (بقيادة.ك.ن.ليسيليزي) بالتعاون مع

(١٢١) "من خبرات معارك الحرب الوطنية" (دراسات عملياتية - استراتيجية حول عمليات الجيش الأحمر)- موسكو ١٩٤٤ الإصدار ٢٣.

(١٢٢) "مجلة قوات المدرعة والميكانيكية" ١٩٤٥- العددان (١٠) و (١١) ص ٥٨، ٥٩.

الإنزال البحري لاسطول البحر الأسود بقيادة الأميرال ل.أ.ڤلاديميرسكي أتخذت ونفّذت بنجاح مجموعة من الإجراءات والتدابير الهادفة إلى إخفاء تحشد تجميع الإنزال عن العدو وتضليله عن موعد وإتجاه الضربة الرئيسية. ومُنعت المراسلات المتعلقة بالعملية التي يجري الإعداد لها.

أعدت الأركان من أجل تضليل العدو إعلامياً وأصدرت توجيهاً عملياتياً كاذباً حول التحضير لإنزال بحري في منطقة (يوجنايا أوزيريكا) /البحيرة الجنوبية/. كما أتخذت الإجراءات التي ساعدت على إيصال مضمون هذا التوجيه إلى العدو. وبدأ طيران الأسطول بتوجيه الضربات بالقنابل إلى أغراض الدفاع الساحلي المعادي في منطقة البحيرة الجنوبية.

لقد تقرّر إبرار الإنزال البحري ليلاً في خليج تسيميسك، لذا كان يجب على الطائرات التي كُلّفت بالمهمة الخاصة أن تطغى أصواتها على ضجيج محركات زوارق الإنزال. أضاء العدو بالشهب والكواشف الضوئية منطقة البحيرة الجنوبية ليلاً، دون أن يتوقّع على الإطلاق ظهور القوات السوڤييتية في نوڤوروسيسك.

خلال التحضير لعملية كورسون – شيفيتشينكو (المخطط رقم ٢٢) قرر قائد جبهة أوكرانيا الثانية جنرال الجيش (الفريق) ي.س.كونييف حشد التجمع الضارب خفيةً على إتجاه ليبيدين– شبولا. وأسندت إلى جيش الدبابات الخامس – حرس أحمر – بقيادة اللواء. ب.أ. روتميستروف المهمة التالية : القيام خفيةً باعادة تجميع الجيش في منطقة كامينكي. وذلك من خلال تمثيل التحضير لهجوم جيش الدبابات من المنطقة الواقعة إلى الغرب من كيروڤوغراد.

لتضليل العدو وخداعه تمّ تشكيل مناطق تحشد كاذبة للدبابات، و١٢ منطقة كاذبة لتحشد المدفعية في نطاق جيش الدبابات الخامس، بعد أن غادرته قطعات الدبابات. ولهذه الغاية صُنع ونُصب في المناطق الكاذبة ١٦٦ هيكل دبابة و٨٠ هيكل مدفع، وتمّ أيضاً تجهيز ٣٦ مربض مدفعية. وقد أنشىء هنا أيضاً ١٧ مستودعاً كاذباً للوقود و١٢ مستودعاً كاذباً للتسليح، ونُصبت ٢٠٠ دمية

بشرية (١٢٣).

بناء على الخطة الموضوعة والمصدّقة، تظاهرت محطة لاسلكية لفيلق مشاة بعمل محطة الجيش اللاسلكية، بينما تظاهرت محطات أركانات فرق وأفواج المشاة المتوضّعة في هذه المنطقة، بعمل أركانات فيالق وألوية الدبابات. وتظاهرت القطعات المكلفة خصيصاً بهذه المهمة بالتحضير للهجوم، كما أخذت محطات تضخيم الصوت المتنقلة في مناطق الدبابات الكاذبة تبث ضجيج محركات الدبابات، وشقت محاور التحرك للدبابات والسيارات. وتظاهرت المدافع الجوالة في مناطق التحشد الكاذبة بأعمال أحكام رمايات المدفعية لقطعات المدفعية التي وصلت مجدداً إلى المنطقة.

ومما يدلّ على الإتقان والبراعة في عمل جنود المدفعية هو أن المدفعية الهتلرية أطلقت خلال الفترة بين ٢٢-٢٨ كانون ثاني، حوالي ١٥٠٠ قذيفة من أنواع مختلفة، على مرابض الرمي الكاذبة مع العلم أن رمايات العدو كانت قد أبطلت سريتي مدفعية ونشطت فعاليات وأعمال عناصر الإستطلاع على إتجاه الضربة الكاذبة (١٢٤).

إن تلك الإجراءات والتدابير ساعدت على تضليل القيادة الألمانية عن مكان وإتجاه الضربة الرئيسية للجبهة، وأرغمتها على الإحتفاظ باحتياطاتها لمدة يومين بعد بدء عملية كورسون - شيفيتشينكو (أربع فرق دبابات) على إتجاه كيرڤوغراد.

تجدر الإشارة هنا إلى تدابير وإجراءات تأمين السرية والإخفاء وتضليل الخصم، التي أتخذها الجيش الثالث والأربعون في عملية ڤيتيبسك. فقد كان يتلخّص الهدف الأساسي في لفت أنظار العدو وأهتمامه مباشرة نحو منطقة ڤيتيبسك، وخلق إنطباع لديه بأن الضربة الرئيسية سوف تكون موجّهة ضمن

(١٢٣) "عمليات الجيش". أمثلة من خبرات الحرب الوطنية العظمى موسكو ١٩٧٧ ص١٥٠.

(١٢٤) نفس المصدر ص ١٥٢.

قطاع ضيّق من الجبهة، وباتجاه المدينة ذاتها. وهكذا كان على قائد الجيش الثالث والأربعين اللواء أ.ب. بيلوبورودوف أن يقنع الخصم، عن طريق الدهاء العسكري، أن القوات السوفييتية ستهاجم - كما حدث في الشتاء الماضي - مدينة فيتيبسك من جهة الشمال الشرقي وعلى إمتداد نهر دفينا الغربي، وبأن الإلتفاف حول منطقة فيتيبسك المحصنة من على الأجناب مستحيل تقريباً مهما كانت القوى المهاجمة، وذلك بسبب وعورة المنطقة وإفتقارها إلى شبكة طرق متطورة.

إلاّ أن بلوغ الهدف المطلوب - ألا وهو خداع الألمان - كان مسألة في غاية الصعوبة بالنسبة للجيش، ذلك لأن استقرار الجبهة لمدة طويلة سهّل على الألمان مهمة تحديد كل التغييرات التي طرأت على بنية دفاع الجيش الثالث والأربعين، ولاسيما إعادة تجميع قوات الجيش على إمتداد خط الجبهة من المجنبة اليسرى إلى المجنبة اليمنى، وتحشّد هذه القوات أمام قطاع الخرق. ومن أجل إخفاء التحضيرات للهجوم، وخاصة حشد القوى والوسائط على الإتجاه المختار للضربة الرئيسية، قامت قيادة الجيش باتخاذ عدد من الإجراءات على ضوء الخبرات والدروس المستفادة من قبل.

لقد ألقيت مهمة التأكّد من سريّة التحضير على عاتق ضباط أركانات التشكيلات والقطعات التابعة للجيش. وقد تمّت كتابة جميع الوثائق المتعلّقة بالتحضير للهجوم بخط اليد، ولم توزع إلاّ على أصحاب العلاقة فقط. كما مُنعت المكالمات المتعلّقة بمسائل التحضير للهجوم، عبر وسائط الإتصال الفنية. ولذلك كانت اللقاءات الشخصية وجهاً لوجه، النوع الأساسي لإتصالات القيادة.

أمّا التحضيرات الهندسية لقاعدة الإنطلاق المخصصة لهجوم الجيش، وخاصة على مجنبته اليمنى، فقد جرت على شكل أعمال ترمي إلى تعزيز الدفاع. كما أنّ تفقد سير هذه التحضيرات تمّ على شكل إختبار للدفاع. وفي أثناء الإستطلاع الشخصي أمام قطاع الخرق للجيش أرتدى الجنرالات والضباط

ألبسة الجنود والأفراد.

وجرى في الوقت نفسه – على المجنبة اليسرى للجيش – التظاهر بإعادة تجميع كاذب للقوات، وإستطلاعات شخصية – وحشود كاذبة للقوات عن طريق إستخدام مولدات الأصوات – الجرارات والدبابات والشاحنات، كما جرى أيضاً تصعيد النشاط الناري للمدفعية، وفي الوقت ذاته تمّ تخفيض معدّل إستهلاك قذائف المدفعية والهاون بنسبة ٥٠٪ على القطاع المحدّد والمقرّر للهجوم.

صدرت الأوامر إلى القوات المتوضّعة على الحد الأمامي للدفاع بالتصدّي للطائرات الألمانية التي تظهر فوقها، بجميع ماليديها من قوى ووسائط مضادة للطائرات، أمّا القوات المتواجدة في مناطق التحشّد فقد تلقت الأمر بفتح النار على مجموعات الطيران الكبيرة فقط. ولم يُسمح للطيران الصديق بالتحليق فوق نطاق الجيش إلاّ قبل موعد الهجوم بيومين، أما بالنسبة لطائرات القطعات الجوية التي ألحقت مجدداً بالجيش فقط سمح لها بالتحليق فقط على العمق الذي يسمح لها بالهبوط في أرض الصديق في حال الهبوط الإضطراري.

لقد تركز الإهتمام بصورة خاصة على الحدّ من التحركات، قدر الإمكان، ضمن نطاق الجيش في زمن الضوء. ولذلك فإن تحركّات القوات ووسائط النقل لم تجر إلاّ فيروقن الظلام، وعلى محاور محددة بدقة. وتم أيضاً تحديد معدلات صارمة لعدد وسائط النقل المستخدمة في وقت الضوء على النحو التالي : لقد سُمح لمئة سيارة فقط في اليوم بالتحرك ضمن نطاق الجيش. كما قُلصت التحركات إلى الحدّ الأدنى في وقت الضوء على المجنبة اليمنى للجيش. وأُقيمت أيضاً الستائر العمودية على بعض قطّاعات المحاور الواقعة تحت أنظار العدو.

هذا وقد تم التأكّد من تقيّد القوات بإجراءات التمويه بواسطة طائرات خاصة من نوع پ و-٢. وكانت هذه الطائرات تحذّر القوات من كل الأشكال والحالات المخالفة لقواعد التمويه، وذلك بواسطة إلقاء أعلام أو قصاصات ورقية خاصة متعارف عليها.

قام الموجّهون السياسيون بالمشاركة الفعّالة والنشيطة في هذا المضمار. فقد سخّرت صحافة الجيش وصحافة القوات جهودها بهدف تسليط الأضواء على المواضيع الدفاعية بصورة أساسية بغية تضليل العدو وخداعه، فصحيفة الجيش "حامي الوطن" مثلاً، كتبت في ٣ حزيران ملاحظة بعنوان "نعزّز الدفاع ونتدرب" جاء فيها مايلي : «المقاتلون يبذلون كل المستطاع ويتفانون في حفر الخنادق والمساند وتجهيزها لإقامة الدفاع الصامد، الذي لايقهره العدو». وفي اليوم التالي كتبت الصحيفة تقول بأن وحدات الضباط شاقولين «المدافعة تُعزّز وتحصّن يومياً خطّها الدفاعي، وتؤدّي واجبها على أكمل وجه».

أما القوات فقد قامت بتدابير بارعة ومضنية لتعزيز اليقظة والحذر، والمحافظة على السرّ العسكري قدر المستطاع، ومراعاة إجراءات التمويه والإخفاء.

لقدكان التنظيم الجيّد لخدمة الضابطة في الجيش الشرط الهام في تأمين السرّية والإخفاء. وكانت خدمة الضابطة تتبع لرئس أركان الجيش في مؤخرة الجيش، ولرؤساء أركانات الفيالق في نطاق الفيالق. إن هذه الضابطة لم تؤمن المحافظة على نظام معيّن في سلوك القوات فحسب، بل وكانت أيضاً الحاجز الأمين في مواجهة الجواسيس والعملاء والمخرّبين. شكّل على طرقات مؤخرة الجيش وعَمِلَ ١٧ مخفر ضابطة تابع للجيش كانوا على إتصال هاتفي مع مقسم مدينة غورودوك. وعلاوة على ذلك أقيم الإتصال بين أركانات قطعات الطرق (قطعات الإنشاءات)، وسرايا ضبط الطرقات ونقاط المراقبة والتفتيش.

لقد أثبتت الخبرات أنّه من الصعب جداً تأمين السرّية والإخفاء لتحضيرات الجيش إستعداداً للهجوم بعد حالة من الإستقرار الطويل على خطوط الجبهة، ولذلك فإن الاسلوب الأمثل والمفضل لتأمين السرّية والإخفاء في مثل هذه الظروف هو استخدام طرق الإخفاء بأنواعها المختلفة مع فرض الرقابة المشدّدة على تنفيذها. والخروج عن هذه القاعدة كانت له نتائج سلبية (١٢٥).

---

(١٢٥) "الجيش (٤٣) في عملية ڤيتيبسك" س.ب كيريوخين موسكو ١٩٦١ ص٥٤–٥٥.

هذا وقد روعي أيضاً في خطة عملية الجيش الثالث والأربعين استخدام الدخان خلال الهجوم. وبموجب هذه الخطة تم تزويد وحدات المشاة والدبابات المهاجمة وأطقم المدافع المضادة للدبابات بالرمانات الدخانية. زد على ذلك أنه شكّلت مجموعات خاصة تحركت على سيارات وشاحنات وراء القطاعات المهاجمة وهي على إستعداد لإطلاق الدخان على الخطوط المحدّدة لها. وعند البدء بهجوم الجيش كانت التحضيرات قد تمت لإطلاق الدخان على قطاعين ضمن نطاق الهجوم يبلغ عرضها الإجمالي ٩كم.

من أجل منع العدو من فتح النيران الجانبية على تراتيب قتال فرقة مشاة المجنبة اليسرى الـ٢٣٥ التابعة لفيلق المشاة الستين وتأمين حيوية هذه الفرقة، ومن أجل إخفاء وتمويه مناورة فوج المشاة الـ ٧٣٢ لتطويق وتدمير العدو على مايسمى ب "رأس تشيستين"، وتم التحضير لإطلاق الدخان، بناء على قرا الجيش الثالث والأربعين، على الخط : بيلايا دوبروفكا - المرتفع ١٦٤,٦. وقد جرى تشكيل ٣٢ نقطة تدخين (الإستهلاك ٨٥٠ سطلاً دخانياً) بمعدل سطل دخاني واحد لكل ٧٠-٨٠ متراً (١٢٦). رتقرر البدء بإطلاق الدخان في الساعة ١,١٠ ليلاً، ولذلك أستخدم أيضاً العدد اللازم من الرمانات الدخانية لتمويه وإخفاء اللهب المتشكل من جراء إحتراق السطول الدخانية.

ومن بين الأمثلة على السرّية في التحضير للهجوم - الأعمال والإجراءات التي أتخذها الجيش السابع والستون (بقيادة اللواء . ف. پ سفيريدوف) أثناء إختراق طوق الحصار المفروض على لينينغراد. حيث أولى قائد الجيش جلّ إهتمامه لمسألة المحافظة على فكرة وخطة الأعمال في دائرة السرّية التامة والكتمان الشديد. ولم يُشرك في إعداد الوثائق القتالية إلاّ العدد القليل جداً من الضباط. كما أُعدت هذه الوثائق على نسخة واحدة فقط وبخط اليد. وبالإضافة إلى ذلك فقد تقرّر بناءً على توجيهات الجبهة، وبغية تأمين السرّية لتحضيرات

---

(١٢٦) أرشيف وزارة الدفاع السوفييتية. ف ٣٩٨. وب - ٦٢٠٧٨، د-٩، ل٢٦٨.

الهجوم وتضليل العدو، مايلي : - زيادة اليقظة والحذر أثناء تأدية الخدمة، وعند القيام بأعمال دفاعية على الحد الأمامي وعلى طول إمتداد جبهة الجيش ؛

- منع الأشخاص الذين يعدّون الوثائق القتالية من إجراء المكالمات ذات العلاقة أو الصلة بمضمون هذه الوثائق.

- المحافظة على نظام العمل السابق للمحطات اللاسلكية ومنع القطعات الملتحقة بمواقعها مجدداً من إستخدام الإتصالات اللاسلكية.

- تنفيذ الإستطلاع القتالي بقوى القطعات المدافعة من قبل فقط.

- القيام بإحكام رمايات مناطق تحشّد القوات بدقة.

لم يُبلّغ قادة التشكيلات والقطعات بموعد الهجوم والتمهيد المدفعي إلاّ قبل التوقيت المقرّر لهما بيوم واحد.

إن التنفيذ الخفي والسرّي لجميع الإجراءات والأعمال التحضيرية، وكذلك الإجراءات الخاصة بتضليل العدو وخداعه أمّن المفاجأة في الهجوم. فقد تبيّن من إفادات الأسرى، ومن الوثائق التي عُثر عليها في حوزتهم ، أن الألمان اكتشفوا نوايا السوفييت فقط، لكنهم لم يعرفوا أين ومتى سيبدأ الهجوم (١٢٧).

ومن المثير للإهتمام في هذا المضمار القرار البارع الذي أتخذه قائد الجيش الخامس والستين اللواء پ.ي. باتوف بشأن زج الدبابات في الخرق عبر منطقة مستنقعات خلال عملية بوبروسيك (مخطط رقم ٢٣). لقد أعتبر الألمان أن قطاع المستنقعات الواقع أمام دفاعهم هو منطقة لايمكن عبورها، ولذلك فإنّ القيادة الألمانية - الفاشية ركّزت قواها الأساسية في باريتشي، حيث يمكن أن تعبر الدبابات إلى جانب المشاة. لكّن قيادة الجيش الخامس والستين كان لها رأي آخر. إذ تبيّن أن السكان المحليين كانوا يجتازون تلك المستنقعات بواسطة عبّارات بدائية - عبارة عن طوافات مصنوعة من أغصان القصب والصفصاف المجدولة ببعضها البعض، وعندها أتخذ القرار الجريء والبارع - وهو - توجيه الضربة الرئيسية إلى الدفاع الألماني عبر المستنقعات.

(١٢٧) "عبر النيڤا" ڤ.م. يارخونوف. موسكو ١٩٦٠ ص ٣١ - ٣٢.

من أجل عبور الآليات والدبابات تقرّر نصب ممر خشبي - فقد نصبت في مياه المستنقع مباشرة جذوع الأشجار الغليظة بطول ستة أمتار بفاصل مترين ونصف بين الواحد والآخر وبشكل متقاطع ووضعت فوقها المعابر المثبتة بثلاث نقاط أرتكاز - وهي جذوع أقل سماكةً.

الجدير بالذكر أن تحضير جذوع الأشجار اللازمة للعبور كان قد جرى على مسافة بعيدة عن مكان نصب المعبر الخشبي، وفي أماكن مختلفة، كي لايسمع الألمان أصوات ضربات الفؤوس، ولكي لاتلفت أماكن قطع الأشجار إنتباه الإستطلاع الجوي الألماني. وهذا وقد قامت بأعمال نصب المعبر الخشبي كتيبة هندسة الفرقة، وكتيبة مشاة لمؤازرتها من قوام الفوج ٦٧٦، ومئات الحمّالين والنقّالين الذين جُمعوا من القطعات كافةً.

بفضل الحذر الشديد، والتمويه البارع، والإنضباط الصارم تمّ إنجاز نصب الممر الخشبي في منأى عن أنظار العدو وتحت غطاء من السرّية التامة. وعلى هذا الطريق الخشبي الذي أمتدّ عبر المستنقع بطول ٩٢٨م رُصف أكثر من ١٥٠٠ متر مكعب من الأخشاب، أي أنه نُقل على أكتاف الجنود أكثر من ١٢٠٠ طن من هذه المواد. وبقي أمام القيادة مهمة تثبيت جذوع الأشجار بعضها ببعض بواسطة العزقات المعدنية. وهذه المهمة تقرر تنفيذها مع بداية التمهيد المدفعي.

لقد أنجز نصب الممر الخشبي في ليلة ٢٣ حزيران، وبدأ الهجوم في الساعة السابعة صباح ٢٤ من نفس الشهر. كانت الضربة التي وجّهتها القوات السوفييتية من جهة المستنقع ضربة مفاجئة للألمان. فقد تمّ خرق دفاعهم في قطاع عرضه ٨كم وعمقه ١٢كم (١٢٨).

لم يتوقف الصراع يوماً واحداً خلال الحرب العالمية الثانية في مجال الفكر العسكري، وفي مجال تجسيد الأسس والأفكار النظرية العسكرية على أرض الواقع، وقد تجلّى الطابع الإبداعي الخلّاق للفن العسكري السوفييتي خلال الأعمال الإيجابية الحاسمة التي قامت بها هيئة القيادة العامة العليا، وقادة

(١٢٨) "الأطوال العجيبة" ف.ن. جانجكافا. موسكو ١٩٧٩م ص ١٤٠، ١٤٥.

الجبهات والجيوش، والأركانات الأخرى وفي مبادراتهم وقدراتهم على إستخدام مختلف أشكال وطرق الدهاء العسكري الإستراتيجي والعملياتي، وإيجاد الطرق الجديدة لتنفيذ المهام المسندة، وأستخدام الأساليب التي لم يتوقعها العدو، والإستفادة البارعة من أخطاء الخصم وفرض الإرادة عليه.

لقد أثبتت خبرات الحرب العالمية الثانية ضرورة توفّر الدهاء العسكري لدى التحضير لأي عملية وخلال تنفيذها، حيث أنّه إذا لم تُعالج مسألة خداع العدو وتضليله، وإذا لم تكن هناك فكرة محدّدة للخداع والتضليل ضمن فكرة العملية، فإن تلك العملية لم تحظ بالإعداد الكافي والتبّصر الجيّد، وليست متكاملة، لأنها بذلك تفتقر إلى أحد العوامل الجوهرية التي تؤثر على نجاحها. ولاشك في أن الدهاء العسكري يتطلّب من القادة العسكريين المعارف الواسعة، والخبرات الجيدة، والفن الرفيع، والذكاء الخارق والعبقرية.

٢- في المواقع والمعارك

لقد أدى الدهاء العسكري، على المستوى التكتيكي خلال الحرب العالمية الثانية، المهام المتعلّقة بخداع العدو وتضليله عن النوايا الحقيقية للقوات، وبسريّة تحضيرات هذه القوات لخوض الأعمال القتالية بهدف بلوغ النصر في المعركة بأقل قدر ممكن من الخسائر بالقوى والوسائط والزمن.

تحققّت السرية في التحضير للأعمال القتالية عن طريق القيام بمجموعة من الإجراءات والتدابير، وقد أثبتت الخبرات أنّ أهم تدبير يرمي إلى تأمين المفاجأة للأعمال هو النشاط التنظيمي للقادة والأركانات الهادف إلى منع تسرّب المعلومات. ولهذه الغاية حظر على التشكيلات والقطعات إعطاء أية تعليمات خطية تتعلّق بالتحضير للأعمال القتالية؛ ونُقلت المهام إلى المنفّذين المباشرين شفهياً، ولكلٍ فيمل يخصه فقط. ولم يُعدّ من الوثائق إلاّ الضروري جداً، وعلى نسخة واحدة فقط. وقدكتبت هذه الوثائق بخط يد رئيس الأركان شخصياً أو رئيس فرع

(قسم) العمليات، وبقيت في الأركان. وكانت هذه الوثائق تُرسل إلى الأركانات المرؤوسة في الحالات الإستثنائية مع ضباط تحت الحراسة المشدّدة. ولايحق لأحد الإطلاع عليها وقراءتها إلاّ أولئك الذين أرسلت إليهم. وكانت الوثائق القتالية تعدّ أحياناً على شكل وثائق تدريبية. وكمثال ناصع على السرّية في التحضير للهجوم - مشاركة فرقة المشاة الـ ٣٢٠ بقيادة العقيد أ.ن.زاجيفالوف في الضربة المعاكسة للجيش الثالث والستين على جبهة ستالينغراد في شهر آب من عام ١٩٤٢ وباتجاه مزرعة بيريلازوفسكي. فقد تمّ تشكيل التجمع الضارب وإنتشار المدفعية، والتحضير لإقتحام نهر الدون وعبوره تحت جنح الظلام فقط.

وفُرض على جميع المكالمات الحظر، وخاصة المكالمات الهاتفية، ذات الصلة بالأعمال القتالية المقبلة. كما تقرّر القيام بالضربة المعاكسة عند الفجر بدون تمهيد مدفعي، وبنتيجة ذلك كانت بداية الهجوم مفاجئة للعدو، الذي لم يستطع تنظيم المقاومة إلاّ بعد أن توغلت قطعات الفرقة في دفاعه لمسافة ٢٠٠-٤٠٠م (١٢٩).

أتخذت التدابير والإجراءات المتعلّقة بالمحافظة على السرّية من قبل عناصر وحدات الإشارة في قطعات العديد من الفرق. ففي فرقة المشاة التسعين التي قادها ن.غ.لاشينكو في فترة التحضير لعملية بروسيا الشرقية في كانون الثاني ١٩٤٥م حُظر على جميع عمال اللاسلكي للقطعات والوحدات الملتحقة بمواقعها على الحد الأمامي، العمل بنظام الإرسال قبل بدء المعركة، وقد خُتم بالشمع عدد كبير من المحطات اللاسلكية كما مُنعت منعاً باتاً المكالمات الهاتفية ذات الصلة بالتحضير للهجوم. وتعرّض المخالفون لقواعد التخاطب للعقاب الشديد.

بغية تأمين السرّية والإخفاء لتحضير قاعدة الإنطلاق للهجوم كانت القيادة تتخلّى أحياناً، عن الأعمال الهندسية - مثل حفر خنادق المواصلات، والخنادق اللازمة للإقتراب من دفاع العدو. وهذا ما حدث فعلاً أثناء التحضير للهجوم في كانون الثاني ١٩٤٤م في منطقة بوبرديسك، الذي قامت به قطعات فرقة المشاة الـ

(١٢٩) "مجلة التاريخ العسكرية السوفييتية" ١٩٨١ العدد الأول ص ٢٣.

٣٠٧ بقيادة العميد م.أ ينشين.

تجدر الإشارة هنا إلى الخبرات المستفادة من تحضير قاعدة الإنطلاق لفرقة المشاة الثامنة والعشرين بقيادة العقيد .م.ف.بوكشيتنوفيتش خلال عملية نيفيل الهجومية. فقد تحقق نجاح الخرق بفضل المفاجأة والسرعة في الإقتراب من العدو. إذ أن منطقة الإنطلاق للهجوم كانت قريبة جداً من أغراض الهجوم. وقد قامت بتحضيرها وتجهيزها القوات التي كانت تحتل المواضع على الحد الأمامي. فعلى مسافة ٢٠٠م عن العدو حُفِرَ خندق بالعمق الكامل لسرايا مشاة النسق الأول، وحُفِرَ خندقان للأنساق الثانية للأفواج بالعمق، وأتصلت الخنادق الثلاثة فيما بينها بخنادق المواصلات.

جرت الأعمال خلال الليل فقط وأثناء تمويه الخنادق روعي، قبل كل شيء، أن تكون أساليب الإخفاء والتمويه واحدة في جميع الوحدات. كما غُطّيت الخنادق وفتحات الرمي بألواح وشباك التمويه الأفقية، بحيث لايستطيع اكتشافها الإستطلاع الجوي والرصد الأرضي المعادي. وتحركت القطعات والوحدات لإعادة تجميعها تحت جنح الظلام فقط. ولم يسمح بعمل المحطات اللاسلكية إلاّ على وضعية الإستقبال. وقد ساعدت هذه التدابير والإجراءات المتّخذة على تحقيق المفاجأة في الهجوم، ونجاح خرق دفاع العدو.

احتلت أساليب الدهاء العسكري مكانة خاصة خلال أعمال إقتحام الموانع المائية، وخير مثال على ذلك عبور نهر الدينبر في تشرين الثاني عام ١٩٤٣م في ضواحي زابوروجي من قبل قطعات فرقة الحرس الأحمر الستين (بقيادة العميد د.ب.موناخوف) وفرقة المشاة الـ ٣٣٣ (بقيادة العميد .أ.م.غولوسكو) – المخطط رقم ٢٤.

أقام الألمان الهتلريون في منطقة زابوروجي دفاعاً قوياً مجهّزاً تجهيزاً هندسياً جيداً خلال مدّة طويلة من الزمن، حيث أستفاد العدو من المرتفعات والنقاط الآهلة بالسكان الواقعة على الضفة اليمنى لنهر الدينبر، فأنشأ هناك

عدداً من نقاط الإستناد القوية وعقد المقاومة المنيعة. وكان يمتد على مرتفعات الضفة اليمنى الحد الأمامي مباشرة. وتوضّعت الحراسة القتالية الألمانية التي تعزّز ليلاً بالدوريات الجوالة والخفارة الليلية على القطّاعات الرملية المتاخمة للضفة.

كان يوجد في النهر إلى الجنوب من زابوروجي عدد كبير من الجزر، الأمر الذي سهّل عملية الإقتحام. وكانت الضفة اليسرى مغطاة بأشجار الغابة القصيرة والأحراج، وهذا هيأ الظروف الملائمة لوصول القوات خفيةً إلى النهر. وبعد تقدير دقيق للموقف أتخّذ القرار لعبور نهر الدينبر إلى الجنوب من زابوروجي. وظلّ الجنود في قواعد الإنطلاق لبضعة أيام، يتدرّبون على التجذيف الصامت، والركوب على وسائط العبور، والإبرار. وقبل موعد بدء الإقتحام بثماني ساعات تمّ حشد جميع وسائط العبور في مناطق محضّرة مسبقاً وعلى مسافة ١٥٠-٢٠٠م عن خط الماء...(١٣٠).

لقد تمّ حشد القوى والوسائط عند قطّاعات العبور المقرّرة ليلاً، مع مراعاة تدابير وإجراءات التمويه الضوئي والصوتي المشدّدة. نفّذ المسير ليلاً، وعند الصباح كان الجنود قد طبقوا كل تدابير التمويه والإخفاء. وجرى في الوقت نفسه تمثيل لتحشّد القوى والوسائط على قطاع يقع إلى الشمال من زابوروجي، بهدف تضليل العدو، وجرى هناك أيضاً أستعراض لنشاط أستطلاعي مكثّف، بما في ذلك الإستطلاع الجوي. كما تقرّر إقامة حواجز دخانية في نطاق فرقة المشاة الـ ٢٠٣ (بقيادة العميد .غ.س.زدانوفيتش) وفرقة المشاة الـ ٢٤٤ (بقيادة العميد .غ.أ.أفاناسييف)، وذلك قبل موعد العبور مباشرة.

وجرت في الوقت نفسه أعمال تظاهرية حول التحضير لإقتحام النهر على جبهة عريضة. ووجّهت المدفعية ضرباتها إلى دفاع العدو شمالي زابوروجي، بينما بدأت وحدات مخّصصة لذلك، بتمثيل عبور نهر الدينبر في عدّة

(١٣٠) الأرشيف المركزي لوزارة الدفاع السوفييتية. ف -٢٣٤، ب -٥٢٥٢، د -٢٢٧، ل ١٦.

مناطق (١٣١) لقد حققت تدابير وإجراءات الدهاء العسكري أهدافها، إذ أن قطاعات العبور الحقيقية بقيت مخفية، وسراً مكتوماً. وكانت أنظار الألمان وأهتماماتهم مشغولة عن هذه القطاعات.

وبذلك فقد شكّل إقتحام النهر، من قبل الأفواج الأمامية، مفاجأة تامة بالنسبة للعدو. ولم تدرك القيادة الألمانية بأنّ القوات السوفييتية بدأت العبور، إلاّ بعد أن نزل على الضفة اليمنى للنهر معظم كتائب مشاة النسق الأول والتي طردت الألمان من التحصينات الواقعة على الضفة بهجمة سريعة وحاسمة.

لقد أثبت واقع الأعمال القتالية، أن نجاح السرّية والإخفاء كان يتوقّف إلى حدّ كبير، على الإستفادة البارعة من الوقت، والأرض، والظروف والأحوال الجوية.

خلال عملية بيريزنيفوڤا – سنيفيريف التي نفّذتها قوات جبهة أوكرانيا الأولى أستطاعت فرقة المشاة الـ ٣٩٤ بقيادة العميد .أ.ي.ليسيتسين، الوصول إلى نهر يوجني بوغ في منطقة تروتيسكوي وهي تطارد فلول القطعات الألمانية المتقهقرة. وفي الساعة العاشرة صباحاً تلقّت الفرقة مهمة إقتحام نهر يوجني بوغ في ليلة ١٩ آذار (١٣٢).

تبيّن من خلال معلومات الإستطلاع أن نهر يوجني بوغ يبلغ عرضه في منطقة تروتيسكوي ٢٠٠–٣٠٠م، وسرعة جريانه حتى ١,٥ م/ثا. والضفة اليسرى للنهر أعلى من الضفة اليمنى بـ ٤٥–٥٠م، الأمر الذي وفّر للقوات السوفييتية تفوقاً في إمكانية تنظيم الرصد والمراقبة، وسهّل عليها دراسة طبيعة الدفاع الألماني المعادي. وعلى ضوء ذلك اتخذ القرار التالي : يتحشّد الفوج خفيةً ويحضّر نقطتين للعبور سراً، ثم يقوم بعبور النهر في أعقاب سرية الإستطلاع مع مراعاة الصمت التام، ويوجّه الضربة المفاجئة لاحتلال أندرييفكا – ايرديليڤا.

جرى العبور في ظروف معقّدة، ففي ليلة ١٨ آذار هبت عاصفة ثلجية

---

(١٣١) الأرشيف المركزي لوزارة الدفاع السوفييتية، د –٣٠٦، ل –٣٩.

(١٣٢) نفس المصدر السابق، ف –١٧٢٠، پ –١، د –٣٣، ل –٢٩.

استمرت حتى ساعات الصباح الأولى، وتحت غطاء هذه العاصفة بدأ التحميل على السفن الساعة ٢٠,٠٠ وفي الساعة الثالثة من صباح يوم ١٩ آذار عبرت القطعات الأمامية النهر وأخذت تتقدّم نحو مدينة أندريڤا - ايرديليڤا، وأثناء تقدمها نحو الضاحية الجنوبية - الغربية للمدينة أصطدمت بحواجز الأسلاك الشائكة المقامة أمام المواضع الألمانية، وعندما فوجيء الألمان الهتلريون بعبور القوات السوڤييتية ليلاً، وخاصة في مثل هذه الأحوال الجوية السيئة، غادروا خنادقهم وأختبأوا في منازل المدينة. عندئذ قام جنود الهندسة (النقابون) السوڤييت بالإسراع في فتح الثغرات وأقتحم المقاتلون البلدة بصورة مفا' (١٣٣).

لم تكن حالات الإستفادة من ظروف الرؤية نادرةً، ففي أثناء العاصفة الثلجية الشديدة ليلة الرابع عشر من كانون عام ١٩٤٤ أستطاع فوج المشاة الـ ٢٩٩ المعزّز بكتيبة زحافات، أن يخرق دفاع الألمان بهجمة مفاجئة ويستولي ؞' ـ رأس جسر على الضفة الشمالية لبحيرة إيلمين دون تمهيد مدفعي وبدون مرافقة الدبابات (١٣٤).

في شهر آذار عام ١٩٤٥ وصلت قطعات فرقة مشاة الحرس الأحمر السادسة والسبعين بقيادة العميد أ.ف.كيرسانوف إلى منطقة دانتزيغ - غدانسك المحصّنة، التي كان مفتاحها يتمثّل في المرتفع ١٨٤,٢، وكانت تدافع عن هذا المرتفع كتيبة مشاة "فيرنير" وسرية مختلطة من فرقة المشاة الألمانية التاسعة والتسعين، وعدد من الدبابات وناقلات الجنود المدرعة، والجدير بالذكر أنه في حال إستيلاء القوات السوڤييتية على المرتفع، يصبح في مقدورها إستكشاف ورصد الدفاع الألماني حتى خليج دانتزيغ، كان يحيط بالمرتفع خندقان متّصلان مجّهزان بالدشم من ثلاث جهات، أمّا ناقلات الجنود المدرعة المتوضّعة وراء هذه الدشم فقد

---

(١٣٣) "التكتيك في أمثلة قتالية" موسكو ١٩٧٤، ص ١١٥ - ١١٨.

(١٣٤) نفس المصدر السابق ، ص ١١٢.

أستخدمت كنقاط نارية متحركة.

أسند الأمر بالإستيلاء على المرتفع ١٨٤,٢ إلى فوج مشاة الحرس الأحمر الـ ٢٣٩ المعزز بالفوج ١٨٩٨ مدفعية ذاتية الحركة، وكتيبتي مدفعية ميدان. وبعد شن عدد من الهجمات، قرّر قائد الفوج تشكيل مفرزة إقتحام، تتقدّم خفية إلى الأمام وتهاجم فجأة، موجهة الضربة من المجنبة، بالتعاون مع القوى الرئيسية للفوج المهاجمة من الجبهة، وتستولي على هذه العقدة الهامة في دفاع الألمان.

كانت مفرزة الإقتحام بقوام سرية رماة بنادق آلية بقيادة الملازم كوفاليف ومعزّزة بفصيلة مشاة، وجماعة نقابين، وسرية مدفعية ذاتية الحركة. لقد جرى تحضير وتنظيم المعركة في وقت الضوء. وتقرّر بدء الهجوم عند الغسق وبدون صبيب ناري أولي من أجل خداع العدو. وأخذ في الحسبان عند تحديد موعد الهجمة، أن الهجوم كان يبدأ نهاراً خلال اليومين الماضيين، في أعقاب صبيب ناري أولي تنفّذه المدفعية، وعند المساء تتلاشى المعركة وتتوقّف.

عندما أقترب موعد الغسق مساء ١٩ آذار، توقّفت المعركة كما كان الحال في الأيام الماضية، وفي هذه الأثناء احتلت مفرزة الإقتحام قاعدة الإنطلاق، وبدون أية رمايات وتحت غطاء الحرج والشجيرات الصغيرة تسلّل الجنود السوفييت خلسةً إلى مواقع الألمان. وخلال ٦-٨ دقائق سُمعت في مواقع العدو إنفجارات الرمانات المتتالية وصيحات النصر، ورشقات البنادق الرشاشة. وهنا تقدّمت كتيبة المشاة الثالثة التي استفادت من نجاح مفرزة الإقتحام، وتحركّت نحو السفوح الشمالية الغربية للمرتفع، بينما توقّفت الكتيبة الثانية أمام الخندق الأول. وأستمّرت المعركة الضارية على سفوح المرتفع بضع ساعات. وفجأة اكتشف قائد سرية المشاة الثامنة الملازم أول شاپاييف ثغرةً في دفاع الألمان إلى الجنوب من ليفاو، وتقدّم على رأس سريّته مع ثلاث مدافع ذاتية الحركة باتجاه السكة الحديدية، وبعد أن احتل الدفاع الدائري هناك فتح النار من الخلف. وكانت في نفس الوقت فصيلة إستطلاع الفوج قد وصلت إلى المؤخرة وقطعت الطريق

الترابي إلى الشرق من ليفاو. عندئذ خاف الألمان من التطويق وأخذوا يتراجعون مذعورين تاركين وراءهم أسلحتهم وعتادهم. وقد فر العدد الأكبر منهم عبر الطريق الترابي المار في الغابة و المؤدي إلى الطريق العام الذاهب إلى دانتزيغ. إلاّ أن هؤلاء ووجهوا بعناصر إستطلاع الفوج الذين نصبوا لهم الكمائن، وبذلك تحقق نجاح المعركة (١٣٥).

يقدّم لنا الجنرال .غ.س.زدانوفيتش الذي كان قائداً لفرقة المشاة الـ ٢٠٣ ابّان سنوات الحرب في كتابه "ماضون في الهجوم" درساً مفيداً وأمثلة معبرة. فهو يقول، أنّه من أجل تضليل الألمان وخداعهم عن مكان وزمان الهجوم كان لابد من اللجوء إلى عدد من المناورات التي تضلّل العدو؛ فالمقاتلون كانوا تارةً يحتلون موقعاً كاذباً لشن الهجوم إلى الجنوب من توماكوفكا، وتارةً يستعرضون التحركات إلى الجهة المعاكسة، وتارة يشكلون الستائر الدخانية بعيداً عن مكان الهجوم المقرر.

ففي صباح الثلاثين من كانون الثاني، الذي يلفّه الضباب الكثيف شنّت الكتائب هجومها الصامت، ولم يتمكّن العدو من مشاهدة المقاتلين السوفييت إلاّ وهم على مسافة ١٠٠م فقط عن مواقعه... (١٣٦).

أستخدمت في سنوات الحرب أساليب مختلفة كل الإختلاف لصرف أنظار العدو وإهتمامه عن النوايا الحقيقية لقواتنا.

ففي شهر حزيران عام ١٩٤٤ أسندت إلى كتيبة النقيب غليبوف – مهمة احتلال المرتفع الذي يعد نقطة إستناد قوية. وبعد أن قدّر نسبة القوى والوسائط من جميع الوجوه، وقدّر طبيعة الدفاع والأرض، توصّل قائد الكتيبة إلى إستنتاج مفاده أن تنفيذ المهمة مستحيل إلاّ في حال خداع العدو وتضليله. ولذلك قرّر إرغام الألمان المدافعين عن المرتفع، على سحب القسم الأكبر من قوى نقطة

(١٣٥) "حامي البلاد". غ.م. غورب. موسكو ١٩٧٦م ص ٢٤٨ – ٢٥٠.

(١٣٦) "ماضون في الهجوم".غ.س. زدانوفيتش. موسكو ١٩٨٠ ص ١٣٧–١٣٨.

الإستناد إلى القطاع الواقع مقابل سريته الأولى (سرية المجنبة اليمنى للكتيبة)، وبعد ذلك مهاجمته بالسريتين المتبقيتين بشكل خاطف واحتلال نقطة الإستناد. وهكذا أعطي إلى قائد السرية الأولى أمر للتظاهر بالتحضير للهجوم، ولكن على ألاّ يخلق ذلك أي شك لدى العدو بأن هذه الإجراءات كاذبة. وفي هذا الوقت كان على السريتين الثانية والثالثة القيام بالتحضير للهجوم بسريّة تامة. ولم يسمح لهما حتى بفتح الثغرات في حواجز الأسلاك الشائكة المعادية، بل يجب أن يقتصر ذلك على نزع الألغام بحذر شديد من الأماكن الضرورية فقط.

عندما اكتشف الألمان التحضير الجاد للهجوم على مجنبته اليسرى نقل إلى هناك على جناح السرعة عدداً من المدافع الرشاشة، وقام بتصحيح رمي إضافي للمدفعية وقام بتنفيذ الإغارة.

وفي الموعد المقرّر فتحت المدفعية نيرانها على الحدّ الأمامي للدفاع الألماني وأمام جبهة السرية الأولى. وتحت ستار هذه الرمايات أخذت السرية تتقدّم نحو خط الهجوم. وفي هذه الأثناء كان مقاتلو السريتين الثانية والثالثة يتسلّلون – متخفين بالحشائش الكثيفة والعالية – ودون أي ضجيج أو صوت، نحو حاجز الأسلاك الشائكة، وعند إعطاء الإشارة شنّوا الهجوم واقتحموا المرتفع، وقد أسفرت هذه الهجمة المباغتة من الإتجاه المذكور عن وقوع العدو في حالة من الذعر والبلبلة. وتم تدمير القسم الأكبر من حاميته في معركة قصيرة وخاطفة.

إن أساليب الدهاء العسكري تلك كانت تحقق النجاح في الأعمال الجبلية على الأغلب. ففي ايلول عام ١٩٤٤م، أوقفت كتيبة النقيب زيملاكوفسكي التي كانت تطارد العدو عبر جبال الكاربات، أمام مرتفع مجهول، كان قد حُضّر وجُهّز للدفاع مسبقاً. فتح العدو النيران الغزيرة، التي لم تسمح للجنود السوفييت الذين أنبطحوا أرضاً برفع رؤوسهم، وأتضح أن الإستيلاء على المرتفع بالقوى المتوفرّة مسألة في غاية الصعوبة، عندها لجأ قائد الكتيبة إلى الحيلة والخداع.

لاجدوى من مهاجمة المرتفع من جهة الشرق حيث تواجه الكتيبة مقاومة

شديدة. لذلك أصدر قائد الكتيبة أمراً إلى إحدى سرايا المشاة بالبقاء في مكانها كي تلفت إليها أنظار العدو وإهتمامه بأعمالها النشطة والإيجابية، بينما تقوم السرية الثانية بقيادة الملازم أول أبولازي بالعمل مع سرية الرشاشات الملحقة عليها، بالتقدم عبر الوادي الضيق، مستفيدةً من تضاريس الأرض والحرج الكثيف، وتتّحرك خفيةً نحو السفوح الجنوبية للمرتفع وتهاجم العدو من الجانب، أما السرية الثالثة فقد أبقاها النقيب زيملاكوفسكي كاحتياط . واستطاعت كلتا السريتين تنفيذ المهام التي أسندت إليهما بنجاح، لأن العدو الذي انشغل بالمعركة مع السرية الأولى، لم يلاحظ كيف وصلت إلى مجنبة السرية الأخرى، وهكذا تضعضع الدفاع . ولم يبق أمام الألمان الهتلريين إلاّ الفرار والإستسلام .

هناك مثال آخر و بارع جداً حول خداع العدو بأعمال المشاغلة؛ فقد تبيّن من إفادات السكان المحليين الذين اختبأوا في الغابة أن العدو احتل الدفاع بقوة تقدّر بسرية مع عدد من المدافع والرشاشات على الضاحية الجنوبية ، والجنوبية الشرقية لقرية غلوبوكوي . وبعد أن تلقّى مهمة احتلال القرية اتّخذ قائد الكتيبة النقيب أوبشاروف القرار التالي: تحريك سرايا المشاة خفيةً(عبر الغابة) إلى طرف الغابةمقابل الضاحية الغربية للقرية، مع إبقاء جميع وسائط التعزيز في أماكنها، ومهاجمة العدو من الجانب و الخلف فجأة بعد رمايات المدافع و الرشاشات على مواقع العدو لمدّة عشر دقائق .

وصلت وحدات المشاة التي تحركت خلسةً عبر الغابة، إلى قاعدة الإنطلاق، و انتشرت استعداداًللهجوم . وعندها أعطى النقيب أوبشاروف أمراً بالهاتف إلى المدفعية لفتح النار على المساند والخنادق المعادية. وبعد أن توقّع العدو بأنّ هذه الرمايات هي الرمايات التي تسبق الهجوم من الجبهة، أستعد لصد الهجوم. إلاّ أن الجنود السوفييت الذين أنطلقوا بسرعة من جهة الغرب، إجتازوا المجال المفتوح ودخلوا القرية. لقد كان ذلك مفاجأة تامة بالنسبة للألمان.

في نيسان عام ١٩٤٥ عبرت فرقة المشاة الـ ٢٢٦ بقيادة العميد

ن.أ.كروبوتين نهر الأودر من الحركة، واستولت على رأس جسر بجبهة حتى ٢كم وبعمق حتى ١,٥كم. إلاّ أنها لم تستطع توسيع رأس الجسر هذا على الفور. لأنّ الألمان الذين اعتمدوا على نقطة الإستناد القويّة في بلدة تونسكيرخ - استطاعوا برماياتهم القويّة من المدافع والدبابات إحباط هجوم الوحدات السوفييتية. وكانت تدافع عن نقطة الإستناد هذه كتيبة مشاة معزّزة بسبعة -ثمانية مدافع، وخمس دبابات. كما أن الدبابات أستخدمت كنقاط نارية متحركة. وتحولت جميع أبنية المدينة إلى منشآت صالحة للدفاع الدائري، وأقيمت على بعض القطاعات حواجز الألغام وحواجز الأسلاك الشائكة.

تلقت سرية رماة البنادق الآلية من فوج المشاة الـ ٩٨٥ المعززة بالدبابات، الأمر بالإستيلاء على نقطة الإستناد. وبعد أن قدّر قائد هذه السرية الموقف، قرّر الإستفادة من الدهاء. فقسم السرية إلى مجموعتين : الأولى - بقوام فصيلة رماة بنادق آلية مع ثلاث دبابات، عليها القيام بهجوم استعراضي على الجزء الشمالي من البلدة، واحتلاله لمشاغلة قسم كبير من قوى ووسائط الألمان، والثانية- وهي الأساسية- بقوام فصيلتين من رماة البنادق الآلية مع أربع دبابات تقوم بمهمة التسلّل خفيةً إلى مؤخرة العدو، ومهاجمته من جهة الجنوب.

بعد صبيب ناري قصير، انتقلت كلتا المجموعتين إلى الهجوم عند الفجر. وبعد أن دخلت المجموعة الأولى البلدة أخذت تتقدّم إلى الأمام من بيت لآخر، ملفتةً إهتمام الألمان اليها لمشاغلتهم. وفي هذا الوقت أقتحمت المجموعة الثانية الضاحية الجنوبية لبلدة تونسكيرخ. وقد أدى ظهور الدبابات مع رماة البنادق الآلية بصورة مفاجئة في مؤخرة الألمان وبين ظهرانيهم، إلى إنهيار مقاومتهم (١٣٧).

أستخدم الجنود السوفييت بنجاح خلال الأعمال القتالية تلك الأساليب من الدهاء العسكري، مثل - الغارات في العمق والكمائن. وقد أستخدم هذه الأساليب ببراعة متميزة لواء الدبابات الرابع بقيادة العقيد.م.ي كاتوكوف. ففي

(١٣٧) "التكتيك في أمثلة قتاليه.السرية" موسكو ١٩٧٤ ص ٦٨-٧١.

المعارك التي دارت قرب مينسك خلال شهر تشرين الأول عام ١٩٤١ تمكّن لواء الدبابات المجهز بدبابات طراز -ت٣٤ من تدمير وإعطاب ١١٣ دبابة فاشية ومعدات قتالية أخرى، بفضل العمل من وضعيات الكمائن وتوجيه الضربات المفاجئة إلى العدو، مع العلم أن اللواء المذكور لم يخسر خلال تلك المعارك سوى عدد قليل من آلياته القتالية.

لقدأستخدمت بنجاح أيضاً الإغارات العميقة والكمائن بالدبابات في ملحمة ستالينغراد وأثناء مطاردة العدو المنسحب. وكمثال على ذلك- الأعمال التي قام بها فوج دبابات الحرس الأحمر المستقل إلى الجنوب من محطة ڤيشينسكا في عام ١٩٤٢م (المخطط ٢٥).

في شهر كانون الأول من ذلك العام خرقت القوات السوڤييتية النطاق الرئيسي لدفاع الألمان على هذا القطاع من الجبهة، وبدأ الألمان ينسحبون تحت تغطية أرهاط الحراسة الخلفية، خشية وقوعهم في الطوق، وبذلك تشكّلت الظروف المواتية لمطاردتهم. إلاّ أن القيادة السوڤييتية قرّرت سحق قواهم الرئيسية عن طريق اللجوء إلى الإغارات في العمق، ونصب الكمائن على محاور طرق إنسحابهم. ولهذه الغاية أسندت إلى فوج الدبابات السابع عشر المهمة القتالية التالية : القيام بمسير سريع وتجاوز العدو خفية، وقطع طرق إنسحابه الرئيسية، وإعاقة إنسحابه من جهة الشمال، ومنع تقدم إحتياطاته من الجنوب، ومن أجل تحقيق السرية والإخفاء تقرّر تنفيذ المسير ليلاً وبعيداً عن محور إنسحاب الهتلريين.

شرع الفوج في ١٩ كانون أول بتنفيذ مهمته مع حلول المساء وانطلق خفية باتجاه مؤخرة الوحدات الألمانية المنسحبة، مستفيداً من الثغرات والفرج الموجودة في دفاع الألمان، ومن الأحراج والغابات القصيرة المتقطعة هنا وهناك. ومع حلول الظلام الدامس استمر التحرك بالمصابيح المضاءة. وعندئذ لم يتوقّع الألمان مثل هذه البسالة والمجازفة من جانب السوڤييت فظنوا أن رتل الدبابات الذي يتحرك

سرعان ماتم اكتشاف رتل ألماني من السيارات والرواحل المنسحبة من الشمال بطول ٨كيلو متر. وبنتيجة الضربة التي وجّهها فوج الدبابات تبعثر الرتل وأختل تنظيمه. ثم تم تدمير القسم الأكبر من قوى الألمان الحيّة ومعداتهم بالنيران وسلاسل الدبابات.

وبالإضافة إلى ذلك أستطاع هذا الفوج عن طريق نصب الكمائن أن يسحق أركان فرقة مشاة، ويدمّر حوالي ١٠٠ سيارة و٢٠٠ عربة نقل و٨٠ مدفعاً ويلقي القبض على حوالي ٢٠٠ أسير ويستولي على كميات كبيرة من العتاد والمهمات والتجهيزات.

وقد أكّدت الخبرات والدروس المستفادة من الحرب، أنه حتى دبابة واحدة فقط تشكّل قوة رهيبة إذا ماعملت من وضعية الكمين.

تلقى طاقم الدبابة ت ٣٤ بقيادة الملازم أوسيكين مهمة تغطية إتجاه خطر تهدّده دبابات العدو، وذلك في شهر آب ١٩٤٤. احتل الطاقم موضعه في الكمين على طرف حقل يستخدم كمرعى للمواشي تحت جنح الظلام، وموّه الدبابة بكومة من الحشائش والنباتات، وعند الفجر تحرّكت من القرية باتجاه الحقل ١٤ دبابة ألمانية تحمل مشاة على متونها. وبالطلقة الأولى أحرق طاقم الملازم أوسيكين الدبابة الفاشية الأولى، ثم الثانية، فالثالثة. فظن الألمان أنهم يواجهون قوات كبيرة، فأخذوا يتراجعون. عندئذٍ استفادت الدبابة ت ٣٤ من هذا التوقّف القصير فعادت قليلاً إلى الوراء لتختفي بين أشجار الغابة. وخلال بضع دقائق ظهرت في السماء الطائرات الألمانية، التي وجّهت ضرباتها بالقنابل إلى جميع أكوام الحشائش وحرثت أرض الحقل بمدافعها وقنابلها، إلاّ أن هذه الضربات أصابت أهدافاً وأماكن خاوية.

بعد فترة من الزمن تبيّن أنّ الدبابات التي دُمرت كانت من نوع "النمر الملكي" (كوروليفسكي تيغر) الجديدة والتي يبلغ وزنها ٦٨ طناً... (١٣٨) أي أنّ

(١٣٨) "سلاح من نوع خاص" ك.ف.كراينوكوف موسكو ١٩٧٨. ص٢٩٤-٢٩٦.

الألمان الذين زجّوا سلاحهم الجديد هذا في المعركة كانوا مستعدّين لكل الإحتمالات والمفاجآت. إلا أن ضربة من كمين دبابة واحدة كانت مباغته جداً، إلى حدّ أنها صعقت الألمان وأربكتهم.

لقد أستخدم الدهاء العسكري بنجاح في المعارك الدفاعية أيضاً. ففي شهر تشرين الثاني ١٩٤١م أمر قائد فرقة المشاة الثانية والثلاثين العقيد . ف.ي.بولوسوخين بتنظيم وتجهيز موضع حراسة قتالية ضمن نطاق دفاع الفرقة - على مسافة كيلومتر واحد أمام الموضع الرئيسي. وذلك من أجل خداع العدو وتضليله عن معالم الحد الأمامي. وقد احتلت موضع الحراسة القتالية كتيبة مشاة معززة. هذا وقد أخفقت جميع محاولات الألمان الرامية إلى تدمير الحراسة القتالية والوصول إلى الحد الأمامي لموضع الدفاع الرئيسي للفرقة.

وفي ربيع ١٩٤٢م وفي منطقة ستاراياروسا قام قائد لواء المشاة السادس والأربعين بسحب وحدات اللواء خفيةً من الحد الأمامي ولمسافة ٥٠٠ - ٦٠٠م داخل الغابة، ونشر وحدة لتمثيل الحد الأمامي الكاذب قبل بدء هجوم الألمان على طرف هذه الغابة (المخطط رقم ٢٦). قام الألمان بقصف مدفعي وجوي للحد الأمامي للدفاع وانتقلوا إلى الهجوم. وعندما دخلت المشاة الألمانية الغابة واجهتها نيران الأسلحة الخفيفة والهاون من كلا الجانبين ومن الأمام، ثم تعرضت للهجوم المعاكس وتقهقرت إلى قاعدة الإنطلاق بعد أن خسرت ٥٠٠ جندي وضابط بين قتيل وجريح.

ومن بين الأساليب الناجعة والبارعة في الدهاء العسكري ماقام به قائد فوج الدبابات المستقل الـ ٥٥ المقدم أصلانوف. ففي شهر كانون الأول عام ١٩٤٢ ظهرت مجموعة من دبابات الألمان أمام قطّاع دفاع الفوج في ضواحي ستالينغراد وفي منطقة مزرعة ڤيرخني كوتسي. عندئذ دفع المقدم أصلانوف بفصيلة دبابات لمواجهة الألمان وتلخّصت فكرته بمايلي : تدخل الفصيلة في معركة مع العدو وترغمه على الإنتشار بترتيب القتال والهجوم بالإتجاه الذي احتلّت عليه .

القوى الرئيسية للفوج دفاعها خفيةً، على شكل خط مقعّر «كنعل الفرس». ثم لجأ قائد الفوج إلى الخدعة ثانية ليضلّل الألمان الذين توغّلوا نحو مؤخرته، وأرسل هذه المرة سرية دبابات لمواجهتهم، وهذا جعلهم يتكبدون الخسائر الفادحة (١٣٩).

حاول الألمان الإنتقال إلى الهجوم على القطاع الآخر من الجبهة وقرب بلدة جورافليف فاجتازوا حاجز الأسلاك الشائكة والتفّوا حول المجنبة اليمنى للكتيبة ثم دفعوا إلى الأمام بسرية من رماة البنادق الآلية المعزّزة بالرشاشات المتوسطة والخفيفة وباتوا يهدّدون بالوصول إلى مؤخرة الكتيبة. وبذلك تعقّد الموقف إلى حد كبير.

أمر قائد الكتيبة الملازم أول كوباسوف قائد السرية الثالثة بتحويل الفصيلتين الجانبيتين إلى الموضع - المتّجه بجبهة نحو الجوار الأيمن. وقد شكل ذلك تهديداً جانبياً لتجمع الألمان المتوغّل في الدفاع. ثم قام قائد الكتيبة خفيةً، بتحريك السرية الأولى التي كانت تعمل في النسق الثاني - عبر الغابة إلى مجنبته اليمنى. وألتفّت فصيلتان من السرية حول رماة البنادق الألمان من الجانب الأيمن، أما الفصيلة الثالثة فهاجمت من الأمام. وقامت القوى المتبقّية من الكتيبة بالإشتراك مع سرية الرشاشات وسرية المدفعية الملحقة بإعاقة تقدّم القوى الرئيسية للألمان دون أن تسمح لهم بالإلتقاء مع المجموعة المتوغّلة (المخطط رقم ٢٧).

أستطاع مقاتلو السرية الأولى تنفيذ المهمة الملقاة على عاتقهم بنجاح. فقد أنتقلت السرية إلى هجوم حاسم ودمّرت بالكامل المجموعة الألمانية المتوغّلة.

وحدث هذا أيضاً في ٦ آب عام ١٩٤٤م في نطاق دفاع فرقة مشاة الحرس الأحمر التاسعة والثلاثين بقيادة العميد .ن.م.سوخوريف، فبعد أن قدر قائد الفرقة نوايا الألمان، حرّك خفية، قطعاته نحو الوراء على عمق ٣كم، حيث شكّل حدّاً أمامياً جديداً لنطاق الدفاع الرئيسي، بينما ترك على المواضع السابقة

(١٣٩) "إخفاق الرعد الشتوي" م.ي.بازوياشكيلي موسكو ١٩٨٤ ص ٤٠-٤٧.

حراسة قتالية بهدف خداع العدو وتضليله، وبالتالي قام الألمان بتمهيد مدفعي قوي ضد مواضع خالية من القوات، وأخفق هجومهم.

في شهر كانون الثاني ١٩٤٥م وأثناء قيام الوحدات السوفييتية بالدفاع عن مواقعها إلى الشمال من بحيرة بالاتون، جرى إقامة حواجز الأسلاك الشائكة أمام الحد الأمامي خفيةً عن أنظار العدو ثم رُبطت هذه الأسلاك بتيار التوتّر الكهربائي العالي. وفي الساعة السابعة من صباح ١٨ كانون الثاني عاود الألمان هجومهم، فأصطدمت مشاتهم بهذه الحواجز غير المتوقّعة، وتراجعت إلى الوراء، بعد أن خسرت أكثر من ٢٠٠ رجل. كما أن دبابات الألمان، دخلت بدورها في حقل ألغام تم زرعه خفيةً، مما أسفر عن تدمير تسع دبابات ولاذ الباقي منها بالفرار.

كانت أعمال عناصر الإستطلاع في القوات السوفييتية بارعة ومبتكرة خلال سنوات الحرب. إذ أن إغاراتهم وكمائنهم المنظمة جيداً والمنفّذة ليلاً ونهاراً على حد سواء أسفرت عن النتائج المرجوة.

لقد أفاد جنود الإستطلاع بأن الألمان يشكلون، في كل ليلة، قوة حراسة إلى الشرق من قرية أوسينوفكا، وفي الصباح، يحل محل هذه الحراسة مخفر ثنائي (من شخصين) مع رشاش خفيف. كما لاحظ جنود الإستطلاع السوفييت أيضاً أن خندقاً غير كبير موجود على مسافة ٦٠م عن مسند المخفر الألماني. وعلى ضوء هذا كله وضعت الخطة المناسبة لإختطاف "أسير".

تحت جنح الظلام تحركت مجموعة من جنود الإستطلاع زحفاً نحو الخندق وأختبأت فيه، وبعد ساعة من تبديل الحراسة، هاجم جنود الإستطلاع المخفر بصورة مفاجئة، وألقوا القبض على الأسرى الهتلريين وعادوا أدراجهم بسرعة، وقد أدلى الأسرى بإفادات ثمينة جداً، إذ أنه حسب إعترافات هؤلاء الأسرى تبيّن أن الفاشيين لم يتوقعوا، على الإطلاق، أن يجرؤ الروس على القيام بمثل هذه الأعمال نهاراً، ولذلك فإنهم يشكلون حراستهم القتالية المعزّزة ليلاً فقط.

الأمثلة القتالية العملية كثيرة.... ومن بينها : أن وادياً عميقاً كان يفصل بين الحد الأمامي للقوات السوفييتية والحد الأمامي للألمان في قطاعات الدفاع. ولم يكن بالمستطاع هنا التسلّل إلى مواقع الألمان لإختطاف الأسرى. ولكن نتيجة رصد ومراقبة تحركات ونشاطات العدو باستمرار، أفاد جنود الإستطلاع بأن الهتلريين ينزلون من حين لآخر، إلى قاع الوادي للحصول على مياه الشرب من جدول صغير هناك. وبسبب التشابه المطلق بين سفحي الوادي المتقابلين أقام الألمان على سفحهم هيكل إنسان (دُمية) يمكن رؤيته ليلاً بشكل جيّد، وذلك كنقطة علاّم لهم. وأستفاد جنود الإستطلاع السوفييت من هذه الناحية بالذات لإختطاف أسير.

عندما أظلم الليل في اليوم التالي نصب جنود الإستطلاع كميناً في الوادي. وفي منتصف الليل ظهر جندي ألماني قرب جدول الماء. وبعد أن ملأ عدد من الترامس بالماء، تحرّك عائداً أدراجه. الاّ أنه لم يشاهد الهيكل البشري (الدمية) التي يجب أن تكون على طريق العودة، فعاد ثانية إلى الجدول. وبعد أن شاهد الدمية على الجانب المقابل (لأن جنود الإستطلاع السوفييت كانوا قد نقلوها إلى الجانب الآخر) تابع الجندي الألماني بثقة وإطمئنان سيره نحو الموقع السوفييتي حيث كان الروس بانتظاره.

تميّزت أعمال القنّاصة بالجرأة والبراعة والحيلة والدهاء خلال سنوات الحرب. وكان هؤلاء جنوداً شجعاناً، وأقوياء، وسريعي البديهة. فبالإضافة إلى مهارتهم في الرمي، والتنقّل خلسةً وبدون أي أصوات أو ضجيج، والتمويه والإخفاء، والتكّيف مع الأرض، كان ينبغي على هؤلاء خداع العدو وتضليله ببراعة وإبتكار.

يمكن القول أن الجنود السوفييت من كافة الصنوف كانوا يتحلّون بهذه الصفات والمهارات، فجميعهم أظهروا المرونة في القرارات، وسرعة البديهة في الأعمال، والإبداع والإبتكار والحيلة والدهاء في الصراع ضد عدو قوي وماكر. من هنا يتضّح بجلاء أنّ أشكال وطرق الدهاء العسكري تطورّت إلى حد بعيد خلال

سنوات الحرب العالمية الثانية سواء أكان ذلك على المستوى الإستراتيجي أم العملياتي أم التكتيكي. وقد أثبتت خبرات الحروب والدروس المستفادة من الأعمال القتالية أن الدهاء العسكري على ساحة المعركة لزاماً على القائد مهما كان موقعه ومكانته - قائد وحدة أم قطعة أم تشكيل أم جحفل ...الخ - أن يسعى إلى تنفيذ المهمة القتالية المسندة بأقصى سرعة ممكنة وبأقل قدر من الخسائر والإصابات.

من المهم جداً دراسة أشكال وطرق الدهاء العسكري وتعميم خبراته النظرية. حيث أن الميول والمواقف الداعية في الوقت الحاضر، إلى الإقلال من شأن هذه الخبرات ولاسيما خبرات الحرب العالمية الثانية هي مواقف ضارة ومؤذية دون شك. إذ يجب معرفة حقيقة تلك الإنتصارات الكبرى والصغرى التي تحققت في هذه الحرب، كما لايجوز تجاهل الأخطاء والإخفاقات، التي من المهم جداً في الوقت الحاضر دراستها وتحليلها بهدف تعزيز القدرات الدفاعية، والقوّة القتالية للقوات المسلحة.

* * *

ا - في عمليات قوات الحلفاء

تحظى بأهتمام خاص الخبرات المستفادة من إستخدام الدهاء العسكري في العمليات التي قامت بها القوات الأنكلو - أميركية ابّان سنوات الحرب العالمية الثانية ولذلك لابدّ من تسليط الضوء على بعض منها.

ففي عملية العلمين التي جرت عام ١٩٤٢ (المخطط رقم ٢٨) خطّطت قيادة الجيش البريطاني الثامن لتوجيه الضربة الرئيسية على الإتجاه الساحلي بقوى فرقتين مدرعتين، كانت إحداهما تتوضّع في الخلف على مسافة ٢٠كم إلى الشرق من بلدة العلمين، والثانية - على المجنبة اليسرى للجيش، أي في الصحراء الليبية.

كان من غير الممكن في ظروف الأرض الصحراوية إخفاء تحركات مثل هذه القوى الكبيرة عن أنظار العدو. ولذلك اتّخذ قائد الجيش الثامن الجنرال مونتغومري قراره الهادف إلى تضليل الألمان واللجوء إلى التظاهر بتحشد الدبابات على الإتجاه الساحلي قبل موعد البدء بالعملية ببضعة أسابيع. والجدير بالذكر أنّ أعمال التمثيل والتقليد نُفّذت بدون حذر وعناية عن قصد، كي يتمكّن الإستطلاع المعادي من إكتشاف فحواها الكاذب.

وفي الحقيقة، كانت كافة القطعات المدرعة متحشدّة وممّوهة في المناطق الثلاث التي ظلت متواجدة فيها حتى اليوم الذي سبق الهجوم. وتوضّعت الدبابات في هذه المناطق المذكورة بحيث يكتشفها طيران الإستطلاع المعادي ويتأكد من أن توضّعها هذا يوحي بأن قطعات الدبابات البريطانية سوف تتحرك باتجاه الجنوب. لكّن هذه الدبابات تم تحريكها ليلاً، قبيل الهجوم، إلى منطقة الإنطلاق، ووضعت في أماكنها هياكل الدبابات الوهمية.

كانت قطعات النقل متواجدة، قبيل الهجوم، في منطقة الإنطلاق. وفي ليلة

الهجوم تحركت هذه القطعات (الشاحنات) إلى الخلف، وحلت محلّها الدبابات التي تم تمويهها لتبدو وكأنها شاحنات عادية. حتى أن قطعات المدفعية التي احتشدت على المجنبة اليمنى جرى تغيير شكلها الخارجي لتبدو وكأنها حشود من السيارات والشاحنات وقبل موعد بدء الهجوم بعدّة أيام نُقلت "السيارات" إلى خط الجبهة. وتعرضت قوات العدو في يوم الهجوم لرمايات كثيفة. وكان التمهيد المدفعي والمرافقة النارية لهجمة البريطانيين مفاجأة تامة بالنسبة له

جرى على المجنبة الشمالية وهي مناطق محطات السكك الحديدية، تمثيل للمستودعات والتي تعرضت لضربات الطيران الألماني إلاّ أن المستودعات الحقيقية كانت مموّهة، وكان الوقود مخزناً في الخنادق أمام الحد الأمامي لدفاع العدو.

كانت قد نُصبت على المجنبة الجنوبية هياكل عديدة للمدافع، وجرى تقليد لتجميع المستودعات، كما تم تمديد أنابيب النفط إلى تلك المنطقة. أن هذا كله أقنع العدو بشكل قاطع بأن الهجوم يخطط له على المجنبة الجنوبية. و"أقنعوا" الفاشيين خلال الموقعة بأنّه لاوجود للمدفعية في هذه المنطقة، وقبل أن تبدأ القوات الفاشية بالإقتحام، استبدلت هياكل المدافع بمدافع حقيقية أحدثت رماياتها الهلع والذعر في صفوف المهاجمين.

قام بتدريب جنود الحلفاء فنيون مهرة على التنفيذ الناجح لجميع تدابير وإجراءات الإخفاء والسرّية. فقد أوضح هؤلاء الخبراء لكل طاقم ولكل جماعة في أي مكان يجب أن تتوضع الدبابة أو المدفع. وكيف ينبغي تمويهه على الوجه الأفضل. كما أنّ وحدات خاصة قامت بنصب الهياكل "وبعثت فيها الحياة والنشاط"

بهذه الإجراءات والتدابير تم تحقيق هدف الدهاء العسكري : أي أن طبيعة التحضيرات في الشمال تم إخفاؤها، والعدو ضُلّل عن إتجاه الضربة الرئيسية وموعد بدء الهجوم - والجنرال الألماني .ي.رومل واصل إحتفاظه بقواته الرئيسية

في الصحراء وعلى المجنبة اليمنى. والبريطانيون نقلوا في ليلة الهجوم الفرقتين المدرعتين، كما تقرر في الخطة، إلى الإتجاه الساحلي - إلى منطقة التحشّد "الكاذبة" وفي اليوم التالي وتحت جنح الظلام والستائر الدخانية انتقلوا إلى الهجوم. لقد تحققت المفاجأة، وانتهت عملية البريطانيين بنجاح.

في عملية صقلية التي جرت تحت القيادة العامة للجنرال الأميركي د.ايزنهاور في تموز - آب عام ١٩٤٣ سعت القيادة الأنكلوا - أمريكية إلى إخفاء غرض العملية عن العدو، وكذلك موعد البدء بها، والقوام القتالي للقوات التي ستنفذها وطرق الأعمال القتالية. ولذلك قام الحلفاء بعملية «مينسميت» الخاصة بهدف تضليل القيادة الفاشية عن المناطق الحقيقية لإبرار الإنزالات في حوض البحر الأبيض.

لم تحم الشكوك حول إحتمال مثل هذا الغزو، لأن حاميات القوات الألمانية المتواجدة في جزيرة سردينيا لم تكن كبيرة. وفي حال إحتلال المطارات في سردينيا وفي جزيرة كورسيكا المجاورة لها، تتشكل الظروف المواتية لتمركز الطيران الأميركي عند غزو إيطاليا أو جنوب فرنسا. زد على ذلك، أنهّ لتضليل العدو عن قوام قوى الغزو. فقد ظلّت أركان الجيش الأمريكي السابع الذي يقوده الجنرال. ج . باتون والمنتشر في منطقة وهران (بالجزائر) على قاعدة الفيلق المدرع الأول، تدعى باركان هذا الفيلق. كما أن الجيش البريطاني الثامن بقيادة الجنرال . ب. مونتغمري أصبح يُدعى مؤقتاً بالجيش الثاني عشر (١٤٠).

وقبل موعد إبرار الإنزالات في صقلية قامت مجموعة عملياتية من القوى البحرية الأنكلو - أمريكية بإبحار إستعراضي تظاهري من الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط إلى حوضه الشرقي - نحو اليونان. والحقيقة هي أن هذه المجموعة التي تجاوزت جزيرة مالطة، اقتربت عند حلول الظلام - أي في الليلة التي سبقت العملية - من شواطىء صقلية، حيث أمّنت إبرار الإنزال البحري.

ومما ساعد على نجاح عملية الإنزال في صقلية، إلى حدّ لايستهان به،

---

(١٤٠) "المفاجأة في عمليات القوات المسلحة الأميركية" موسكو ١٩٨٢ ص٧٤.

الخدعة التالية : بناء على معلومات الإستطلاع البريطاني. كانت القيادة الهتلرية ترى أن الأكثر إحتمالاً هو نزول قوات الحلفاء في سردينيا وليس في صقلية : لأنه من سردينيا يسهل الوصول إلى كورسيكا التي يمكن أن تستخدم كرأس جسر لغزو فرنسا أو إيطاليا. وفي الوقت نفسه كان هناك إحتمال بنزول الحلفاء في اليونان. ومما أكّد «صحة» وجهة النظر هذه الوثائق التي تم الحصول عليها من العملاء النازيين في اسبانيا. والتي تم العثور عليها في ثياب ضابط بريطاني، يبدو أن جثته نُقلت إلى الشواطىء الإسبانية. وكان بين هذه الوثائق رسالة من نائب رئيس الأركان العامة اللواء ناي إلى الجنرال .هـ. الكساندر. وكان على الضابط المتوفي كما يبدو، نقل هذه الرسالة إلى جهتها (عنوانها). وقد تحدثت الرسالة عن برقيات رسمية حديثة العهد لها صلة بالأعمال والعمليات المقبلة. كما أن تعليقات كاتب الرسالة وآراءه تشير إلى أن الحلفاء ينون النزول في سردينيا واليونان، على الرغم من أنهم يحاولون إيهام القيادة الألمانية بأن هدف أعمالهم هو صقلية. والجدير بالذكر أن الرسالة والجثة كانتا جزءاً من خطة ماكرة أعدّتها الإستخبارات البريطانية بهدف تضليل الألمان. وقد نُفذت الخطة بشكل جيد إلى حدٍ لم يتشكل معه أدنى شك لدى قادة الإستخبارات الألمانية بصحة تلك الوثائق.

لقد أخذت أبعاداً كبيرة تلك الإجراءات والتدابير المتعلقة بالسرية والإخفاء وتضليل العدو في العملية التي قامت بها القوات الأنكلو – أميركيه للإنزال في النور ماندي والتي نفُذت خلال حزيران – تموز ١٩٤٤. وكانت بذلك جزءاً من خطة «أوڤرلورد» (عملية «نبتون»).

عند التخطيط والتحضير لمثل هذه العملية الضخمة التي شارك فيها أربعة جيوش ميدانية، وأكثر من ١١ ألف طائرة وسبعة آلاف سفينة وقطعة بحرية لم تعلّق قيادة الحلفاء الآمال على تحقيق المفاجأة الكاملة. إلاّ أنها أتخذت إجراءات وتدابير معيّنة لتأمين هذه المفاجأة.

يقول الفيلد مارشال .ب. مونتغمري «إن خطة التضليل الإعلامي التي نُفذت

لصالح هذه العملية كانت تشكّل جزءاً من تلك الإجراءات والتدابير العامة التي تشمل كل المسارح الأوروبية، والتي أتّخذها ونسّقها الحلفاء لخداع العدو وتضليله. وكان من الواضح أنه لايمكن إخفاء جميع التحضيرات للغزو والتي جرت في المملكة المتحدة البريطانية. ومع إقتراب موعد يوم الغزو أدّى حشد السفن والوسائط البرمائية في موانيء جنوب بريطانية إلى كشف نوايانا الرامية إلى توجيه الضربة عبر بحر المانش. ولذلك فإن خطة التضليل الإعلامي كانت تهدف إلى تضليل العدو عن منطقة الغزو، وإقناعه بأننا سنكون مستعدين للغزو ولكن ليس قبل ستة أسابيع من الموعد المقرر فعلاً. فقبل حلول يوم الغزو تقرّر، حسب هذه الخطة، إشغال العدو بالفكرة القائلة بأن الإنزال سوف يتم على شواطيء باديكالية وعند رأس غرينيه. وبعد البدء بالغزو كانت مهمتنا تنحصر في إقناع العدو بأن عملية «نبتون» ما هي إلا عملية تمهيدية أولية ذات طابع تخريبي، وهي ترمي إلى إيهام العدو بضرورة سحب إحتياطاته من منطقة باديكالية ومن بلجيكا، في حين أن الضربة الرئيسية سوف توجه في منطقة باديكالية» (١٤١).

وكتطوير لهذه الخطة وللمزيد في تضليل الألمان إعلامياً فقد تم وضع خطة النيران المشتركة، ومايسمى بخطة النقل.

بموجب خطة النيران المشتركة قام الطيران الأنكلو - أمريكي في تللك الفترة بقصف جوي شديد لتلك الأغراض العسكرية الألمانية الواقعة على الشاطيء في مناطق : كاليه وبولون من أجل التقليل من مخاوف الألمان في النورماندي، حيث تقرّر إبرار الإنزال البحري.

أما خطة النقل فقد تقرّر بموجبها توجيه الضربات الجوية إلى عقد وجسور السكك الحديدية على مساحات واسعة إلى الشمال الشرقي من فرنسا بهدف إضعاف إمكانيات الألمان الذين قد يحاولون نقل إحتياطاتهم من ألمانيا وبلجيكا وهولندا إلى منطقة إبرار إنزالات الحلفاء المرتقبة. وقد تعرّض للغارات الجوية

---

(١٤١) B.M ONTGOMERY. NARMANDY TO THE BALTIE. LONDON.1946.

بالأفضلية الأولى أغراض ومنشآت الطرق إلى الشمال من نهر السين حيث تقرّر إبرار الإنزال.

كان أساس جميع الخطط الخاصة بالتضليل الإعلامي يقوم على قاعدة الربط الماهر والبارع بين التدابير والإجراءات الحقيقية والكاذبة المقنعة إلى حدّ ما، والمتعلقة بالتحضير لعمليات الإنزال، والهادفة إلى خداع العدو وحمله على إستخلاص الإستنتاجات الخاطئة، وتشتيت قواته ووسائطه على الشواطيء الشمالية - الغربية الفرنسية الطويلة.

جرى في فترة التحضير للعملية ووفقاً لخطة «أوفرلورد» تمثيل واستعراض التحشد لوسائط النقل والقوات في الموانيء الواقعة جنوب شرق بريطانيا لحمل الألمان على الإستنتاج بأن هذه القوات تستعد للإبرار (للإنزال) على شاطيء باديكاليه. أما خطّة الإجراءات والتدابير المسماة «عملية كافيير» فقد وضعت على أساس تضليل عملاء الألمان المعروفين لدى الحلفاء، وتنظيم عمل الشبكات اللاسلكية الكاذبة وبث الشائعات حول تشكيل جبهة غزو كاذبة. إن الهدف من جميع هذه الخطط والإجراءات هو حمل الألمان على الإمتناع بأنّ مجموعة جيوش بقوامها الكامل قد احتشدت على الشاطيء الشرقي لبريطانيا من أجل الهجوم عبر خليج باديكالية. وقد أطلقت على الأركان التي تقود هذه العملية اسم "أركان مجموعة الجيوش الأميركية الأولى". وعيّن للعمل في دور القائد لمجموعة الجيوش الأميركية الوهمية هذه اللواء .ج.باتون، الذي رافقت وصوله إلى بريطانيا حملة دعائية واسعة. هذا وقد تمركزت أركانه الكاذبة بالقرب من دوفر. ثم بدأت هياكل سفن الإنزال الوهمية تظهر بأعداد كبيرة في نهري التايمز وميدوي. كما تمركزت مئات هياكل الدبابات هناك، حيث كانت تستطيع الطائرات الألمانية تصويرها.

بعد أن خرجت القوات البريطانية من معسكراتها هناك، جرى إعدادها وتحضيرها لإرسالها إلى النورماندي، إلاّ أن دخان مطابخ المعسكرات ظل يتصاعد في الجو، وظلت الشاحنات تجوب المنطقة. كما أُبقيت في شرق بريطانيا

"المعسكرات" الأخرى – التي هي في حقيقتها معسكرات من الخيام، تبدو فيها كل دلائل الحياة والنشاط بحيث يمكن رصدها ومشاهدتها عند التصوير من إرتفاعات عالية.

استطاعت مجموعة جيوش باتون تثبيت الجيش الألماني الخامس عشر وحمله على التمسك بمنطقة باديكالية، طالما أن القيادة الألمانية العليا كانت على يقين بأن "مجموعة الجيوش الأولى" قد تنزل هنا في اية لحظة.

في فترة إبحار الإنزال عبر بحر المانش، وإبرار نسق الإقتحام منه على شاطىء خليج السين، نُظمت ونُفذت في ليلة السادس من حزيران عملية ضخمة استخدمت فيها الوسائط اللاسلكية الالكترونية بغية التظاهر بالتحضير والإعداد لإبرار الإنزال البحري في منطقة باديكالية. فالسفن الحربية و الطائرات المجهزة خصيصاً لهذه الغاية (مئات من السفن والطائرات) اخذت تعمل أمام جبهة العدو الألماني مع توجيه الضربات في الوقت نفسه إلى الأغراض الواقعة على الشاطىء لمدة أربع ساعات، مقلدة بذلك عمل محطات لاسلكية ولاسلكية موجهة من على السفن والطائرات كي توهم بذلك الألمان بأن الحلفاء على وشك الإبرار – النزول – على شاطىء باديكالية.

وبالإضافة إلى ذلك قامت طائرات تابعة لأحد الأسراب الجوية القاذفة، بالتحليق فوق البحر على إرتفاع منخفض وألقت كميات كبيرة من الأشرطة والصفائح المعدنية. التي ظهرت على شاشات المحطات الرادارية الألمانية وكأنها سفن حربية. بينما كانت السفن الحربية الحقيقية تتظاهر بأعمال مشتركة مع الطيران، حيث أنها أطلقت في الهواء فوق منطقة تواجدها، الصواريخ والقذائف المحشية بتلك الأشرطة المعدنية. وأطلقت بعض زوارق الطوربيد المناطيد المعلّقة التي تحمل العواكس المعدنية الزاويّة، وبفضل ذلك ظهرت زوارق الطوربيد على شاشات المحطات الرادارية الألمانية وكأنها سفن ضخمة. كما زُوّدَ عدد كبير من السفن والطائرات بمحطات تشويش لاسلكي فني استطاعت أن تسهل أعمال

الطيران الأنكلو – أمريكي. كل هذا أدّى إلى تضليل الألمان عن المكان الحقيقي لإبرار الإنزال البحري، وكذلك – عن قوام وحجم القوى والوسائط المشاركة في هذه العملية.

كان للسرية والإخفاء أهمية لايستهان بها في عملية النورماندي : فالقوات المخصصة للإنزال كانت تتوضع قبل العملية في معسكرات محاطة بالأسلاك الشائكة. إلاّ أن حوالي ألفي عنصر إستخبارات كانوا يراقبون هذه القوات هذه بهدف منع تسرب أي سر من أسرارها وضبط أي خطأ أو تقصير في هذا المجال. فقد مُنعت وعلّقت كافة مراسلات العسكريين لإشعار آخر. وتم توزيع مراسلو الصحف المسموح لهم بالعمل مع قوات الحملات على السفن، حيث جرى إعتمادهم كمراسلين لجمع المعلومات فقط، ثم أرسلوا إلى لندن. هذا وقد أعطت تلك الإجراءات و التدابير الإستثنائية ثمارها. فالألمان لم يجدوا في أي وثيقة، مايدل أو يشير أو يوحي إليهم بالسر الخفي حول يوم وساعة بدء العملية.

بالإضافة إلى قوات الإنزال البحري جرى خلال عملية النورماندي إسقاط إنزال جوي كبير بواسطة المظلات والطيران الشراعي. ومن أجل منع الألمان من معرفة مكان هبوط هذا الإنزال، قام الحلفاء بإسقاط دُمى بشرية (هياكل جنود) بالمظلات في ثلاث مناطق خارج حدود منطقة النورماندي، الأمر الذي أدّى أيضاً إلى تشتيت قوى ووسائط الألمان.

لقد اهتمّ رئيس وزراء بريطانيا آنذاك ونستون تشرشل شخصياً بتدابير وإجراءات خداع الألمان. هذا وقد كتب تشرشل في مذكراته بعد الحرب قائلاً : «إن خداعنا الأساسي كان ينحصر في إظهار نوايانا للألمان بأننا نريد النزول عن طريق مضيق الدوفر ... وقد استُخدمت تلك الوسائل المعروفة. مثل – تقليد حشود القوات في كَنْت وسوسيكس، وتشكيل أساطيل كاملة من السفن – "الهياكل" في موانىء جنوب شرق بريطانيا، ومناورات الإنزال على قطاعات الشاطىء المجاورة. وتنشيط عمل أجهزة الإرسال اللاسلكي. وفي تلك الأماكن التي كنا لاننوي النزول

فيها إزداد نشاط إستطلاعنا حتى تفوّق على نشاط الإستطلاع في الأماكن المقررة فعلاً للنزول. وقد أسفر هذا كله عن النتائج الرائعة. فالقيادة الألمانية العليا وثقت ثقة تامة بتلك المعطيات التي وضعناها نحن تحت تصرفها عن طيب خاطر» (١٤٢).

بنتيجة الأعمال الإستعراضية – التظاهرية، والتقليدية، والإعلامية التضليلية التي قام بها الحلفاء، قبل، وخلال تنفيذ خطة "أوفرلورد" لمدة لاتقل عن ستة أشهر، وقعت القيادة الألمانية العليا في فخ التضليل إلى حدّ كانت معه على ثقة تامة بان القوات الأنكلو – أميريكية ستوجه ضربتها الرئيسية باتجاه : كاليه – باريس واعتبرت هذه القيادة الإبرار الحقيقي الإنزال البحري والإنزال الجوي في النورماندي عملية "مشاغلة" لصرف النظر والإهتمام فقط. وخير ما يؤكد ذلك أقوال الهتلريين أنفسهم. فالأدميرال روجيه مثلاً، كتب يقول حول تحضير الحلفاء للعملية بموجب خطة "أوفرلورد" : «التحضيرات الهائلة لم تعد سراً خفياً على الجانب الألماني. إلاّ أن التوقعات والتكهنات حول موعد ومكان إبرار الإنزالات ظلت متباينة جداً، حتى أن البعض كان يرى أنه من المحتمل نزول الحلفاء في النرويج» (١٤٣)

حدا التقدير غير الصحيح للموقف بالقيادة الألمانية إلى تعطيل جهود جيشها الخامس عشر المتميّز بالقدرات القتالية الأفضل، والمؤلف من ست عشرة فرقة، والإحتفاظ به على شواطىء باديكاليه إلى الشمال من السين لمدة أكثر من شهر ونصف.

لقد أشار الجنرال الألماني تيبلسكيرخ بقوله : «إلى أن قيادة مجموعة الجيوش "ب" كان محظوراً عليها حظراً تاماً، ان تسحب – بدون إذن من قيادة

(١٤٢) CHURCHILL. W. THE SECOND WARLD WAR. LONDON.1954 V.6.P.108

(١٤٣) "الحرب في البحر – ١٩٣٩ – ١٩٤٥". روجيه. ف. موسكو ١٩٥٧م ص ٣٥٢.

القوات المشتركة - أي قوة كانت من قوام الجيش الخامس، لإستخدامها في منطقة الأعمال القتالية. حتى أن هتلر نفسه أيضاً، لم يستطع التخلّص من الخطر المحدق به. وهو أن الضربة الأساسية للعدو سوف تُنفذ، مع هذا كله، على قطاع ساحلي آخر. ولذلك فإنه رفض كلّ الطلبات والمقترحات الداعية إلى إضعاف الدفاع على شواطىء المانش» (١٤٤).

ومما ساعد على تحقيق المفاجأة في إنزال القوات، هو أن القوى الرئيسية للحلفاء كانت قد نزلت في وقت النهار وفي خليج ميناء كبير مباشرة، الأمر الذي لم يحدث من قبل في عمليات الإنزال الأميركية.

إن التدابير والإجراءات المتعلّقة بتضليل العدو إعلامياً، وخداعه، في مرحلة التحضير والتخطيط لعمليات القوات الأنكلو - أميركية، اشتملت أيضاً على نشر الشائعات الكاذبة، وأقوال الصحف المغرضة، وإعداد وثائق ومستندات كاذبة، والتظاهر بالأعمال الكاذبة وقد جرى كل ذلك عن طريق القيام بالأعمال الإستدارجية (المشاغلة، وصرف النظر)، وتمثيل هذه الأعمال وتقليدها - تشكيل أغراض عسكرية كاذبة مختلفة عن طريق استخدام هياكل سفن ودبابات وطائرات وهمية، ومعدات قتالية أخرى. لقد نُفذت هذه الأعمال بصورة مسبقة وبانتظام، بشكل مركّب ومتكامل، وبموجب خطّة واحدة كقاعدة عامة. كما أن جميع التدابير والإجراءات خُطّطت على مستوى الجيش الميداني فما فوق. وقد ألقيت مسؤولية إتخاذها والإشراف على تنفيذها، على عاتق أركانات الجحافل أو التشكيلات، أو اللجان، والهيئات، والمجموعات العملياتية المشكلة خصيصاً لهذه الغاية.

إن الوثائق الكاذبة اللازمة للتضليل الإعلامي (مثل الأوامر، الخرائط، الرسائل الشخصية) كانت تُمرر إلى العدو، أو يجري تنظيم «تسريب المعلومات السرية» التي تُدس فيها. أما الشائعات فقد روّجها ضباط وجنود ثرثارون، وعن طريق أسرى الحرب، والفارين، والمراسلين، وكذلك عن طريق السكان المحليين. حتى أن بعض الأخبار والمعلومات المضلّلة كانت تنشر في الصحف بصورة

(١٤٤) "تاريخ الحرب العالمية الثانية" تيبيلسكريخ. ك موسكو ١٩٥٦ ص ٤٠٣.

متعمدة، أو تذاع عبر محطات الإذاعة. إن هذه الطرق الإعلامية المضللة غالباً ما كانت تُستخدم لتسريب المعلومات إلى العدو عن المناطق والإتجاهات والمواعيد الكاذبة للأعمال القتالية أو تحركات القوات من مسرح للأعمال القتالية إلى آخر بهدف صرف أنظار الخصم عن الإتجاهات والمناطق أو المسارح الحقيقية.

قامت بالأعمال التظاهرية قوى ووسائط جوية وبحرية وبرية عضوية، أو قوى أخرى كلّفت خصيصاً بهذه الأعمال. وبالإضافة إلى ذلك، فقد خصصت للقيام بمثل هذه المهام، على مستوى العمليات الكبرى، قطعات ووحدات هندسة وإشارة مزوّدة بالوسائط الفنية اللازمة لذلك.

لم تكتفِ القيادة الأنكلو - أميركية بأن تطلب من أركانها التخطيط للقيام بمهام الإخفاء وتدابير السرية وتضليل العدو، كواجب أساسي من واجباتها، بل لجأت إلى تنويع وإبتكار الطرق والأساليب المستخدمة لهذه الغاية.

٣ - في أفكار وأعمال المعتدين

من أجل تطبيق الخطة الخيالية (الطوبائية) على أرض الواقع وتحقيق السيطرة على العالم، أعدت المانيا الفاشية العدة لجميع حملاتها وعملياتها العدوانية التوسعية. وبعد أن تسلحت بنظرية الحرب الخاطفة والشاملة، واعتمدت في خططها الإستراتيجية على المفاجأة في الهجوم كمرتكز أساسي، سعت الدوائر السياسة والعسكرية الألمانية إلى إخفاء أهدافها وأفكارها السياسية الماكرة إخفاءً جيداً، وتضليل الحكومات والشعوب التي حددّتها لأن تكون ضحايا لعدوانها.

وضمن الإطار العام لإجراءات العمل أولت القيادة الألمانية الفاشية إهتمامها الخاص للإحتفاظ بسريّة العدوان المزمع القيام به وبقائه، طيّ الكتمان، وتضليل الخصم عن التدابير المتعلّقة بالتحضير والإعداد لهذا العدوان، ولاسيما الإنتشار الإستراتيجي للقوات المسلحة، وإتجاهات الضربات الرئيسية، وتوقيت

الهجوم.

لقد تركز الإهتمام بصورة خاصة على مسائل الخداع العسكري، والذي يقدّم لنا الدليل الساطع عليه، قيام القوات الألمانية بغزو بولونيا، والدانمراك، والنرويج، ومن ثم فرنسا عبر لوكسمبورغ، وبلجيكا، وهولندا.

تحت غطاء من التهويش والضجيج الدبلوماسي الإستعراضي استعدّت القيادة الألمانية – الفاشية مسبقاً للهجوم المخطط على بولونيا.

ظلّت الحكومة البولونية التي تراقب بقلق حشود القوات الألمانية على إمتداد حدودها، تقف لمدة طويلة أمام خيارين لا ثالث لهما، هما: إما نشر قواتها المسلحة، وأما التريث بالتعبئة حتى إقفال باب المفاوضات الدبلوماسية. وبينما كان البولونيون يترددون، كان الهتلريون الذين انهوا نشر، وحشد قواتهم، واختاروا اللحظة المواتية، قد وجّهوا الضربة القوية إلى ضحيتهم.

وهذا ما حدث لفرنسا أيضاً. فالهتلريون بدؤوا، حتى قبل حربهم ضد بولونيا، حملتهم الإستعراضية الواسعة التي ملأت الدنيا ضجيجاً حول "الصداقة الفرنسية – الألمانية الأبدية" التي يجب أن تدوم تحت شعار توحيد الجهود "ضد خطر الشيوعية" وفي أثناء الحرب الألمانية – البولونية خَفَتَ الضجيج حول "الصداقة الأبدية" إلى حدّ ما، ومن ثم اشتدّ من جديد. واكتسب هذا الضجيج قوّته الخاصة، بعد أن اتخذت الحكومة الفاشية قرارها النهائي بالهجوم على فرنسا. وبهدف تضليل الحكومتين الفرنسية والبريطانية، أعلن هتلر في أحاديثه وخطبه أمام الرايخستاغ في ١٩ ايلول و٦ تشرين الأول ١٩٣٩ بأنّ المانيا ليس لها أي مطامع أو نوايا سيئة تجاه فرنسا، أما بريطانيا، فإنه ينتظر منها إعادة المستعمرات الألمانية السابقة فقط. وفي هذه الفترة أُقيمت على مختلف الأقنية، وبصورة استعراضية تظاهرية العلاقات الإيجابية النشطة مع أنصار "الصداقة الألمانية" الفرنسيين والبريطانيين الذين استفاد منهم رُسل هتلر في توظيف الفكرة القائلة بإمكانية إبرام «السلام المشرّف» بين المانيا وفرنسا (١٤٥).

(١٤٥) "المرحلة الأولى من الحرب"منخبرات الحملات والعمليات الكبرى للحرب العالمية الثانية موسكو ١٩٧٤ ص ١٦٣.

لقد شنت القيادة الهتلرية الهجوم النفسي (السيكولوجي) على الجيش الفرنسي أيضاً، ولاسيما القوات المنتشرة في المواقع الأمامية. وإن الشعارات الدعائية الألمانية – الفاشية العديدة والمنشورات والدعوات إلى الأخوة، التي كانت تذاع عبر محطات الإذاعة والراديو، كانت جميعها تتضمّن عنصر الخداع والتضليل الإعلامي الذي تلخص في العبارة التالية "عدم رغبة المانيا في الحرب ضد فرنسا". وقد حقّقت نجاحاً كبيراً في فرنسا "الأكذوبة الكبرى" حول رغبة هتلر الحارة في العيش بسلام وصداقة مع الفرنسيين.

يعترف هتلر نفسه في كتابة "كفاحي" وباسلوب علني مكشوف بأن الكذب هو أقوى وسيلة للتأثير السياسي على الجماهير. فقد أعلن هتلر ذات مرة «الكذب بأبعاده الكبرى يتمثّل فيه دوماً العامل المعروف الذي يحرّض على الثقة ... والأكذوبة الكبرى أكثر نجاعةً من الأكذوبة الصغرى في اصطياد جماهير الشعب الواسعة نظراً للصفاء النفسي وطيب القلب والبساطة البدائية التي تتميّز بها هذه الجماهير، ولأنها هي نفسها تلجأ أحيناً إلى الأكذوبة الصغرى طبعاً، وتخجل كثيراً من الأكذوبة الكبرى».

حشدت القيادة الهتلرية، خفية أو تدريجياً القوى والوسائط اللازمة لتوجيه الضربة الحاسمة على الحدود الألمانية الغربية مستفيدة من الأجواء المشحونة والمتوترة، ومن حالة الفوضى والضياع وإنعدام الثقة داخل فرنسا. وفي ربيع عام ١٩٤٠ كانت القيادة الألمانية الهتلرية على يقين تام بأن تلك التدابير والإجراءات الخاصة بالتضليل الإعلامي السياسي والعسكري هيأت التربة الصالحة والمناخ الملائم لتحقيق المفاجأة في خوض العملية العدوانية التوسعية.

الجدير بالذكر، أنه بعد وقوع خطة العدوان على فرنسا عبر بلجيكا، في يد القيادة الأنكلو – فرنسية، قرر الألمان القيام بالضربة العميقة الشاطرة عبر جبال الآردين – لوكسمبورغ حتى سيدان، ومنها باتجاه الشمال – الغربي، ثم الإنعطاف نحو كالية بهدف تقسيم التجميع الشمالي لقوات الحلفاء وحصره على

شواطيء البحر. كما أن إخفاء الإتجاه الحقيقي للضربة الرئيسية حظي بالإهتمام الأكبر لدى القيادة الألمانية – الفاشية، التي اعتبرته المفتاح، الذي عليه يتوقّف نجاح الحملة برمّتها. ولذلك فقد تم إعداد وتنفيذ مجموعة من التدابير والإجراءات بناء على خطة واحدة وتحت إشراف قيادة واحدة. وأصبح الهدف الرئيسي محصوراً في إقناع القيادة الأنكلو – فرنسية بعدم حدوث أي تغيير في الخطة العملياتية – الإستراتيجية القديمة المعروفة لديها.

ومن أجل إخفاء التجميع الإستراتيجي الرئيسي ("مجموعة الجيوش" أ") التي عليها أن تشن الهجوم على إتجاه الضربة الرئيسية المختار مجدداً، وخداع الفرنسيين وتضليلهم، تم تحديد مناطق التحشد للعديد من تشكيلات هذه المجموعة خارج حدود خطوط الفصل للمجموعة، بما في ذلك – في نطاق هجوم مجموعة الجيوش "ب". والفرق المخصصة للهجوم في النسق توضّعت على مسافة بعيدة عن الحدود (من ١٥٠ إلى ٢٠٠كم). الاّ أن مناطق الإنطلاق للهجوم جرى إحتلالها في ليلة الهجوم مباشرة.

وبغية تعزيز قناعة قيادة الحلفاء وثقتها بأن الضربة ستوجّه من الشمال استُخدمت مختلف وسائط وأساليب التضليل الإعلامي. ففي أوساط السلك الدبلوماسي للبلدان المحايدة والصديقة لألمانيا الفاشية، شاع الرأي القائل بالأهمية الثابتة لأفكار. أ. شليفين ("الضربة بالمجنبة الملتفّة") . وبأنها أفكار متوازنة وأبدية ...الخ. وعلى خطوط الهاتف التي كان يتنصّت عليها الفرنسيون، دارت المكالمات "غير الحذرة" حول حشود القوات الألمانية ضد هولاندا وبلجيكا. ودُسّت في بعض الوثائق السرّية، بما في ذلك الوثائق السرّية جداً، فكرة تركيز الجهود الرئيسية للقوات الألمانية على المجنبة الشمالية الإستراتيجية. وعلى هذا النمط أيضاً صدر أمر حول إنتقال القوات الألمانية – الفاشية إلى الهجوم، وزّع على جميع القطعات قبل موعد العملية ببضع ساعات، كما صدرت نشرة حول الأعمال القتالية نشرتها الصحافة وإذاعتها محطات الإذاعة في ناهية اليوم الأول

للهجوم. وكان بالمستطاع أن يستنتج المرء من هذه الوثائق أن الجيش الألماني ال اشي يوجّه ضربته الرئيسية نحو الشمال.

اتّخذت في المانيا الفاشية تدابير وإجراءات مشدّدة بغية منع تسرّب المعلومات عن الأفكار والخطط من الأركان العليا. ففي القوات المسلحة، مثلاً، تقلّصت إلى حدّ بعيد، دائرة الأشخاص المشاركين في إعداد وثائق التخطيط. إلاّ أنه على الرغم من الحزم والصرامة في تنفيذ هذه التدابير والإجراءات، فقد كانت هناك "ثغرات" تسربت منها المعلومات السرّية ذات الطابع العسكري.

كانت القيادة الألمانية تتبنى وجهة النظر، القائلة بأنه لايمكن إخفاء التحضيرات للهجوم والعدوان بصورة كاملة، ولذلك ينبغي خداع العدو وتضليله قدر الإمكان، عن مكان وزمان وطريقة الهجوم، وخلق الحيرة والتردد عنده في إتخاذ القرارات العملياتية - الإستراتيجية وتدقيقها. وفي مجال التضليل الإعلامي تمت الإستفادة من الأحكام المسبقة والأخطاء في المقابل، والتي من شأنها أن ترغم العدو على العمل في الظروف الملائمة للطرف المهاجم. إلاّ أن الأشكال والطرق المتبعة في تنفيذ التدابير التضليلية الإعلامية كانت تتوقف على ظروف الموقف العسكري - السياسي المتشكل على أرض الواقع، وفكرة الهجوم العامة.

لقد كانت أعمال ونشاطات القيادة اليابانية في مجال الإخفاء والسرية، والتضليل خلال إندلاع الحرب في حوض المحيط الهادي، لاتقلّ مكراً ودهاء عن أعمال ونشاطات الألمان. وكان المكر مفروفاً عن العسكريين اليابانيين لدى العالم أجمع حتى قبل الحرب العالمية الثانية بوقت طويل. ففي عام ١٩٠٤ كانت اليابان قد شنّت عدواناً غادراً على روسيا القيصرية مسترشدة بتوصيات المنظّر الياباني مايهن الداعية إلى «البدء بالحرب فجأة وتوجيه الضربة المباغتة إلى العدو، ومن خلال أضعف نقطة لديه يتم تحديدها مسبقاً» وكان الهجوم الياباني مباغتاً ضد الصين أيضاً في عامي ١٩٣١و١٩٣٧م.

وعند إتخاذه للقرار النهائي حول البدء بالحرب في كانون أول عام ١٩٤١، أكّد المجلس الأمبراطوري السري الياباني على أن الأعمال القتالية يجب أن تبدأ فجأة، وبدون إعلان مسبق للحرب (١٤٦).

قامت اليابان بحشد، ونشر القوات البرية، والبحرية، والجوية للقيام بالعمليات الأولى في حوض المحيط الهادي تحت غطاء من المفاوضات الدبوماسية المضللّة مع الحكومة الأميركية. وقد استمرّت هذه المفاوضات لمدة نصف عام، أي حتى عشية الهجوم على بيرل هاربور. وفي هذه الأثناء كانت الحكومة اليابانية تسعى جاهدة إلى خلق إنطباع لدى القادة الأميركيين حول إهتمامها الكبير بحل بينهما بالطرق الدبوماسية. ففي نهاية شهر تشرين الثاني، أرسلت برقية إلى السفير الياباني في واشنطن جاء فيها «من غير المفضل أن تخلقوا إنطباعاً حول توقف المفاوضات. أعلنوا أنكم تنتظرون التعليمات فقط» (١٤٧). وبذلك سلّمت المذكرة اليابانية التي أوقفت المفاوضات الدبلوماسية، شكلياً، إلى الحكومة الأميركية، قبل موعد الهجوم على بيرل هاربور بثلاثين دقيقة فقط.

استفادت اليابان من إنتشار قواتها المسلحة فوق أراضي البلدان الأجنبية – منشوريا ، والصين، والهند الصينية لتضليل الخصم عن أفكارها، وخططها الإستراتيجية في حوض المحيط الهادي. فالزيادة لأكثر من الضعف في تعداد جيش كوانتون، مثلاً، الذي كان يعسكر في منشوريا (إزداد قوامه من ١١ فرقة إلى ٢٩ فرقة) جعل الولايات المتحدة الأميركية وبريطانيا تعتقدان بأن هذه الزيادة في قوام جيش كوانتون لها علاقة بالتحضير والإستعداد لشن الهجوم على الإتحاد السوفييتي في أقرب فرصة ممكنة. كما أن التعبئة الإضافية التي لجأت إليها اليابان بعد الغزو الذي قامت به القوات الألمانية الفاشية ضد أراضي الإتحاد السوفييتي، ساعدت على خلق إنطباعات كاذبة حول نوايا القيادة

---

(١٤٦) "القرارات الأهم : ديوان الأحداث" موسكو -١٩٦٤ ص ١١٩.

(١٧٤) "ماذا حدث في بيرل هاربور" : وثائق حول الهجوم الياباني على قاعدة بيرل هاربور الأميركية في ٧كانون أول ١٩٤١. موسكو ١٩٦١ ص ٦٨.

اليابانية بمهاجمة الإتحاد السوفييتي.

تحت تأثير التضليل الإعلامي السياسي – الدبلوماسي النشيط، والتدابير والإجراءات الخاصة بالسرية والإخفاء على المستوى العملياتي – الإستراتيجي، أصبح الأميركيون والبريطانيون على ثقة شبه تامة بأن اليابان ستشن الحرب ضد الإتحاد السوفييتي بالدرجة الأولى.

في الأول من سنرين الأول رفع القائد العام البريطاني في الشرق الأقصى، وقائد القاعدة البحرية في الصين تقريراً إلى لندن جاء فيه أن «اليابان في الوقت الحاضر تحشد قواتها ضد روسيا، ولايمكنها أن تغيّر هذا التوجّه فجأة؛ وبعد أن وجّهنا قوانا الرئيسية إلى الجنوب، نستطيع القول، بأن اليابان اليوم أقل رغبةً من أي وقت مضى، في القيام بالحملة العسكريةفي الجنوب .....» (١٤٨). والإفتراض بأن اليابان لن تبدأ أعمالها العسكرية في الجنوب، ولاسيما ضد بريطانيا والولايات المتحدة في آن واحد، رَسَمَ سياسية هذين البلدين برمّتها في الشرق الأقصى.

لايختلف الحال عمّا كان عليه في غزو القوات الألمانية – الفاشية لفرنسا. إذ أن الضربات الأولى التي وجّهتها القوات المسلحة اليابانية إلى كل من بيرل هاربور، والفيلبين ومالاوي كان مفاجئة للدول الغربية الكبرى.

أولت اليابان إهتمامها الخاص للتكتّم على سرية المضمون والمحتوى للأفكار و الخطط، وكذلك – مكان وزمان توجيه الضربات الأولى.

ومن أجل تفادي تسرّب المعلومات عن الأفكار والخطط العدوانية، قلّصت الحكومة اليابانية إلى حد كبير، المراسلات الدبلوماسية حول المسائل المتعلقة بالتحضير للحرب، ولم تُعلم الحلفاء إلاّ نادراً عن نواياها، كما تقلّص إلى الحد الأدنى، عدد الأشخاص المكلفين بإعداد الوثائق والخطط. فالخطة الخاصة بالهجوم على بيرل هاربور مثلاً، لم يعرف بها أحد سوى الأدميرال ياماموتو، وضابط – ضابطين آخرين فقط. حتى إن رئيس الأركان العامة للبحرية عرف

(١٤٨) "الإستراتيجية". ح.باتلر، ج.غواير حزيران ١٩٤١–آب ١٩٤٢ موسكو ١٩٦٧ ص ٢١٩.

لأول مرة بهذه الخطة في تشرين الأول عام ١٩٤١. كما أن خطة العدوان وتوقيت الهجوم الياباني على الممتلكات والمستعمرات الأميركية والبريطانية والهولاندية بقيا سراً خفياً بالنسبة للحكومتين الألمانية والإيطالية حتى لحظة قيام الطيران الياباني بتوجيه الضربة إلى قاعدة بيرل هاربر.

إن الهجوم على بيرل هاربر (المخطط ٢٩) يعدّ مثالاً كلاسيكياً على المكر والغدر، فبناءً على فكرة القيادة اليابانية، كان يجب على تشكيل حاملات الطائرات الضارب والغواصات، التحرّك خفية إلى المشارف القريبة من جزر هاواي، وعند تلقي الأمر – توجيه الضربة المفاجئة لإخراج اسطول المحيط الهادي الأميركي من المعركة، والذي كان متواجداً في قاعدة بيرل هاربر البحرية.

خرج تشكيل حاملات الطائرات الضارب بقيادة الأدميرال ناغومو في السادس والعشرين من تشرين الثاني من خليج خيتو كابو الواقع في جزيرة الواقع في جزيرة إيتورپ (جزر الكوريل) وتوجّه، تحت ستار الصمت اللاسلكي، نحو جزيرة ساخو، عبر المياه الشمالية للمحيط الهادي، حيث كانت الملاحة البحرية أقل كثافة ونشاطاً. وفي الوقت نفسه كانت طليعة الأسطول (٢٧ غواصة) قد انهت إنتشارها الخفي واحتلت مواقعها قرب جزر هاواي.

في ليلة الثاني من كانون الأول تلقى التشكيل إشارة إصطلاحية باللاسلكي تقول : « اشرقوا على الجبل نيتاكا ١٢٠٨»، وهي تعني أن الثامن من كانون الأول هو اليوم "س". وصل تشكيل حاملات الطائرات الياباني دون أن يصادفه على محور إبحاره أية سفينة في صباح السابع من كانون الأول إلى منطقة توجيه الضربة خفيةً ودون أن يرصده أحد. (١٤٩).

كان الوقت صباح يوم أحد، وترسو في ميناء – قاعدة بيرل هاربر ٩٣ قطعة بحرية، من بينها ثماني بوارج، وثمانية طرادات، و٢٩ مدمرة. وكان أكثر من ثلث بحارة الأسطول في إجازات على الشاطىء. أما الطائرات فقد كانت جاثمة في المطارات بصفوف متساوية ومتوازية – الجناح مقابل الجناح، مشكلة بذلك

(١٤٩) "تاريخ الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩–١٩٤٥" المجلد (٤) ص ٣٨٧.

دريئة ملائمة للطيران الياباني. وكان الإستطلاع الجوي في المنطقة معدوماً إلى الشمال من أواهو، الأمر الذي سمح للتشكيل الياباني بالوصول خلسة إلى الجزيرة. وتبين أن الدفاع الجوي عن جزر الهاواي لم يكن جاهزاً لصد الهجوم.

في مساء السادس من كانون الأول احتل جنود الغواصات اليابانيون مواقعهم على المشارف القريبة من خليج بيرل هاربر، وبدؤوا ينزلون إلى الماء الغواصات الصغيرة. وفي تلك الليلة اكتشفت كاسحة دورية أميركية إحدى هذه الغواصات. فقامت مدمرة مع طائرة دورية مائية بتدمير الغواصة. وسرعان ماغرقت هذه السفينة غواصة أخرى. إلا أن هذا كله لم يثر قلق القيادة الأميركية ومخاوفها، ولذلك لم تجد أنه من الضروري إتخاذ التدابير والإجراءات لرفع الجاهزية القتالية.

توجّه تشكيل حاملات الطائرات الياباني بكامل سرعته في هذا الوقت بالذات نحو جزيرة أواهو. وفي الساعة السادسة من صباح السابع من كانون الأول، عندما كان هذا التشكيل على مسافة ٢٣٠ ميلاً إلى الشمال من بيرل هاربر، انطلقت من حاملات الطائرات، طائرات الموجة الأولى، وانقضت في الساعة السابعة و٥٥ دقيقة فجأة بطوربيداتها وقنابلها على السفن الأميركية الراسية في الخليج، وعلى المطارات الواقعة في جزيرة أواهو. وانطلقت في الساعة السابعة و١٥ دقيقة من حاملات الطائرات اليابانية الموجة الثانية من الطائرات وبدأت هجومها في الساعة التاسعة. غير أن هذه الضربة قوبلت بنيران المدفعية المضادة للطائرات الأكثر كثافة، وخسر اليابانيون من جراء ذلك عشرين طائرة.

تظاهرت الطائرات بعد الهجوم بأنها عادت على إتجاهات مختلفة، ولذلك فإن القيادة الأميركية لم تستطع تحديد مكان وجود حاملات الطائرات اليابانية بدقة.

لقد اسفرت الضربتان اللتان وجّههما الطيران الياباني إلى بيرل هاربر عن

تدمير وإعطاب جميع البوارج، وستة طرادات خفيفة، ومدمرة، و٢٧٢ طائرة. أما الخسائر البشرية فقد بلغت ٣٤٠٠ شخص من بينهم ٢٤٠٢ قتيل.

ومن هنا يتضح أن اليابانيين تمكّنوا من خداع الأميركيين، وتحقيق المفاجأة للذ ية الجوية الكثيفة، على الرغم من مسافة الإبحار الهائلة (٦٣٠٠كم)، والمدة الطويلة للتحرك والتقدّم إلى منطقة الإنطلاق (١٢يوماً).

لقد بدأت الحرب العالمية الثانية، كما هو معروف، في ظروف سيئة لم يُحسد عليها الإتحاد السوفييتي، وفي مرحلة عصيبة جداً بالنسب للسوفييت. ففي أثناء التحضير للحرب ضد الإتحاد السوفييتي كانت القيادة الألمانية الفاشية تعلّق آمالاً كبيرة على المكر والخداع والغدر، وقد اتخذت كافة الإجراءات الكفيلة بإخفاء نواياها العدوانية، وتضليل الحكومة السوفييتية، والأركان العامة السوفييتية.

إن التحضير للعدوان ضد الإتحاد السوفييتي كان قد جرى قبل موعده بوقت طويل : إذ أن آلية الخداع السياسي والإستراتيجي، والعملياتي عملت بأقصى طاقاتها وأعلى وتائرها عندما اتخذت القيادة الهتلرية قرارها النهائي بشن الهجوم على بلاد السوفييت. كما نفّذت لعبة سياسية ماكره وخبيثة مع ممثلي المؤسسات الرسمية السوفييتية في مجال العلاقات التجارية والإقتصادية.

ففي شباط عام ١٩٤٠، وكانون الثاني عام ١٩٤١ أُبرمت بين الإتحاد السوفييتي والمانيا إتفاقيات تجارية، تقرر بموجبها تصدير مواد الخام من الإتحاد السوفييتي إلى المانيا، والسلع الصناعية من المانيا إلى الإتحاد السوفييتي. وقد جرى الترويج لهذه الإتفاقيات على نطاق واسع في المانيا، على أنها مثل يحتذى للتعاون بين بلدين، غير أن الحقيقة هي أن المنشآت الصناعية الألمانية تلقّت التوجيهات بشأن الحدّ من تنفيذ طلبات السوفييت، وفي بعض الأحيان – رفض هذه الطلبات بصورة قاطعة.

وخلافاً لما جاء في بنود الإتفاق، فإن العديد من المصانع والمعامل الألمانية وضعت العراقيل لمنع الممثلين السوفييت من الإطلاع على الإبتكارات التقنية

الألمانية الجديدة. كما أن الوفد الإقتصادي السوفييتي الذي زار المانيا في ربيع ١٩٣٩ للإطلاع على عدد من القطّاعات الصناعية الألمانية، لم يحصل على الموافقة لشراء عدد من الأجهزة والمكائن، ونماذج التقنية العسكرية الحديثة آنذاك. وقبل توقيت بدء الحرب بفترة غير طويلة - أي عندما تمّ التوقيع على التوجيه العملياتي رقم ٢١ (أي خطة "بارباروسّا") بيعت للإتحاد السوفييتي طائرات من نوع "ميسيرشميت - ١٠٩" و "هينشل - ١٠٠" و "يونكر - ٨٨" و "دورني - ٢١٥" ... وغيرها : - أي طائرات من أحدث الأنواع (١٥٠). إن هذه الحقيقة كانت ترمي حتماً إلى إظهار "حسن النوايا"، واستعراض علاقات "الصداقة" القائمة بين المانيا والإتحاد السوفييتي.

لابد من التذكير هنا، بأن هتلر، الذي وقّع في مساء ١٨ كانون الأول ١٩٤٠ خطة "باربا‌روسّا" أجرى في التاسع عشر منه حديثاً ودياً مع السفير السوفييتي، مؤكداً له أن المانيا ليس لها أي خلاف أو عداء مع الحكومة السوفييتية، في الوقت الذي كان الحشد الإستراتيجي للقوات الألمانية الفاشية على أشده، وكذلك إنتشارها على إمتداد الحدود مع الإتحاد السوفييتي.

لقد نصّت خطة "برباروسّا" على إشارة تدعو إلى وجوب الإنتباه والحذر الشديد من تسرّب أي معلومة حول النية في مهاجمة الإتحاد السوفييتي. وبناء على ذلك فقد صدرت إلى أركان القيادة العامة العليا للقوات المسلحة لألمانية "OKW" مجموعة من التعليمات الخاصة باتخاذ تدابير وإجراءات السرّية والإخفاء في التحضير للحرب وتضليل الطرف المقابل. وفي الثالث من شباط عام ١٩٤١ أصدرت أركان القيادة العامة العليا (okw) التوجيه العملياتي، الذي حُدّدت فيه، وفي ملحقاته التي صدرت تباعاً مابين الأول من أيار والخامس من حزيران ١٩٤١، الأهداف والإجراءات والتسلسل لتنفيذ تلك التعليمات (١٥١).

---

(١٥٠) "هدف الحياة" . أ. ياكوفليف - موسكو ١٩٧٠ ص ٢٤٧ - ٢٤٨.

(١٥١) "افلاس استراتيجية الفاشية الألمانية" ف.ي. داشيتشف موسكو ١٩٧٣، المجلد (١) ص ٨٧.

إن الدهاء الإستراتيجي - العملياتي الذي تميّزت به القيادة الألمانية قَسّم إصطلاحياً، إلى طورين أو مرحلتين : المرحلة الأولى - بدأت من تموز ١٩٤٠، بإعادة تجميع القوات وتحريك مجموعة الجيوش "ب" (أركان المجموعة، ثلاث قيادات جيوش، ١٢ أركان فيلق، و٣٠ فرقة) من الغرب إلى الشرق (١٥٢). أما المرحلة الثانية - فقد شملت الفترة الزمنية الواقعة بين شباط وحزيران ١٩٤١، التي جرى خلالها نقل المعسكرات لمجموعتي الجيوش "أ" و "الوسط" إلى الحدود مع الإتحاد السوفييتي.

في هذه المرحلة بالذات أولت القيادة الهتلرية مسائل السرّية والإخفاء جلّ إهتمامها. واتخذت من أجل تضليل الإتحاد السوفييتي وخداعه ونُفذت مجموعة كبيرة من الإجراءات، التي من أهمها - العمليات الكاذبة للقوات الألمانية الفاشية. ومن هذه العمليات المشهورة "عملية ايزابيلا "(للإستيلاء على جبل طارق)، و"عملية أتيلاّ " (إحتلال جنوب فرنسا) و"عملية غاربون" (أي الحربة المائية) - لاجتياح بريطانيا من جهة النرويج.

من أجل القيام بعملية "غاربون" مثلاً، كانت تحتشد فعلاً فوق أراضي النرويج قوات ألمانية فاشية، ولكن ليس لإجتياح بريطانيا، بل لشن الهجوم المقبل على المناطق القطبية - الشمالية السوفييتية.

وكذلك الأمر بالنسبة للعمليات الأخرى مثل "ايزابيلا" و "أيتلا" التي ظلّت حبراً على ورق، والتي كانت مخصّصة أصلاً للتضليل الإعلامي والتظاهر بأنّ المانيا مهتمة كل الإهتمام بجنوب - غرب أوروبا، بينما هي في الحقيقة - لصرف الأنظار عن تحركات القوات الألمانية الفاشية باتجاه الشرق.

كانت تحضيرات المانيا لإجتياح بريطانيا ترمي إلى صرف إنتباه القيادة السوفييتية عن حشود القوات الألمانية في الشرق، وقرب الحدود السوفييتية.

وفي الرابع عشر من ايلول من عام ١٩٤٠، اتخذ هتلر، خلال إجتماع

(١٥٢) "الجيش البري الألماني ١٩٣٣-١٩٤٥" ب.موللر براند. موسكو ١٩٥٨ - المجلد (٢) ص ٨٣، ٢٠٥، ٢٠٦

لبحث القضية البريطانية، قراره لتأجيل موعد عملية الإنزال، وفي ١٢ تشرين الأول أمر بوقف جميع التحضيرات الرامية إلى إجتياح الجزر البريطانية (١٥٣).
وفي الوقت ذاته جاء في التوجيه العملياتي رقم ٢٢، أنه حتى البدء بإعادة التجميع للعملية "برباروسا"، يجب العمل على رفع فعالية الأعمال للقوى الجوية والبحرية، لا لإلحاق أفدح الأضرار ببريطانيا فحسب، بل وللتظاهر أيضاً بالإستعداد للهجوم القادم على الجزر البريطانية في هذا العام.

في الخامس عشر من شباط عام ١٩٤١ طلب رئيس الأركان العامة للقوات المسلحة الألمانية "okw" الجنرال فيلد مارشال كيتيل في توجيه عملياتي خاص «ترسيخ الإنطباع السائد عن الغزو المرتقب لبريطانيا»، أما إنتشار القوات بموجب خطة "برباروسا" فينبغي أن يظهر للملأ «وكأنه أضخم مناورة تظاهرية في تاريخ الحروب لصرف الأنظار عن التحضيرات الأخيرة لغزو بريطانيا وتمويهها وإخفائها» (١٥٤).

لقد نُفّذت كافة إجراءات المرحلة التحضيرية خفية وتحت ستار من السرّية والكتمان. واقتصر إعداد الوثائق العملياتية على أقل عدد من الضباط. وحملت هذه الوثائق جميعها درجة السرية بعبارة «سري للغاية ذو أهمية دولية». كما تم حشد التجميعات الضاربة وإنتشارها الإستراتيجي في الشرق تحت ستار من التمويه الدقيق جداً. وإدراكاً منها، إستحالة الإخفاء التام لحشد تجميع هائل من القوات التي يقدّر تعدادها بالملايين، والآلاف من قطع العتاد القتالي بالقرب من حدود الإتحاد السوفييتي، قامت القيادة الهتلرية باتخاذ وتطبيق مجموعة من التدابير ذات الطابع العسكري والسياسي.

فقد جاء في التوجيه العملياتي ذاته الصادر في ١٥ شباط ١٩٤١ : «ينحصر هدف التضليل الإعلامي في إخفاء التحضيرات لعملية "بارباروسا".

(١٥٣) "المذكرات اليومية العسكرية" ف . غالدر موسكو ١٩٦٩ المجلد (٢) ص١٤١ . ١٨٣

(١٥٤) "تاريخ الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩-١٩٤٥" المجلد (٣) ص١٣٢ .

وهذا الهدف الرئيسي يجب أن يشكّل الأساس لجميع التدابير المتعلّقة بالتضليل الإعلامي للعدو» (١٥٥). كما طالب التوجيه العملياتي بتنفيذ هذه التدابير على مرحلتين : المرحلة الأولى – حتى منتصف شهر نيسان ١٩٤١ – وتتلخّص في إخفاء جميع التحضيرات والإستعدادات العسكرية غير المتعلّقة بإعادة التجميعات للجحافل. والمرحلة الثانية – منتصف نيسان وحتى حزيران ١٩٤١ – وهي تمويه التحشّد المباشر لفرق المشاة والدبابات وتشكيلات المدفعية والطيران قرب حدود الإتحاد السوفييتي (١٥٦). وبهدف صرف الأنظار عن التحضير للعدوان ضد الإتحاد السوفييتي عمّمت القيادة الهتلرية على الجنود والضباط أوامر تفيد بأن القوات تنسحب إلى الخلف بغرض الراحة والإستجمام لفترة محدّدة. وقد جاء في التوجيه العملياتي المذكور بهذا الخصوص : «يجب العمل قدر المستطاع بغرض التضليل لمدة أطول عن الخطط الحقيقية، وحتى تضليل تلك القوات المخصصة للعمل مباشرة في الشرق» (١٥٧).

وفي توجيهاته التي أصدرها في التاسع من آذار ١٩٤١ أوصى كيتيل بما يلي : «...يجب التظاهر بأن إنتشار القوات المسلحة الألمانية في الشرق، إنما هو إجراءات دفاعية لتأمين المؤخرة الألمانية وحمايتها في أثناء الإنزال في بريطانيا. والعمليات في البلقان» (١٥٨).

لقد جرى على نطاق واسع، وعن عمد نشر المعلومات المضلّلة التي تحدثت عن تحضيرات فيالق الإنزال الجوي المخصصة للإنزال في مناطق المؤخرات البريطانية. و من أجل إكساب هذه الشائعات المزيد من الثقة استُدعي إلى القوات خريجو المنشآت التعليمية العليا – الإختصاصيون – ومترجمو اللغة الإنكليزية؛ كما تمّ تحضير خرائط لمختلف المناطق البريطانية، وجرى إصدار العديد من

(١٥٥) "تاريخ الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩-١٩٤٥" المجلد (٣) ص٢٤١.

(١٥٦) نفس المصدر السابق

(١٥٧) نفس المصدر السابق

(١٥٨) نفس المصدر السابق، ص٢٤٢.

كراريس المحادثة، والقواميس، والمذكرات الألمانية – الإنكليزية.

وراجت الشائعات في القوات المسلحة الألمانية، التي مفادها أن تحشد الفرق على إمتداد حدود الإتحاد السوفييتي، إنّما جاء بناءً على إتفاق مع القيادة السوفييتية، التي زُعم أنّها أعطت "الموافقة" بمرور القوات الألمانية عبر أراضيها من أجل الهجوم على الهند وغيرها من المستعمرات البريطانية الأخرى.

كان لدى الهتلريين جهاز كامل مخصّص لإتخاذ وتطبيق تدابير وإجراءات الخداع العسكري العملياتي – الإستراتيجي. وقد تولّى الإشراف على تنفيذ مجموعة التدابير المتعلّقة بالخداع العملياتي – الإستراتيجي أركان القيادة العامة العليا للقوات المسلحة الألمانية. وألقيت هذه المهمة مباشرة على عاتق مايسمى بـ "فرع الدفاع عن البلاد"، الذي كان يعتبر الفرع الأساسي في الأركان. وكان هذا الفرع مسؤولاً عن تنسيق خطط الخداع العسكري لقيادات أنواع القوات المسلحة، ولاسيما مايتعلق منها بتحركات ونقل القوات، مع تدابير وإجراءات القيادة العامة ذات الطابع الإستطلاعي التجسّسي. وبالإضافة إلى ذلك كان يحق لهذا الفرع – بالإتفاق مع أركانات القوات المسلحة، ورؤساء فروع الإستطلاع والإستخبارات – إعطاء التوجيهات الخاصة بتدقيق فكرة الخداع العسكري وإستخدام الطريقة الأفضل لتنفيذها، وذلك وفقاً لظروف الموقف المتشكّل.

تولّى رئيس الإستطلاع والإستخبارات في القيادة العامة العليا تنظيم نشر الأنباء والشائعات الإعلامية المضلّلة. واستخدمت من أجل نقل المعلومات التضليلية أقنية إتصالات خاصة تعمل بناءً على توجيهاته وأوامره فقط. وألقيت على عاتقه أيضاً مهمة الإشراف على نشر الشائعات عن طريق الملحقين العسكريين الألمان في البلدان المحايدة، والملحقين العسكريين لهذه البلدان في برلين.

لقد أولت القيادة الهتلرية إهتمامها الكبير لخداع حلفائها أيضاً، وذلك من أجل إبقائهم بعيدين قدر الإمكان عن رؤية مضمون الخطط الحقيقية. فقد جاء في

المذكرات اليومية لرئيس الأركان العامة للقوات البرية الألمانية الجنرال غالدر في ١٤ حزيران ١٩٤١ «لن تطلّع هنغاريا على خططنا، وكذلك الأمر بالنسبة لسلوفاكية كي لايتسرب أيّ من المعلومات عن العملية» (١٥٩).

في أثناء التحضير للمحادثات مع فنلندا وهنغاريا ورومانيا، أشار الألمان إلى أن العمليات الكبرى التي من المقرر أن تقوم بها القوات المسلحة الألمانية في الغرب تحتاج إلى تحضير وتجهيز خطوط دفاعية في الشرق، وذلك بهدف تضليل هذه البلدان عن مكان وزمان بدء الأعمال القتالية بموجب خطة "برباروسا". ولذلك فإن الهدف من تلك المحادثات هو الطلب إلى هذه الدول للقيام فوراً بالتدابير والإجراءات ذات الطابع الدفاعي. وممّا جاء في أقوال غالدر بهذا الشأن : «سنبيّن إلى هنغاريا أن ازدياد تعداد القوات الروسية على حدودها يتطلب عدداً من التدابير والإجراءات الدفاعية من جانبها» (١٦٠). أما فنلندا فقد أوضحنا لها أن المانيا مضطرة لإتخاذ الإجراءات المضادة، في حال قيام الإتحاد السوفييتي بالهجوم، وكذلك بغية تغطية مؤخرتها وحمايتها أثناء النزول في بريطانيا.

لقد جرى خفيةً تطور الأعمال الخاصة بحشد وإنتشار التجميعات الضاربة للقوات الألمانية - الفاشية. ففي الثالث والعشرين من آيار كانت تتواجد في المناطق الحدودية ٧٤ فرقة مشاة. أما القوام الأساسي لتشكيلات الدبابات والقوات الآلية، والمدفعية والطيران فقد ظلّ في أماكن التعسكر الدائم. وهذا كان يرمي إلى تضليل القيادة السوفييتية عن التحضيرات بشأن خطة "بربروسا". ولهذه الغاية أيضاً طُلِبَ إلى تشكيلات المشاة المتواجدة آنذاك في الغرب، وفي النرويج القيام باستعراضات وأعمال تظاهرية توحي بالتحضير لعملية إنزال ضد بريطانيا.

لم يبدأ العمل لإعادة تجميع القوات المخصصة لشن الهجوم الغادر على الإتحاد السوفييتي إلا بعد الثالث والعشرين من آيار ١٩٤١. كما تقرّر التخلي

---

(١٥٩) "المذكرات اليومية العسكرية" ف. غالدر. المجلد (٢) ص ٥٧٦.

(١٦٠) نفس المصدر السابق.

عن فكرة إجلاء سكان المناطق الحدودية المتاخمة للإتحاد السوفييتي خوفاً من أن يؤدي ذلك إلى كشف النقاب عن الأفكار والنوايا الهجومية للقوات الألمانية.

لقد تسنى للقيادة السياسية والعسكرية الألمانية الفاشية، إلى حدٍّ ما، تنفيذ مجموعة من التدابير والإجراءات الناجحة، والهادفة إلى تطبيق الخداع العسكري والسرية والإخفاء لفكرة وخطة الحرب التي تعد لها العدة. وممّا ساعد على ذلك اللعبة السياسية المزدوجة التي قامت بها الدوائر الحاكمة في كل من بريطانيا والولايات المتحدة الأميركية.

كانت الحكومة السوفييتية تتوقّع هجوماً من جانب المانيا الفاشية. وكانت تشير الحقائق والأحداث كلّها إلى أن هتلر يوجّه كل جهوده نحو حرب يبيّتها ضد الإتحاد السوفييتي واكتشف الإستطلاع السوفييتي حشود وإنتشار قوات كبيرة على إمتداد الحدود. وقامت الأركان العامة بإبلاغ الحكومة بصورة منتظمة، ليس بتحشد القوات الألمانية - الفاشية على مقربة من الحدود السوفييتية، بل وبالإستطلاع النشيط لهذه القوات، والذي يشمل عدة قطّاعات من الأراضي السوفييتية. وتمّ على ضوء ذلك إتخاذ عدد من التدابير والإجراءات لتعزيز القدرات الدفاعية للبلاد السوفييتية. إلاّ أن الأخطاء التي ارتُكبت في تحديد موعد شن الحرب من جانب المانيا الفاشية على الإتحاد السوفييتي، لم تسمح بتنفيذ تلك التدابير والإجراءات بصورة كاملة.

استطاع الجيش الألماني الفاشي إنتزاع زمام المبادرة لفترة من الزمن بنتيجة الهجوم المباغت على الإتحاد السوفييتي، إلاّ أن التدابير التي اتخذها الحزب الشيوعي والحكومة السوفييتية ساعدت على القيام بالتعبئة بسرعة، والإنتقال باقتصاد البلاد إلى حالة الحرب. كما أن تعاظم مقاومة القوات السوفييتية وتحرّك الإحتياطات الإستراتيجية في حينه من المناطق السوفييتية الداخلية، وتشكيل جبهات إحتياطية منسّقة بالعمق على إتجاه ضربات القوات الهتلرية، أدّت، تدريجياً، إلى تلاشي تلك الإيجابيات والإمتيازات التي اكتسبها

الهتلريون بفضل غزوهم المباغت.

في بداية الحرب، عندما كانت المانيا تمسك بزمام المبادرة الإستراتيجية، وتُرغم القواتَ السوفييتية على التقهقر عبر معارك دفاعية قاسية، كانت تستخدم القيادة الهتلرية غالباً، التخريب وأساليب الصراع الخبيثة الإستفزازية. وقد أُلقيت هذه المهام على عاتق مفارز التأديب والقمع الخاصة، وقطعات التخريب الأخرى مثل فوج «براندينبورغ – ٨٠٠». وعند بدء الهجوم على الإتحاد السوفييتي كانت وحدات هذا الفوج قد احتشدت على أهم الإتجاهات : الكتيبة الأولى – في منطقة بيريميشل، وسرية واحدة – عند حدود بروسيا الشرقية، وسرية أخرى قرب سوفانكي، وسرية – قرب روفاينمي (في فنلندا) (١٦١). وقد اسندت إلى هذه الوحدات مهمة بث الشائعات، وبث الذعر والهلع في صفوف القوات وبين السكان المحليين المسالمين، مع بداية الأعمال القتالية، إلى جانب مهامها التخريبية الأخرى. لقد لجأت تلك الوحدات إلى أقبح أساليب التخويف والخداع. فالسرية الثامنة مثلاً التابعة لفوج براندنبورغ، عملت على إتجاه الضربة الرئيسية لمجموعة جيوش "الشمال" التي يقودها الفيلد مارشال ليب. وقد اسندت إلى هذه السرية مهمة إحتلال جسر يقع على نهر دفينا الغربي في مدينة داوها فبيلس. قام مخربو هذه السرية بتمثيل دور الجنود السوفييت الجرحى، ومرّوا عبر الجسر، ثم هاجموا، من الخلف، الحراس الذين كانوا يحرسون الجسر، واستولوا عليه. وفيما بعد نُقلت إلى الجبهة السوفييتية – الألمانية خمس وحدات تخريبية أخرى تمّ إنتقاء أفرادها من بين الخونة والعملاء المتعاونين مع الفاشيين. كما تمّ أيضاً تشكيل كتائب تضم في عضويتها قوميين متطرفين من أوكرانيا الغربية، ورجعيين استونيين، والمهاجرين القفقاسيين البيض الذين أطلق عليهم اسم "ناختيغال" و "بيرغمان".

لجأت القيادة الهتلرية في تلك الفترة من الحرب إلى إنزال العديد من مجموعات ومفارز التخريب في مؤخرات القوات السوفييتية. إن أعمال المظليين

(١٦١) "المذكرات اليومية العسكرية" ف. غالدر، المجلد (٢)، ص٥٣٢.

الألمان كانت تسفر، في بعض الأحيان، عن نتائج وخيمة. ففي عملية سمولينسكي الدفاعية استطاع الفاشيون إسقاط إنزال غير كبير من رماة البنادق الآلية في مؤخرة فرقة المشاة التاسعة عشرة، التي كانت تحتل الدفاع على مسافة ثلاثة كيلومترات إلى الشرق من إيلنا.

تسنّى لجنود الإنزال الألمان إثارة الرعب والهلع في الوحـــدات الإدارية التابعة للفرقة. وعندما تلّقت القيادة تقريراً حول وصول الألمان إلى المؤخرة، أعتبرت الفرقة مطوّقة وأصدرت الأمر بالإنسحاب. وفي حالة مشابهة استطاعت مجموعة من المخربين الفاشيين ان تحتل، بدون قتال، مدينة إيلنا، التي أصبحت فيما بعد ساحة للمعارك الضارية التي استمرت شهرين (١٦٢).

يمكن ضرب الأمثلة العديدة الأخرى على مكز الألمان الهتلريين وخبثهم. «فقبل موعد الهجوم على الإتحاد السوفييتي بعدة أيام، قامت فصيلة مشاة واحدة من فرقة المشاة الـ ١٢٣، يرتدي أفرادها لباس أفراد مصلحة الجمارك الألمانية الحدودية، باستطلاع الدفاع السوفييتي والمنشآت العسكرية في نطاق الفرقة. وقبل الهجوم مباشرة إستطاع هؤلاء الذين زعموا أنهم موظفو جمارك، أن يدمّروا حرس الحدود السوفييت الذين انطلت عليهم الخدعة ولم يشكّوا بهم أبداً، وبذلك سهّلوا على الكتائب المتحركة وراءهم التقدم والتوغل في الأراضي السوفييتية» (١٦٣).

لجأ الهتلريون إلى طريقة أخرى أيضاً – حيث انزلوا في مؤخرات القوات السوفييتية وحدات تخريب يرتدي أفرادها الزي العسكري للجنود السوفييت. وقد أشار في «تعليمات تنظيم الهجوم» التي أصدرها في ايلول ١٩٤١ قائد الجيش التاسع والعشرين اللواء ي.ي. ماسلينيكوف، إلى أن المخربين يرتدون الزي العسكري السوفييتي ويتسللون إلى ترتيب الوحدات السوفييتية ويصدرون الأوامر

(١٦٢) "عملية سمولنسك الدفاعية عام ١٩٤١" ك.كيندرينسكي موسكو ١٩٥٥ ص٢٨ .

(١٦٣) "مجلة التاريخ العسكري" السوفييتية ١٩٦٣ رقم٣ ص ٨٨.

والإيعازات باللغة الروسية إلى تلك الوحدات كي تتحرك وتقع تحت نيران رشاشاتهم أو تحت ضربات الإحتياطيات التي تشن الهجمات المعاكسة (١٦٤).

وفي الوقت نفسه هناك وقائع وأحداث عديدة تؤكد على أن تلك المفارز الفاشية كانت عرضة للإكتشاف في حينه، وللتدمير، عندما تُنظّم الحراسة الجيدة للمؤخرات السوفييتية. ففي الأيام الأولى للحرب دُمّرت تدميراً كاملاً فصيلة تخريب تابعة لفوج "براندنبورغ" كانت قد أُسقطت بواسطة المظلات لإحتلال جسرين على خط السكة الحديدية – مولوديتشنو – ليدا (١٦٥).

إن الإنتصار الذي حقّقه الجيش في ضواحي ستالينغراد كان بداية لتحولٍ جذري في مجرى الحرب العالمية الثانية. ولم تتكلّل بالنجاح محاولات القيادة الهتلرية الرامية إلى إنتزاع زمام المبادرة في ربيع عام ١٩٤٣ في ضواحي خاركوف، ومن ثمّ في ملحمة كورسك. ولذلك أُرغم الجيش الألماني الفاشي على الإنتقال إلى الدفاع الإستراتيجي على طول إمتداد الجبهة السوفييتية – الألمانية. وقد كُشِف النقاب عن أفكار الهتلريين ونواياهم، وتصدى لهم الدهاء العسكري السوفييتي الذي أفرزته خبرات وتجارب ثلاث سنوات من الحرب.

ففي أثناء التحضير للهجوم خلال ملحمة كورسك، مثلاً، حاولت القيادة الألمانية الفاشية جاهدة تضليل القيادة السوفييتية عن مكان وزمان توجيه الضربة. ولهذه الغاية تظاهرت بتحركات ضخمة لجميع الوحدات الآلية، غير المنشغلة في بداية الهجوم، على إتجاه دونباس، حيث جرت التحضيرات الكاذبة للهجوم. كما تم صنع هياكل الدبابات، التي نُقلت إلى هناك بواسطة السكك الحديدية.

ومن أجل تضليل القيادة السوفييتية عن توقيت بدء الهجوم، وإيهامها بأن القيادة الهتلرية مشغولة بشؤون وقضايا أخرى، سافر مانشتاين قائد مجموعة

---

(١٦٤) "من خبرات معارك الحرب الوطنية العظمى" موسكو ١٩٤٢، الإصدار الأول، ص ٦٣.

(١٦٥) مجلة التريخ العسكري" السوفييتية ١٩٦٣ العدد (٣) ص ٨٨.

جـيـوش "الجنوب" في الثـالث من تموز ١٩٤٢ بالطائرة إلى بوخـارست لتـسليم انتونيسكو وسام الإستحقاق تقديراً لجهوده في حملة القرم، وقد نقلت الإذاعة هذا النبأ، كما تحدثت عنه الصحف. وعند المساء عاد مـانشتاين إلى مقر قيادته

لقد علّق الألمان الآمال الكبيرة على الإستخدام المفاجىء لدباباتهم الثقيلة من نوع "تيغر" و المدافع ذاتية الحركة من نوع "فرديناند" التي أُحيط وجودها وتحشدها بالكتمان الشديد.

إلاّ ان جميع هذه الخدع والحيل التي لجأ إليها الألمان لم تلق النجاح. ولم تستطع القوات الألمانية الفاشية تحقيق أهدافها، لأن القيادة السوفييتية علمت بمكان وزمان هجومها مسبقاً. زد على ذلك، أن القوات الهتلرية نفسها فوجئت ووقعت تحت الضربات القوية أثناء معاكس التمهيد المدفعي السوفييتي، كما وجدت نفسها أمام مفاجأة أخرى وهي – استخدام وسائل مضادة للدبابات سوفييتية جديدة (المدافع المضادة للدبابات، والقنابل الجوية المضادة للدبابات، والمدافع ذاتية الحركة)، وأمام دفاع مبني على أنساق في العمق ومحضّر تحضيراً هندسياً جيداً. ولم يكتشف الألمان الإحتياطيات الإستراتيجية السوفييتية المتوضّعة في العمق (جبهة البراري والسهوب). إن هذا كلّه كان مفاجئاً للألمان، إلى جانب الهجوم المضاد الذي بدأته القوات السوفييتية، والذي تمّ الإعداد له سراً وتحت ستار من الإخفاء الجيّد.

لابد هنا من الإشارة إلى أستخدام القيادة الألمانية للدهاء العسكري ضد القوات الأنكلو – أميركية في عملية الأردين الهجومية (كانون الأول ١٩٤٤). حيث لم يكن لدى الألمان أي تفوّق في القوى والوسائط. إلاّ أن القيادة الألمانية رأت أن نجاح العملية يتوقّف، بصورة أساسية، على مفاجأة الضربة، ولذلك فإن زمان ومكان الهجوم يجب إختيارهما من خلال خداع العدو.

اتخذ الهتلريون قبل الهجوم مجموعة من تدابير وإجراءات الخداع العسكري. وكان ذلك في حد ذاته تضليلاً إعلامياً قبل كل شيء وعلى أوسع

نطاق فقد سرت الشائعات القائلة بأن القيادة الهتلرية لاتمتلك القوى الكافية للقيام بالأعمال الهجومية في الغرب. فالأمر الذي أصدره رئيس الأركان العامة للقوات المسلحة الألمانية الجنرال فيلد مارشال كيتيل في ١٢ تشرين أول ١٩٤٤ تناول الطابع الدفاعي البحت للأعمال القتالية المحتملة. وفي الوقت نفسه تركّز الإهتمام الكبير على تأمين السرّية والكتمان الشديد لفكرة وخطة الهجوم المعاكس المرتقب في الآردين.

من أجل تضليل القيادة الأنكلو - أميركية عن حشود قواتهم، لجأ الألمان إلى التقليد والتمثيل والتظاهر. ففي منطقة كولن تم نشر أركان جيش كاذب، وتمثيل حشود لجيش من الدبابات (١٦٦).

وبالإضافة إلى التدابير والإجراءات المذكورة آنفاً خطّطت القيادة العامة للجيش الألماني، ونفّذت عملية "غراف"، التي تتمثّل في قيام لواء مختلط من الجنود والضباط الهتلريين الذين يتقنون اللغة الإنكليزية، ويرتدون الزي العسكري الأميركي، بالتسلل إلى المؤخرة العميقة للقوات الأميركية، حيث ثبت الهلع والذعر، وتشل القيادة، وتحتل الجسور على نهر ماس، وتؤمن التحرك الآمن للقوات الألمانية (١٦٧).

كان الأميركيون قبل موعد بدء عملية الآردين لايزالون يعتقدون، بأن الهجوم المعاكس الألماني المحتمل ماهو إلا إجراء جوابي رداً على هجومهم فقط. كما أن القيادة البريطانية اتخذت موقفاً مشابهاً.

وهكذا فقد تحقّقت المفاجأة في خرق الجبهة الأميركية في جبال الآردين. ودفع الحلفاء ثمناً باهظاً من جراء عدم تقديرهم الكافي للدهاء العسكري للخصم.

لقداستخدم الجنرال الفيلد مارشال (فيما بعد) الألماني رومل الخداع العسكري على نطاق واسع في افريقيا ١٩٤١ - ١٩٤٢. حيث وجّهت قوات رومل في المرحلة الأولى من حرب الصحراء في افريقيا (قبل موقعة العلمين) ضربات

(١٦٦) عملية "الخفارة على نهر الراين" ي.ن. كولكوف. موسكو ١٩٨٦، ص ٧٠.

(١٦٧) نفس المصدر السابق، ص ٧٢.

مفاجئة إلى القوى البريطانية المتفوّقة، وامتنعت عن القيام باي نوع من أنواع المطاردة، ولجأت إلى المناورات الخداعية الماكرة.

لابدّ هنا من التوقّف عند بعض الأمثلة على الدهاء العسكري الذي تميّز به الفيلد مارشال رومل دون التطّرق إلى تفاصيل الأعمال العسكرية في افريقيا.

استخدمت القوات الألمانية بقيادة رومل بفعالية ونشاط "الأفخاخ" للدبابات البريطانية منذ الأيام الأولى لدخول افريقيا. وهي عبارة عن سرايا مدافع مضادة للطائرات عيار ٨٨مم تحولت إلى مدافع مضادة للدبابات متخندقة في الأرض (١٦٨). لقد كان لهذه الظاهرة أهمية بالغة الخطورة. طالما أن قذائف المدافع المضادة للطائرات استطاعت إختراق دروع الدبابات البريطانية من مسافة بعيدة (٢٠٠٠ ياردة). واثبتت المدافع المضادة للدبابات المتوفرة آنذاك من عيار ٢٧ مم و٤٠مم عدم جدواها وفعاليتها. وبنتيجة ذلك خسر البريطانيون حوالي نصف دباباتهم في كل موقعة. ففي ثلاثة أيام من عملية "بيت لاقس" خسر البريطانيون ٩١ دبابة بينما لم يخسر الألمان سوى ١٢ دبابة (١٦٩). كما استخدم رومل في هجومه، وبشكل إيجابي وفعّال، المدافع العادية المضادة للدبابات بالتعاون مع الدبابات. وهذه المدافع الطويلة المموّهة جيداً كانت تتوضّع أمام تراتيب قتال الدبابات الألمانية وتدمر بقذائفها الثاقبة للدروع، الدبابات البريطانية، مشكلة بذلك إنطباعاً لدى البريطانيين بأن هذه النيران تأتيهم من الدبابات الألمانية فقط. وهكذا أخذت الشكوك تراود البريطانيين في قوة أسلحتهم ومواصفاتها (١٧٠).

إن القوات الألمانية التي عملت في شمال افريقيا بقيادة رومل، أظهرت، أكثر من مرة، تفوّقها، حتى في الظروف والمواقف الأقل ملاءمة لها، الأمر الذي كان له تأثيرات كبيرة وسلبية على الحالة النفسية والمعنوية للجنود البريطانيين. ففي كانون الثاني عام ١٩٤٢ تحرّك رومل بقوى قليلة باتجاه بنغازي، وذلك كي

(١٦٨) "الحرب العالمية الثانية" ب. ليدل هارت موسكو ١٩٨٦ ص ١٧١.

(١٦٩) نفس المصدر السابق ص ١٧٢.

(١٧٠) "الحرب العالمية الثانية" ليديل هارت. ب. موسكو ١٩٧٦ ص ١٧٤.

يتظاهر بأنه سيشن الهجوم باتجاه الشرق نحو ميتشيلي. وعندئذ سارعت القيادة البريطانية في نقل التعزيزات إلى منطقة ميتشيلي، فاتحه بذلك ميناء بنغازي أمام قوات رومل (١٧١).

في الرابع عشر من حزيران تحرك رومل باتجاه ميناء طبرق الذي تتحصّن فيه وتدافع عنه القوات البريطانية بقوة وإصرار، والذي "لامجال للحديث بشأن التخلي عنه، ولا يمكن الإنسحاب منه إطلاقاً" كما قال تشرشل. التّف رومل حول الميناء خفيةً، ثم استولى على مطار هامبوت، وحاصر نقاطاً دفاعية هناك، ثم قفل راجعاً، وبعدها بدأ الهجوم على طبرق. ظنّ البريطانيون في بادىء الأمر أن رومل اتّجه نحو الشرق، ولم يتوقعوا أبداً هذه الضربة التي بنتيجتها أوقفت حامية طبرق التي قوامها ٣٥ ألف جندي مقاومتها واستسلمت.

إن الخبرات والدروس المستفادة من سنوات الحرب العالمية الثانية تشير إلى مدى أهمية دراسة وتحليل وجهات النظر حول الإستراتيجية وفن العمليات والتكتيك لجيوش الدول الرأسمالية بما في ذلك أساليب وطرق الدهاء العسكري. وقد أصبح واضحاً، مما قدّمته الوثائق والمستندات، أن أساس المذهب العسكري لبلدان الحلف الفاشي كان يقوم على توجيه الضربة الإستراتيجية القويّة المباغتة في بداية الحرب. ولم يقتصر الإهتمام بتدابير وإجراءات تأمين السرّية والإخفاء للتحضير لمثل هذه الضربة، وتأمين المفاجأة لها، على القيادة العسكرية فحسب، بل شمل أيضاً هيئات ومؤسسات الدولة الأخرى. هذا وقد لعب التضليل الإعلامي السياسي والدبلوماسي والعسكري دوراً هاماً في هذا المضمار. كما أن القوى العسكرية لبلدان الحلف الفاشي اعتمدت في خططها العدوانية – التوسعية على سبق الجانب الآخر في الإنتشار الإستراتيجي. إلاّ أنّ أفكار هذه القوى المغامرة أخفقت وانهارت في نهاية المطاف. واستطاع الأتحاد السوفييتي و حلفاؤه سحق المعتدين.

---

(١٧١) "الحرب العالمية الثانية" ليديل هارت . ب . موسكو ١٩٧٦، ص ٢٥٨.

٣- في الحروب المحلية المعاصرة.

تزداد في الوقت الحاضر أهمية عامل المفاجأة، وتترسّخ هذه الأهمية من وجهات نظر القيادة العسكرية الأميركية، والقيادات العسكرية في بلدان حلف شمال الأطلسي الأخرى. ويشير البعض إلى الدور المتعاظم للمفاجأة. وبالتالي – دور الدهاء العسكري، نظراً لتطوّر النظرية القائلة بإمكانية خوض الحرب غير النووية، ونظراً لحصول القوات على وسائط صراع مسلح جديدة، بما في ذلك الأسلحة العالية الدقة وأنظمة الأتمتة.

اليوم، وفي الوقت الذي شرعت فيه قيادة حلف شمال الأطلسي بإعداد الطرق المناسبة للتأثير الشامل دفعة واحدة على التجميع المعادي بكامله، أخذ الفكر العسكري الغربي يتحرك محموماً من فكر كلاوزفيتتر إلى فكر جوميني، ومن لودندورف – إلى كيتيل مُحدّثاً نظريات هؤلاء، ومحاولاً إيجاد "الوصفات" الجاهزة لتحقيق النصر السريع. وهنا يتركّز الإهتمام بوجه خاص على عبارة كلاوزفيتتر القائلة : «المفاجأة تشكّل الضمانة الأهم للنصر». كما تحظى بالإهتمام أيضاً أفكار مُولْتكه ولودندورف المتعلّقة بطرق بدء الحرب – ولاسيّما أقوال لودندورف، الذي رأى أنه ليس من الضروري إعلان الحرب بشكل عام.

ينطلق الخبراء العسكريون في حلف شمال الأطلسي من حقيقة الإمكانيات المتعاظمة للإستطلاع الحديث وقدراته على كشف إعادة تجميع القوات وتحركاتها، وإستعداداتها للهجوم، ولذلك فإنهم ينصحون بالإعتماد، قدر الإمكان، وعلى أوسع نطاق، على الأعمال التضليلية والتظاهرية، إلى جانب الإقلال من القرائن الدّالة على القوات والعتاد القتالي.

وإنطلاقاً من هذا الواقع، فإن قيادة حلف شمال الأطلسي – الناتو – تطالب القوات والأركانات بالواجبات الخاصة التالية : البحث عن الطرق والوسائل الجديدة لخداع العدو، والإخفاء والسرّية، وإختبار هذه الأساليب والوسائل في المشاريع،على أن تكون الأكثر فعالية ونجاعة، وأن تؤمّن المفاجأة للتدابير

والإجراءات المتخذة.

ففي أثناء المشاريع المختلفة التي ينفذها حلف الناتو تستخدم "مناورات المشاغلة" وصرف الأنظار على نطاق واسع من أجل تضليل "العدو". فإسقاط (إبرار) الإنزالات الحقيقية على الإتجاهات المختارة يسبقه إسقاط (إبرار) تظاهري كقاعدة عامة على إتجاهات أخرى. وهنا، على سبيل المثال، نجد أن القيادة الأميركية استطاعت - على ضوء الخبرات المستفادة من مشاريع «تايم - يورك -٨٠» - حل مشكلة إستيعاب وسط النرويج خفيةً، إلى جانب المسائل العملياتية، وذلك من أجل إقامة مستودعات الأسلحة والعتاد القتالي في هذه المنطقة الهامة، ونقل لواء من مشاة البحرية الأميركية اليها عند تأزم الموقف.

تُعدُّ القيادات العامة على مسارح الأعمال العسكرية الخطط وتتّخذ الإجراءات والتدابير المتعلّقة بالتمويه وتضليل العدو. وهنا يرى الخبراء العسكريون أنّه من الضروري تنسيق الأعمال بين جميع أنواع القوات المسلحة، والتعاون مع القيادات الوطنية لبلدان الحلف. فالقيادات العامة تسعى إلى إخفاء التجهيزات القائمة والتي تجري على مسارح الأعمال العسكرية الأوروبية، وتشكيل إحتياطات استراتيجية من الأسلحة والوقود والذخائر، والتعيينات والمواد الخام، وكذلك تسعى إلى تحضير وإعداد القوات للإنتشار في المناطق الحدودية المتاخمة لدول المنظومة الإشتراكية، والقيام بعدد من الإجراءات التعبوية المتعلّقة بتعزيز تجمعات القوات المخصصة للعمل ضد بلدان حلف وارسو.

تؤكّد أهمية الدهاء العسكري في الظروف الراهنة خبرات الحروب المحلية التي يرى فيها الطرف المهاجم أن توجيه الضربة المفاجئة الأولى يلعب الدور الحاسم في الحرب.

إن الخبرات التي حصلت عليها القوات الأميركية في مجال تضليل العدو، والتحضير السرّي الخفي للقوات خلال عمليات الإنزال في صقلية، والنورماندي والعلميات الأخرى التي شهدتها الحرب العالمية، استفادت منها القيادة الأميركية

خلال إبرار الإنزال البحري في منطقة إينشهون - ايلول ١٩٥٠ إبّان الحرب الكورية (المخطط ٣٠). فقد اتخذت القيادة الأميركية قبل العملية، مجموعة من التدابير و الإجراءات الخاصة بالتحضير السرّي الخفي وتحميل وإبحار قوات الإنزال، خفية، إلى المنطقة المقرّرة. وقد فُرضت القيود وتعليمات الحظر المشدّدة على التحضير لهذه العملية. وبهدف التضليل الإعلامي، سرت الشائعات المختلفة حول التحضير للإنزال في مناطق أخرى.

ولتضليل العدو، تعرضت المناطق التي تقرّر تنفيذ العمليات التظاهرية فيها للغارات الجوية الكثيفة. وتسنى للقيادة الأميركية عن طريق اللجوء إلى الإنزالات التظاهرية والكاذبة صرف أنظار الجيش الشعبي الكوري عن منطقة إينشهون، وإشغاله على إتجاهات أخرى.

اتُخِذتْ خلال الحرب الڤيتنامية الإجراءات والتدابير المتعلّقة بالتضليل الإعلامي، والأعمال التظاهرية، وتقليد وتمثيل هذه الأعمال، والتمويه والإخفاء، فبناءً على توجيهات خاصة أصدرتها القيادة الأميركية، استُخدمت على نطاق واسع أعمال المشاغلة للفت الأنظار والإهتمام، تلك الأعمال التي حملت وحدات المقاومة الڤيتنامية الجنوبية على الخروج من قواعدها ومعسكراتها الآمنة نسبياً، ومهاجمة وحدة أمريكية وسايغونية تظاهرت بأنها انتقلت إلى الدفاع - وفي هذه الأثناء كانت تقوم وحدة أميركية أخرى متمركزة خفية وفي مكان مموّه - بمهاجمة الڤيتناميين، لتعزلهم بالنيران عن معسكرهم وتدمّرهم. كما استخدم اسلوب آخر يدعى «الإصابة المباشر» وهو يتلّخص في قيام وحدات أميركية بشن هجوم تظاهري على عدة إتجاهات، ثم تغيير إتجاه تحركها فجأة لتحكم الطوق حول منطقة معينة، وتشتبك في معركة مع القوى المتواجدة فيها.

لقد أخفت القيادة الأميركية وتستّرت، كما يجب، على إعداد وإبتكار وسائط التدمير وأشكال الأعمال القتالية الجديدة. فعلى سبيل المثال لا الحصر، جرى خفية إعداد وإستخدام مجموعتين من القوى البرمائية النهرية. وبفضل هذه القوى

استطاع الأميركيون في دلتا ميكونغ التسلّل بسرعة إلى أعماق الأدغال، وحرموا القوى الوطنية الفيتنامية من استخدام هذا النهر لشن الغارات على مؤخرات القوات الأميركية والسايغونية.

ولأول مرة تنفذ في الحرب الفيتنامية "العمليات المجوقلة" - أي عمليات القوات المحمولة جواً، التي يتمثّل جوهرها ومفهومها في التنقل الخفي والسريع لقطعات المشاة والقطعات الأخرى بواسطة الحوامات إلى المنطقة المحدّدة، من أجل خوض الأعمال القتالية فيها. وقد قامت الفرقة المحمولة جواً التي شُكّلت عام ١٩٦٥ في الولايات المتحدة، بتلك العمليات ضد القوى الوطنية الفيتنامية، وجاء تشكيل الفرقة لهذا الغرض بالذات. وبعد أن تنفذ العملية المجوقلة بنجاح كانت تُنزل مجموعات إستطلاع وتخريب خفية في منطقة الأعمال، بمهمة التحرّك ليلاً فقط، وتنفيذ الرصد اللاسلكي نهاراً ونصب الكمائن، ومهاجمة وحدات القوى الوطنية الفيتنامية التي تعود إلى منطقة الأعمال القتالية.

أما الطيران الأمريكي، فإنه استخدم أيضاً الأعمال التظاهرية أثناء عمله ضد الأغراض المحمية بوحدات الدفاع الجوي الصاروخية، وذلك لتضليل هذه الوحدات. فقد أُرسلت إلى منطقة القصف طائرات خاصة من أجل التشويش الإيجابي على عمل المحطات الرادارية الفيتنامية المخصصة للكشف والتوجيه، وفي أعقاب ذلك كانت تنطلق على إرتفاعات متوسطة مجموعات مشاغلة نحو الغرض (٢-٤ طائرات)، مهمّتها تغيير إتجاهاتها وإرتفاعاتها بسرعة وبصورة حادة دون أن تدخل في منطقة تأثير وسائط الدفاع الجوي، وتتفادى الرمي عليها. في هذه الأثناء تنطلق المجموعات الضاربة إلى الغرض (الهدف) على إرتفاعات ٥٠ -١٠٠م وتقوم باعمال القصف بالقنابل.

استُخدمت الوحدات المضادة للطائرات وقوى المدفعية كوحدات جوالة (متنقلة) تعمل من وضعية الكمائن لتغطية القوات الصديقة وحمايتها من الهجمات الجوية.

أمّا الوحدات والمجموعات المناورة القادرة على الإنتشار السريع والرمي أثناء الحركة أو من وقفات قصيرة، فكانت تنتقل خفية إلى موضع جديد بعد كل إطلاق أو رمي. كما كانت الوحدات المضادة للطائرات العاملة من وضعية الكمائن، تُستخدم للتأثير على الطائرات التي تحلق من إتجاهات غير مُغطاة، أو مغطاة بصورة غير كافية، وكذلك عند تحليق هذه الطائرات على إرتفاعات منخفضة جداً. والجدير بالذكر أن الكمائن تُنصب في الفرج الفاصلة بين مناطق التأثير لقطعات ووحدات المدفعية المضادة للطائرات المتجاورة. ويتم إختيار مواقع الكمائن على ضوء دراسة تضاريس الأرض. كم أن فعالية عمل تلك الكمائن كانت تزداد عندما. تُشارك في الكمين وحدات مزوّدة بمجموعات مضادة للطائرات من مختلف الأنواع.

تحظى بالإهتمام الكبير الخبرات المستفادة من الحروب العربية الإسرائيلية، ولاسيّما حرب عام ١٩٦٧ (المخطط رقم ٣١). فعلى الرغم من الأخطاء التي وقعت فيها القيادة العربية والتدريب الضعيف والإعداد السيء للقوات العربية المسلحة، فإن المفاجأة التي تميّز بها الهجوم الإسرائيلي، والتي تحقّقت بفضل استخدام جميع أشكال وطرق الخداع العسكري، كانت تُعتبر العامل الحاسم في تلك الحرب.

وقد تلخّص الخداع العسكري للقيادة الإسرائيلية في الإخفاء والتستر على التحضير للضربة الموجهة إلى القوات المسلحة المصرية، وتضليل هذه القوات.

من أجل التضليل وصرف الأنظار عن التحضير لشن الهجوم على مصر، نظّمت إسرائيل هجوماً استفزازياً كبيراً على سوريا وذلك قبل موعد إندلاع الحرب بعام واحد تقريباً. وقبل بداية الحرب بشهر واحد أيضاً منح البرلمان الإسرائيلي، علانية، الحكومة صلاحية القيام بعمليات عسكرية ضد سوريا. وتحت هذه الذريعة بدأت تعبئة القوات الإسرائيلية ونشرها على إمتداد الحدود مع سوريا. وبهدف التضليل الإعلامي أخذت ترد إلى بلدان مختلفة عبر الأقنية

الدبلوماسية المعلومات و التقارير التي تفيد بأن الحكومة الإسرائيلية حدّدت نهاية شهر أيار موعداً لتوجيه ضربة خاطفة إلى سوريا، وبعد ذلك فقط ستنتقل الأعمال العسكرية إلى الأراضي المصرية.

بهدف تضليل المصريين قامت الأركان العامة الإسرائيلية باعمال تظاهرية واسعة؛ توحي بحشد تجميع كبير من القوات في الجنوب مع العلم أن الضربة الرئيسية ستوجّه في الشمال. زد على ذلك إتخاذ تدابير السرّية والإخفاء : فقد حُرّم إستخدام المحطات اللاسلكية للإتصالات بين الأركانات والقوات أثناء إحتلالها قواعد الإنطلاق، وعند الإنتقال إلى الهجوم؛ وجرت تحّركات القوات نحو حدود الدول العربية ليلاً فقط، أمّا تحشّد هذه القوات في مناطق الإنطلاق فقد جرى تمويهه جيداً. لقد تركز الإهتمام بصورة خاصة على إخفاء التحضيرات للهجوم الجوي : فقد روعي نظام الصمت اللاسلكي بحذر شديد في المطارات وفي الجو؛ وحرّم تحليق الطائرات العسكرية بالقرب من الحدود العربية، كما تقلّص أيضاً نصف قطر عمل طائرات الإستطلاع.

لقد استُخدم على نطاق واسع التضليل الإعلامي والتظاهر، وتقليد الأعمال : أي أنه أنشئت مطارات وساحات هبوط كاذبة، واستعراض وتمثيل حشود كاذبة للقوات، ولاسيما قوات الدبابات، والبث اللاسلكي الوهمي. وقبل موعد الهجوم بيومين مُنحت لجنود عدد من قطعات النسق الثاني إجازات قصيرة. إن هذه الإجراءات والتدابير سمحت للقيادة الإسرائيلية بتضليل المصريين، وإخفاء التحضيرات للهجوم.

لقد بدأت الأعمال القتالية بضربة جوية وجّهها الطيران الإسرائيلي إلى الطائرات المصرية الجاثمة في المطارات، ومراكز ومقرات القيادة والسيطرة، ومراكز الدفاع الجوي اللاسلكية الفنية، وإلى مرابض صواريخ الدفاع الجوي الموجّهة، وإلى الجسور المنصوبة على قناة السويس، هذا وقد أقلعت وانطلقت وفقاً لمخطط بياني محسوب بدقة بحيث تظهر جميعها فوق أهدافها في وقت واحد.

وجرى الإقتراب من الأهداف تحت ستار من الصمت اللاسلكي التام وعلى إرتفاعات منخفضة ومن جهة البحر الأبيض المتوسط ومروراً بدلتا النيل، ثم إنطلاق كل طائرة باتجاه هدفها والإنقضاض عليه. وبناءً على ذلك تعذّر اكتشاف هذه الطائرات من قبل نظام الدفاع الجوي الراداري المصري. زد على ذلك أن محاور تحليق الطائرات الإسرائيلية من جهة البحر الأبيض المتوسط، أم من جهة البحر الأحمر، تمّ إختيارها خارج مناطق تأثير صواريخ الدفاع الجوي. ومع توجيه الضربة الجوية الأولى بدأ في آن واحد إستخدام التشويش الإيجابي، الذي شلّ قيادة الطيران المصري بالكامل وأمّن الإخفاء والسرّية لتقرّب الطائرات الإسرائيلية من أهدافها. وعند إقلاع الطائرات المصرية المتبقية إلى الجو، استطاعت المحطات اللاسلكية الإسرائيلية، التي تعرف ترددات عمل المصريين، وشيفرة محادثاتهم، والدخول فوراً على شبكاتهم اللاسلكية وبذلك ضلّلت مراكز القيادة الجوية - الأرضية، والطائرات أيضاً.

وبالإضافة إلى ذلك استخدم الإسرائيليون بنشاط وفعالية أجهزة الإستطلاع والتشويش، والأفخاخ - الأهداف الكاذبة، والصواريخ المضادة لمحطات الرادار، وقطعات ووحدات الحرب الإلكترونية.

وعن طريق استخدامها الوسائط الإلكترونية الأرضية حاولت القيادة الإسرائيلية أن تضلّل إعلامياً قيادات قطعات وتشكيلات القوات البرية للبلدان العربية، وتدخل على شبكات الإتصالات اللاسلكية لتعطي الأوامر والتعليمات الكاذبة. وقد ذكرت بعض مصادر الصحافة الغربية أن الإسرائيلين كانوا يتمكّنون أحياناً من تولّي قيادة قطعات القوات البرية، والطائرات المصرية بأنفسهم. وهاهي بعض الأمثلة على ذلك :

في أثناء تقدّم فرقة الدبابات الرابعة المصرية على جبهة سيناء لتوجيه الضربة المعاكسة إلى المعتدي قام الإسرائيليون باعمال التضليل الإعلامي وأرسلوا عبر الشبكة اللاسلكية لهذا التشكيل أمراً كاذباً بانسحاب أفواج الفرقة

إلى ماوراء قناة السويس. وقد نُفذ الأمر على أنه أمر حقيقي، ولم تُنفذ الضربة المعاكسة (١٧٢).

إن السفينة الأميركية "ليبيرتي" التي كانت تقوم أثناء العدوان الإسرائيلي، بالتقاط وفك رموز البرقيات اللاسلكية العربية، أرسلت، أكثر من مرّة، الأوامر الكاذبة والمرمّزة باللغة العربية بهدف شل قيادة القوات العربية. ففي منطقة العريش مثلاً حاولت القوات المصرية تنظيم الدفاع، إلاّ أنّها تخلّت عن المدينة بدون مقاومة من جراء الأوامر الكاذبة التي تلّقتها من "ليبيرتي" (١٧٣).

إن الإستخدام المركّب لجميع أشكال وطرق الخداع العسكري في الحرب العربية – الإسرائيلية عام ١٩٦٧ أدى إلى نتائج وخيمة بالنسبة لكل من مصر وسوريا والأردن. فقد احتلّت اسرائيل شبه جزيرة سيناء، وقطاع غزة ومرتفعات الجولان والمناطق الواقعة غربي نهر الأردن، أي مامجموع مساحته ٦٨,٥ الف كم٢ . وقد زادت الخسائر الإجمالية للقوات المسلحة العربية عن ٤٠ الف شخص، و٩٠٠ دبابة، و٣٦٠ طائرة قتالية. إلا أن مصر تكّبدت أفدح الخسائر، أي أنها فقدت ٨٠٪ من تجهيزاتها العسكرية و ١١,٥ ألف قتيل و ٥٥٠٠ أسير (١٧٤). وفي مجال تقديرها لدور المفاجأة في الصراع المسلح كتبت مجلة "فلوغويلت" تقول : «لاشك في أن هذا النموذج من الضربات الجوية المفاجئة والمحضّرة خفية من شأنه أن يُدخِلَ وجهات نظر جديدة على نظرية خوض الحرب الجوية. وهو يؤكّد مدى الإخفاق الذي يقع فيه أي طرف محارب عندما يعتمد على عدد الدبابات والطائرات والجنود الذين في حوزته، فقط، ليعتبر نفسه المنتصر القوي» (١٧٥).

وفي الحرب العربية الإسرائيلية عام ١٩٧٣ حاول الإسرائيليون أيضاً

---

(١٧٢) MILITARG REVIEW-1978. NO.4. P-18

(١٧٣) ARMY.1973. NO-2- P9

(١٧٤) "العلاقات الدولية والسياسية الخارجية للإتحاد السوفييتي" ١٩٧٠ العدد٣، ص ٨ ,٩.

(١٧٥) FLUGWELT.1976. NO.2 S-11

استخدم الخداع العسكري. وعلى ضوء خبرات الحرب السابقة، أولت القيادة الإسرائيلية اهتمامها الأكبر لمسائل التضليل اللاسلكي، والتظاهر اللاسلكي، والتمويه اللاسلكي. ولهذه الغاية استخدمت اسرائيل الصواريخ من نوع "شرايك" و "ستاندرات أرم" وأجهزة إطلاق العواكس اللاسلكية، والأهداف الكاذبة التي تعمل بالأشعة تحت الحمراء، وكذلك محطات التشويش المحمولة طراز AO-119 على الطائرات اف -٤. كما أن عدداً من طائرات "فانتوم" جرى تحويله إلى طائرات حرب الكترونية عن طريق تعليق أربعة حواضن بالطائرات في كل منها محطتان للتشويش اللاسلكي، وجهاز لإطلاق الصواريخ "شرايك". وكذلك آلية لإطلاق العواكس اللاسلكية، والأهداف - الأفخاخ الكاذبة التي تعمل بالأشعة تحت الحمراء (١٧٦).

إلاّ أنّ الخداع العسكري الإسرائيلي كان قد وُجه في هذه الحرب بالفن العسكري الرفيع من جانب القيادة العربية. فقد جرى تنظيم الإستطلاع اللاسلكي بصورة جيدة، كما أن مقاومة التشويش العالية من جانب وسائط نظام الدفاع الجوي الالكترونية في مصر وسوريا تحققت بفضل إستخدام عدّة أنواع من الوسائط الالكترونية لقيادة الصواريخ الموجّهة المضادة للطائرات والمدفعية المضادة للطائرات التي تعمل في مجالات ترددات مختلفة، وضمن تجميعات مختلطة.

لقد استخدم الدهاء العسكري على نطاق واسع خلال النزاع الأنكلو - أرجنتيني عام ١٩٨٢ حول جزر الفوكلاند (مالڤيناس) - الشكل رقم ٣٢. فقد اتخذت القيادة البريطانية مجموعة من التدابير والإجراءات لتضليل القيادة الأرجنتينية. حيث وضع البريطانيون خطة لتضليل الأرجنتين إعلامياً عبر الصحافة والإذاعة والتلفزة. فمن أجل تأمين السرّية فُرضت تدابير عسكرية مشدّدة، ووضع نظام خاص للإتصالات اللاسلكية. وأصدرت القيادة البريطانية

---

(١٧٦) INTERNATIONAL DEFEMCC REVIEW.1973 NO6. P698,699.

أمراً بتحديد منطقة كاذبة للإنزال البحري والجوي. وذكرت الصحافة الأرجنتينية أن القيادة البريطانية استطاعت بفضل تدابير الخداع العسكري تحقيق الأهداف المحدّدة لها بقوى محدودة وفي أسرع وقت ممكن وبأقل قدر من الخسائر والإصابات.

لقد دارت الأعمال القتالية إبّان النزاع البريطاني - الأرجنتيني في الظروف الليلية بصورة أساسية، وإستفاد البريطانيون من ضعف تدريب القوات الأرجنتينية على الأعمال الليلية ولذلك قاموا بالنزول على الشاطىء واقتحموا المركز الإداري بورت ستانلي ليلاً فقط.

فقد تمّ إبرار إنزال بحري وإنزال جوي آخر بالحوامات على نسقين في منطقة سان كارلوس تحت جنح الظلام وفي ظروف سيئة (١٧٧).

وشنّت القوات البريطانية أعمالاً هجومية نشطة لإحتلال رؤوس الجسور على الجزر في الظروف الليلية، مستفدين من حقيقة أن الطيران الأرجنتيني لن يعمل في مثل هذه الظروف، وفي ظروف الرؤية السيئة الأخرى. وقد تمّ تنفيذ المهام المسندة في النصف الأول من النهار، كقاعدة عامة. كما جرى إبرار الإنزالات البحرية في القطّاعات التي لم يحضّرها الأرجنتينيون للدفاع بصورة كافية. وبهدف حرمان القوات الأرجنتينية من المناورة بالقوى والوسائط، فقد قام البريطانيون بإبرار إنزالات صغيرة للمشاغلة ولفت الأنظار، عادت أدراجها إلى السفن الحربية وسفن الإنزالات بواسطة الحوامات بعد أن نفّذت مهامها. وقبل موعد إبرار الإنزال البحري (الجوى) بثلاثة -خمسة أيام أُنزلت في مؤخرة الخصم مجموعات إستطلاع، قامت باستكشاف الموقف، وتصحيح رمايات مدفعية السفن ووجهت الطيران البريطاني إلى أهدافه.

لقد استخدم الأرجنتينيون بنجاح الطائرات المقاتلة الفرنسية من نوع "سوبر إيتندار" المزودة بالصواريخ المضادة للسفن من نوع "ايكزوسيت".

كانت هذه الطائرات تقترب من أهدافها بالأزواج وعلى إرتفاعات منخفضة

---

(١٧٧) "مجلة التاريخ العسكري" السوفييتية ١٩٨٤. العدد ٥، ص٥٠

جداً، بينما كانت مجموعة التأمين التي تضم طائرات "ميراج -٣ي" و أ -٤ (سكاي هوك) تنفذ في الوقت نفسه مناورة تظاهرية على إرتفاعات منخفضة، وتُلفت بذلك أنظار المقاتلات البريطانية من نوع "سي هارير" وتشاغلها. فبعد التقاط الهدف من قبل محطات الرادار المحمولة على الطائرات، أطلقت طواقم الطائرات الأرجنتينية الصواريخ "ايكزوسيت" من مسافة ٢٠-٤٠كم. وقد أغرقت هذه الصواريخ بالإصابة المباشرة المدمرة البريطانية الصاروخية "شيفيلد"، وناقلة الحاويات "أتلانتيك كونفير" (١٧٨).

يرى الخبراء العسكريون الغربيون أن سبب إنتصار بريطانيا في هذا النزاع المسلّح هو تلك المجموعة من التدابير والإجراءات التي اتُخذت لتضليل الجانب الأرجنتيني.

كانت العملية التي نفذتها القوات الأميركية عام ١٩٨٣ تحت الأسم الرمزي "الغضب السريع" «ايرجينت فيوري»، تهدف إلى القضاء على دولة غرينادا ذات السيادة. كما أن التحضير لغزو غرينادا وتنفيذ هذا الغزو اشتملا على عناصر الخداع العسكري.

في السابع عشر من تشرين الأول ١٩٨٣، أي قبل الإبرار المباشر للقوات الأميركية، انطلقت من قاعدة نورفولك البحرية الأميركية مجموعة إنزال برمائية (مؤلفة من خمس سفن إنزال على رأسها حاملة الطائرات "غوام"، وعلى متنها ١٨٠٠ جندي من مشاة البحرية الأمريكية)؛ وفي التاسع عشر من الشهر نفسه - انطلقت مجموعة حاملة الطائرات المتعددة المهام والأغراض (بقوام إحدى عشرة سفينة حربية وسفينة مساعدة) على رأسها حاملة الطائرات "انديبيندنس"، التي تحمل عل متنها أكثر من ثمانين طائرة. وفي الحادي والعشرين من تشرين الأول تلّقت المجموعتان كلتاهما التعليمات بالتوجّه إلى منطقة جزيرة غرينادا مع مراعاة نظام الصمت اللاسلكي الصارم والتام، وفي الرابع والعشرين منه احتشدت مجموعة حاملة الطائرات المتعددة المهام والأغراض خفية على مسافة ثلاثين ميلاً

(١٧٨) مجلة "الشؤون العسكرية الدولية" السوفييتية ١٩٨٤ العدد ٥ ص ١٥.

إلى الشمال - الغربي من الجزيرة، بينما أخذت مجموعة الإنزال البرمائية مواقعها على مسافة خمسة أميال فقط إلى الشرق من الجزيرة.

أي أنه، قبل إتخاذ الرئيس الأميركي رونالد ريغان قراره النهائي بالغزو كان الحشد السرّي والخفي وجميع التدابير والإجراءات التحضيرية قد تمت على أكمل وجه.

أما الغزو المباشر الذي نفّذته القوات الأميركية ضد دولة غرينادا فقد بدأ صباح ٢٥ تشرين الأول - حوالي الخامسة وثلاثين دقيقة صباحاً، وقد جرى إسقاط إنزال جوي بقوام حتى كتيبة ذات مهام خاصة (أكثر من ٥٠٠ رجل يطلق عليهم اسم "رينجرز") في منطقة المطار الدولي بوينت سيلانز الذي يجري إنشاؤه على مسافة أربعة كيلومترات إلى الجنوب الغربي من العاصمة سانت جورجس. كما تمّ إبرار إنزال بحري بقوى مشاة البحرية (حوالي ٥٠٠ رجل) المعززة بالدبابات طراز ام - ٦٠ أ - ١ - MGOA1 في منطقة الميناء (المطار) الدولي العامل بيرلزابرات إلى الشمال الشرقي من جزيرة غرينادا. هذا وقد سبق الإنزال رمايات مكثّفة بمدفعية السفن، وضربات إقتحام بالقنابل نفّذها طيران الحاملات ضد هذه المناطق، وضد عاصمة غرينادا.

لقد قدّمت طائرات الحاملات، والحوامات الدعم إلى إنزال القوات، وإلى أعمالها في احتلال الأغراض المحدّدة لها.

وبعد إنقضاء بضع ساعات على هذا الإنزال نقلت طائرات النقل العسكرية إلى مطار بوينت - سيلانز حوالي ٦٠٠ رجل آخر من قوات "الرينجرز" الأميركيين، وحوالي ٣٠٠ عسكري - رجال شرطة من بلدان شرق الكاريبي. وبنتيجة هذا الغزو العلني تمّ في ٢٨ تشرين الأول إحتلال عاصمة البلاد سانت جورجس بكاملها. وبعد الإستيلاء على جزيرة غرينادا استولى جنود مشاة البحرية الأميركية على الجزيرة الثانية، من حيث حجمها، في تلك البلاد، وهي جزيرة كارياكا (١٧٩).

(١٧٩) "مجلة الشؤون العسكرية الدولية" السوفييتية ١٩٨٤، العدد الأول، ص٢٥.

إن الخبـرات والدروس المسـتفـادة من الحـروب المحليـة تؤكّد أن القـيـادة العـسكرية التي تشن الحرب، هـي التي تخطط بدقـة لتـدابيـر وإجـراءات الخـداع العسكري بغية تحقيق المفاجأة في الأعمال. وتستخدم عادة الأقنية الدبلوماسية وغيرها من الأقنية الرسمية الأخرى من أجل تصدير المعلومات التضليلية، على نطاق واسع.

تفيد المصادر الصحافية الغربية بأن النجاح في الحرب يتحقّق بالإستخدام المركّب لجـمـيع أشكال وطرق الدهاء العـسكري. وهذا يتلخص في : تحليق الطائرات على الإرتفاعات المنخفضة وبالسرعات العالية، والتشويشات اللاسلكية الإيجابية والسلبية، واستخدام الحوامات لإنزال قوات مشاة البحرية، وإبرار إنزال بحـري ضـخم في عمق المؤخـرة، والقيام بعمليـات مـجـوقلة وسريعـة، وتوجيـه الضـربات في أيام العطل الرسـمـيـة والأعـيـاد، وغيـر ذلك من الأسـاليب الأخـرى العديدة.

إنّ من بين طرق الخداع العسكري أيضاً التصنيع الخفي لوسائل جديدة للصراع المسلح، بما في ذلك وسائل الدمار الشامل، التي بنتيجة استخدامها يزداد حجم ضحايا العدوان.

وتشهد الحروب المحلية بوجه عام، على أنّ الإمبرياليين الذين يضعون خطط الغزو والعدوان يلجؤون دوماً إلى إتخاذ مجموعة كاملة من تدابير وإجراءات الدهاء العسكري.

* * *

الخاتمة

لاشك في أهمية دراسة مجموعة المسائل الكاملة المتعلقة بالدهاء العسكري. إذ أن تطور التقدم العلمي – التقني يؤدي إلى صنع أعتدة وأسلحة جديدة أكثر حداثة، وإلى ظهور أشكال وطرق جديدة للصراع المسلح أيضاً، وأعداؤنا يسعون جاهدين، إلى إخفاء الإنجازات والمبتكرات الجديدة في مجال العمل العسكري، أو إبعادنا عن هذه الحقائق بالإعلام الكاذب، والأضاليل المختلفة حول تفوّقنا المزعوم في مجال التسلح. إن هذه الظاهرة تتطلّب منّا أن نكون على أعلى درجات اليقظة والحذر. إذ ينبغي علينا أن نكون قادرين على إكتشاف المخططات الماكرة التي يبيّتها لنا العدو، ومن هنا فإنه يجب أن نعرف جيداً أشكال وطرق دهائه ومكره العسكري.

وهكذا ينبغي أن نكون مستعدّين لمواجهة مكر العدو وخداعه من جهة، ومن جهة أخرى، لإستيعاب أساليب الدهاء بكل براعة، والقدرة على الرد بالدهاء على خداع العدو ومكره.

إن الأهمية الحيوية لدراسة وتحليل مسائل الدهاء العسكري نظرياً وإدخال هذه المسائل إلى إطار التطبيق العملي خلال التدريب القتالي للقوات، تفرضها أهمية المصالح في الدفاع عن الوطن. ودور الدهاء العسكري عظيم جداً في الفن العسكري المعاصر. فحصول القوات المسلحة للدول الإمبريالية على وسائط الدمار الشامل، والأسلحة العالية الدقة، والمعدات الألكترونية، والألكترونية الحاسبة، والإمكانيات الكبيرة لوسائط نقل (إطلاق) الذخائر النووية وغيرها من الذخائر الأخرى، من حيث المدى، والزمن، والدقة، كل ذلك ينذر بالعواقب المأساوية الجسيمة، وهذا يؤكّد مرة أخرى، ضرورة الدراسة الدقيقية لإحتمالات استخدام العدو للدهاء العسكري كي لانجد أنفسنا معرّضين لهجوم مباغت. كما ينبغي أيضاً دراسة وتحليل الخبرات والدروس المستفادة من استخدام الخداع العسكري في حروب الماضي، ولاسيّما خبرات الحرب العالمية الثانية، والحروب

المحلية. والجدير بالذكر، أن إهتمام قيادات الجيوش الإمبريالية، ولاسيّما قيادة حلف الناتو، بمسألة الدهاء العسكري، يبدو واضحاً في الآونة الآخيرة، والمواد والقرائن الدّالة على ذلك تظهر في الكتب وبعض المقالات المنشورة في الصحف والمجلات. كما أن أشكال وطرق الدهاء العسكري في الحرب العالمية الثانية والحروب المحلية التي تلتها، تُدّرس وتُعمّم وتُطوّر وتستخدم في النزاعات المسلحة والحروب المحلية.

إن تاريخ الإمبريالية بأسره – ماهو إلاّ حروب ونزاعات مسلحة لاتنتهي، تندلع وتدور في مختلف مناطق كوكبنا الذي نعيش عليه.

لقد جاء في التقرير السياسي الذي قدّمته اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفييتي إلى مؤتمر الحزب السابع والعشرين أن «الإمبريالية بحكم طبيعتها الإجتماعية تولّد وتصعّد السياسة العدوانية التوسعية» (١٨٠).

لقد أصبح العدوان "بيت القصيد" في سياسة الإمبريالية. وهنا تغدو الدول النامية ضحايا الضغوط المتزايدة والتأثيرات المستمرة ذات الطابع السياسي والإقتصادي والعسكري كما أنها تتّحول، بين عشية وضحاها، إلى عدوان مباشر، ومما قاله الأمين العام للجنة المركزية للحزب الشيوعي. م.س. غورباتشوف في خطابه السياسي أمام المؤتمر : «عن طريق المناورات السياسية، والإبتزاز، والعمالة، والتهديدات العسكرية والهيمنة وأحياناً – التدخّل المباشر في الشؤون الداخلية للبلدان المتحرّرة، استطاعت الرأسمالية إلى حدّ كبير، إنقاذ علاقات التبعية الإقتصادية القائمة من قبل ... (١٨١). ومن هنا يبدو أن إهتمام الخبراء العسكريين الغربيين المتعاظم بالدهاء العسكري لم يكن مجرد صدفة، أو حديث عرضي، فالمشاكل والقضايا ذات الصلة بهذا الموضوع نوُقشت ودرست في إطار ندوات علمية خاصة ومؤتمرات «المائدة المستديرة» لهيئة تحرير مجلة «ڤيركون» المعروفة في الغرب وغيرها. كما سخرت المراجع والمنشورات الخاصة التي

(١٨٠)مواد ووثائق المؤتمر(٢٧)للحزب الشيوعي السوفييتي موسكو١٩٨٦ص١١.

(١٨١) نفس المصدر السابق ص ١٦.

صدرت في الآونة الأخيرة لدراسة مشكلة الدهاء العسكري. ففي كتابه « أداة السر والإخفاء» (الصادر في لندن عام ١٩٦٧) يقول ألفريد برايز أن الدهاء العسكري "هو العامل الأساسي لبلوغ النصر" و القادر على التأثير الحاسم في مجرى الحرب ومصيرها. كما يرى ألفريد برايز أنه بفضل التنظيم البارع للتمويه والإخفاء يمكن تفادي الخسائر والإصابات الكبيرة وتحقيق عنصر المفاجأة. وعلى هذا الصعيد يولي مؤلف الكتاب المذكور مسائل استخدام (الأيروزول) الرذاذ أهمية كبرى، أمّا براتون ڤالي صاحب كتاب " التضليل والمفاجأة، والسرّية في الحرب" - الصادر عن جامعة كمبردج عام ١٩٧٩م - فإنه يتناول تصنيفاً تفصيلياً لأشكال وطرق الدهاء العسكري الإستراتيجي والعملياتي. ويتضمّن أيضاً كتاب ويليامز هاريس بعنوان "أساليب الخداع المضاد على المستوى الإستراتيجي" والصادر في سانت - مونيك عام ١٩٧٣م - تحليلاً للخبرات القتالية المستفادة من الحرب العالمية الثانية، والحربين الكورية والڤيتنامية، والحروب العربية - الإسرائيلية. ويتناول صاحب الدراسة العلمية أنتوني براون بعنوان "طرق خداع العدو" نيويورك ١٩٧٥ - العديد من الأمثلة على الدهاء العسكري خلال عمليات الحرب العالمية الثانية. وفي الكتاب الذي أصدره تشارلز كريكشانك بعنوان (الخداع العسكري في الحرب العالمية الثانية) - أوكسفورد ١٩٧٩ - يتركز الإهتمام بصورة خاصة على استخدام طرق إخفاء التجمعات الضاربة للقوات البرّية والقوى البحرية.

وتجدر الإشارة هنا إلى تلك الأعمال والمؤلفات المشهورة في الغرب، مثل : «التمويه»/ نيويورك ١٩٧٨ لمؤلفه سيمور رايت و "تاريخ التمويه" /لندن ١٩٥٢م/ لمؤلفه هوتليب باركاس، وكذلك الدراسة العلمية المشتركة بعنوان «الخداع العسكري والمفاجأة الإستراتيجية» (نيوريورك ١٩٨٣).

يرى الخبراء العسكريون الغربيون أن الدهاء العسكري سيساعد في الوقت الحاضر - وفي المستقبل - على قدم المساواة مع عوامل الفن العسكري الأخرى

– على التنفيذ الناجح للمهام القتالية وبلوغ النصر، كما يعتقد بعضهم أن الإمكانيات لتضليل العدو تعاظمت في الوقت الحاضر، وذلك عن طريق تنفيذ الإجراءات والتدابير الإعلامية التضليلية المتخذة مسبقاً وعلى أعلى المستويات، مع إستخدام مختلف الطرق والوسائل الفنية. ومع ذلك فإن جميع الذين يدلون بآرائهم في هذا المضمار يشيرون إلى أن الطرف الذي يمتلك وسائط الكشف والإستطلاع ذات الدّقة العالية يستطيع أن يخلق أمام الطرف الآخر المصاعب الجمة في تحقيق أفكاره، أو حتى إحباط وإفشال هذه الأفكار.

وبشكل عام يمكننا إستخلاص الملاحظات التالية حول وجهات نظر المنظّرين الغربيين بشأن جوهر الدهاء العسكري ودوره في الفن العسكري الحديث :

أولاً – ينظر إلى الدهاء العسكري كمجموعة من التدابير والأجراءات المكّرسة بصورة أساسية، لخلق إنطباعات وتصورات خاطئة لدى العدو، أو أكبر قدر من الشك والحيرة في توقعاته وإفتراضاته تجاه النوايا الحقيقية للطرف المقابل، وتجاه توقيت بدء أعماله، وأبعادها. ومن السهل هنا القول بأن مثل هذه الإجراءات والتدابير يقررّها الخبراء العسكريون للأعمال الهجومية بصورة عامة.

ثانياً – يُنظر إلى الدهاء العسكري، في أغلب الحالات، كوسيلة لتحقيق المفاجأة، أي خلق الظروف التي تسمح بأخذ العدو على حين غره، وبالتالي فإن المفاجأة، تشكّل المبدأ الأبدي والثابت للدهاء العسكري في إطار الفن العسكري. كما يتركز الإهتمام على دور الدهاء العسكري في المرحلة الأولى للحرب الحديثة ولاسيّما عند توجيه الضربة الأولى.

ومع ذلك فإن بعض الخبراء العسكريين يرون أنّ الدهاء العسكري لايعدّ جزءاً مكّوناً لفكرة العملية. وينحصر دوره – حسب رأي هؤلاء – في قدرة وبراعة القائد في الإستفادة من شتى أنواع الصُدف والحوادث العرضية، وأخطاء العدو، والإستفادة من شروط الأرض المواتية، وظروف الطقس، والوقت إلاّ أنّ عدداً

كبيراً من أصحاب المؤلفات والمنشورات، لايشاركون في هذا الفهم الضيّق والنظرة الضيّقة إلى دور الدهاء العسكري في الفن العسكري.

لايختلف أثنان حول الدور الكبير لتحديث الفن العسكري وتطويره، وبالتالي - أحد عناصره - الدهاء العسكري في ظروف الموقف الدولي المعقّد الذي يتعاظم فيه خطر إندلاع حرب جديدة، وفي الوقت الذي تواصل فيه الولايات المتحدة تطويرأسلحتها النووية والتقليدية، على قدم وساق، وتصنّع الأسلحة الفضائية الضاربة.

إن متطلبات العصر الحاضر تقتضي من الكوادر القيادية، حتى في ظروف التدريب زمن السلم، أن تتمتّع بذلك النمط من التفكير الذي يسمح لها، ليس بقيادة القوات بنجاح خلال الأعمال القتالية المناورة والمتسارعة فحسب، بل وبإخفاء أفكارهم، وتضليل العدو عن نواياهم، وتحقيق المفاجأة في العمل لسحق قواه ووسائطه.

ومن أجل التنفيذ الناجح لمهام التدريب القتالي في الظروف الراهنة، ينبغي على الكوادر القيادية في القوات المسلحة، إلى جانب دراسة الفن العسكري والدهاء العسكري في حروب الماضي، دراسة خبرات الحروب المحلية المعاصرة والتنبؤ بأشكال وطرق الخداع العسكري التي يحتمل استخدامها من جانب العدو والقدرة على اكتشافها ومواجهتها بالجاهزية لفضح أي نوع من أنواع الدسائس والمكائد العدوانية، وإذا اقتضى الأمر - مواجهتها بالخداع العسكري المناسب والناجع.

* * *

أولاً :

تعليمات .ڤ.ڤ فيرمور إلى المناوب في الجيش العميد. پ.ي.پان

عند إستلام المناوبة العامة يجب التقيّد بالتعليمات التالية :

١ - إعطاء كلمة السر والتعاريف والأوامر في الساعة الثالثة بعد الظهر، إلى القادة المناوبين في الفرق.

٢ - نشر الدوريات الخارجية أمام المعسكر عند تبديل المعسكر، وينبغي عليها أخذ الحذر المناسب أثناء الإستراحات.

٣ - إرسال مجموعات صغيرة من الخيالة قبل الفجر على الطرقات الكبيرة حول المعسكر، وإبلاغ القائد العام حالاً عن كل المعلومات التي يحصلون عليها عن العدو.

٤ - ضرورة تفتيش جميع القادمين إلى المعسكر، والخارجين منه، بما في ذلك الرُسل والسعاة، والتعرف على هوياتهم وإقامة نقاط التفتيش على كافة الطرق المؤدية إلى المعسكر والخارجة منه، كي لايتمكن الجواسيس من دخول المعسكر، وإذا تبيّن أن القادمين من الخصوم أو الأعداء، فإنه يجب الإحتفاظ بهم في المخفر (المحرس) والإبلاغ عنهم على الفور، وإنتظار الرد بشأنهم.

عام ١٧٥٧م

"حرب السبع سنوات - موسكو ١٩٤٨" ص٣٨٢، ٣٨٣.

ثانياً:

من قرار المجلس العسكري حول خطة الحملة ١٧٥٧م.

لايجوز أن تحدّد مسبقاً تلك الأماكن التي يجب العبور منها لإقتحام نهر نيمان لسبب وحيد وهام، وهو أن العدو يستطيع عندئذ تحديد مواقعه على الجانب

الآخر ويقاوم العبور بضرواة. ولذلك لابد من الخداع والمراوغة، وإيهام الخصم بأننا سنقوم بالعبور في أماكن معينة، وننتظر لنرى تحركاته ونكتشف نقاط القوّة في دفاعه، أي يجب استخدام الخدعة - نتظاهر بالعبور في قطاع ثم نعبر من قطاع آخر لايتوقّعه العدو.

سيتپان أنراكسين - يوري ليڤين- ڤاسيلي لوبوخين

١٧ شباط ١٧٥٧م (حرب السنوات السبع -صـ١١٣).

ثالثاً-

مذكرة. ڤ.ڤ.ڤيرمو إلى الإمبراطورة اليزابيت حول الرسالة التي تلقاها من القائد العام للجيش النمساوي الكونت داون، وحول خطة الأعمال الحربية اللاحقة.

أحيط جلالتكم علماً بأن مبعوث الجنرال - فيلد مارشال غراف داون قد وصل البارحة، وقد أستقبلته وأحاطني علماً بأنّ العدو أُرغم على فك الحصار عن أوليك بنتيجة المغامرة المشهورة التي حققت الإنتصار عليه وأخذ يتقهقر ليلاً نحو شيلزيا. لايمكننا الإعتقاد التام بأن تراجعه المفاجيء هو دليل على ضعفه : وأرى أنه يبيّت نوايا أخرى، قد يكون إنسحابه هذا خدعه موجّهة ضد الجيش النمساوي كي يحمله على الإعتقاد بأنه لم يبقى سوى قسم قليل من قوات العدو، وفي الوقت نفسه يحشد ضدي القوى الرئيسة. الوقت سيظهر صحّة تصوّري، لكنني أرى أنه من الواجب العمل بحذر شديد.

وليم ڤيرمور

٣٠ حزيران ١٧٥٨م

"حرب السنوات السبع ص٢٩٥".

رابعاً :

محضر المؤتمر

الذي يشتمل على خطة حملة عام ١٧٦٠م، ووصف لأعمال الجيش الروسي خلال سنوات الحرب الماضية

يجب عليكم العمل بكلّ الجدّ والحماس، والتحضير للحملة مع التظاهرات بأنّ فيلقاً يستعد للدفاع وأن الخصم على وشك مهاجمته. إن خبرات السنوات الماضية والدروس المستفادة من القتال حول بوزنان تؤكّد على أن العدو كان يبدي خوفه وجبنه في بادىء الأمر ثم يُظهر شجاعته وإستخفافه عند الإقتراب منا. إن مضمون هذا الأمر الملكي يجب أن يبقى طيّ الكتمان في عملكم ونشاطكم وذاكرتكم، ولاداعي لإطلاع المجالس العسكرية عليه إلاّ في آخر لحظة، وإلاّ فإن المفاجأة ستفقد قيمتها...

إيليساڤيت

٣١ آذار ١٧٦٠م

"حرب السنوات السبع ص٥٦٥-٥٧٢".

خامساً :

توجيهات أ.ب. بوتورلين إلى پ. أ. رومیانتسیف

حول حصار واحتلال كولبيرغ بالتعاون مع الأسطول

بناءً على توجيهاتها الأمبراطورية السامية حول السرّية العالية، ومن أجل إطلاعكم وحدكم، أحيطكم علماً بأنّ قوات جلالتها تنوي ضرب حصار حول قلعة كولبيرغ المعادية الواقعة في بوميرانيا وذلك بمساعدة الأسطول الذي يحمل على متنه من خمسة إلى ستة آلاف رجل بقيادة البريغادير دورنوڤو، ومدفعية الحصار التي يمكن أن تصل من الموانىء الروسية. وقد تفضلت جلالتها بأن يبقى الفيلق في منطقة بوميرانيا، عندما يخرج جيش جلالتها إلى الحملة، ويبقى هناك على

حاله قرب نهر فيسلو. لذلك أرى بأن يبقى الجنود الضعفاء والمرضى في هذا الفيلق على نهر الفيسلو، أي العدد الكافي فقط لرصد ومراقبة العدو ولتنفيذ الحراسة حول المستودعات بقيادة جنرال وبريغادير فقط، وباقي قوات الفيلق تُرسل إلى بوميرانيا بقيادة جنرال أمين وبارع قادر على تنفيذ المهمة، وتحت أمرته الجنود الأقوياء والأصحاء. وبذلك يظل العدو منشغلاً بالقوى الضعيفة المتبقيّة على النهر والتي يحسب لها ألف حساب، في حين تعمل في مؤخرته القوى شديدة البأس، وتمنعه من التسلل إلى نهر فيسلو. وأخيراً يتحرك الأسطول من الموانىء الروسية ويخرج إلى البحر، لملاقاة العدو حول أسوار كولبيرغ، التي أصبحت ضعيفة بسبب خروج الحاميات منها لمواجهة فيلق بوميرانيا المهاجم من الخلف، وتثبيت القوات الضعيفة الوهمية على ضفاف الفيسلو. وعندئذ يسهل على قوات الإنزال والسفن ضرب الحصار حول القلعة.

أوصيكم بأن تستطلعوا العدو جيداً، وتركزوا إهتماماتكم على تلك القوات والأشخاص القريبة من تلك الأماكن أن تتسللَ منها نحو القلعة، أو نحوكم. كونوا حذرين جداً لأن العدو قد يفاجئكم.

الدوق.أ.بوتورلين

٧آيار ١٧٦١م

(حرب السبع السنوات السبع) ص٧٢٧ ، ٧٣٥

سادساً :

أذن (ترخيص) ب.أ.رومیانتسيف إلى الميجور ميللر مع التعليمات حول تنظيم الكتائب المشكّلة حديثاً وتجهيزها وتسليحها وتكتيكها .

١ - ____________

٢ - ________

٣ - ________

٤ - ــــــــــــــ

٥ - خذوا مواقعكم بهدوء وحافظوا على الصمت، على أن تبقى أمامكم دوماً دوريات حراسة راجلة، ودوريات أخرى على جوانبكم، كما ينبغي أن تشكّلوا حراسة لتحميكم من الهجمات المفاجئة. وتمركزوا في مواقعكم بطريقة تمكّنكم من تضليل العدو الذي يلاحقكم، وتحميكم من تعزيزات العدو التي قد تأتيكم من الخلف. هاجموا العدو من مؤخرته. وهاجموه في الغابة، بغضّ النظر عن قواته... في هذه الظروف لايستطيع العدو المتفوّق أن يقدّر قوّتكم، ولا يجد سبيلاً أمامه غير الفرار. وفي كل موقعة أو معركة لاتطلقوا طلقة بارود واحدة بدون جدوى أو فائدة.

١٨ آب ١٧٦١م

(حرب السنوات السبع) ص٧٧٢

سابعاً :

من البيان الذي بعثه ب.أ.رومیانتسيف إلى الإمبراطورة اليزيبت حول إنتصار العقيد.أ.ي بيبيكوف على فرقة الجنرال ڤيرنر حول تريبتوف والإستيلاء عليها.

في الأول من ايلول سار الجنرال ڤيرنر آخذاً معه الخيالة بأكملها، وأبقى في المعسكر الحراسة الميدانية مع تعزيزات كتيبة مشاة واحدة، وقام بمسير ليلي، متحركاً بين شاطىء البحر وإحتياط قواتي الواقع على الطرف الآخر لنهر بيرزانتا. كان يسير على رأس قواته مسرعاً قاصداً تريبتوف على جناح السرعة.

سرعان ماشوهدت تحركات الجنرال الماكر وأدُركت نواياه، فانطلقت على رأس خيالتي قاصداً تريبتوف أيضاً بأقصى سرعة ممكنة، وأمرت العقيد بيبيكوف بأن يتحرك على رأس كتيبتين من الخيالة والمشاة ويهاجمه بدون أي تأخير، وأن يحاول الحصول على أدقّ المعلومات عن تحركاته، وبعد رصده بدقة

أصدرت الأمر إلى المدفعية الواقعة مقابل المجنبة اليسرى للعدو بفتح النار عليه، فأخذ يقاتل متراجعاً نحو المدينة ليحتمي فيها فوجد أن بيبيكوف وقواته بانتظاره فيها، وبذلك فشلت خطة الجنرال ڤيرنر ودُمرت قواته ....

٥ايلول ١٧٦١م

(حرب السنوات السبع ص ٧٧٦ , ٧٧٧)

ثامناً :

توجيه عملياتي رقم ٢٠١٧/٨٠٦

من الجنرال الكسييف إلى الجنرال بروسيلوف والجنرال ايڤيرت والجنرال كوروپاتكين....، الإنتهاء من حشد القوات وفق خطة الهجوم الموضوعة في الموعد المحدّد، وضمن حدود الضرورة القصوى، على ألاّ يؤدي ذلك إلى كشف نوايانا، أو بقاء القوات في مواقعها السابقة، أو حشرها ببعضها البعض. وبفضل ذلك لايمكننا تحقيق إمكانية إخفاء نوايانا فحسب، بل وتأمين مرونة الخطة وتلاؤمها مع الظروف المحلية. بعد أن تجفّ الأرض.

١١نيسان ١٩١٦

(الأرشيف المركزي للجيش الروسي - رقم ٢٠٠٣، مصنف ١١٠٤ ص٤٧٠-٤٧١)

تاسعاً-

تقرير رقم ١٤٦٣٠

من الجنرال كاليدين إلى الجنرال بروسيلوف

يجب أن ينحصر دور فيلق الجنرال هيللينشميث قبل بدء العملية وفي أيامها الأولى، على الأعمال التظاهرية بهدف لفت أنظار العدو ومشاغلته إلى أن ينجلي موقف العدو ووضعيته

٢٢ نيسان ١٩١٦م

(الأرشيف المركزي للجيش الروسي :قسم ٢٦٧، مصنف ٥٢٨٦ ص٣٦٤-٣٦٥.)

عاشراً :

تقرير رقم ١١٠٢.

من الجنرال ليتشيتسكي إلى الجنرال بروسيلوف

ينبغي على الجيش أن يتظاهر على القطّاعات الأخرى بنشاطه الكامل، مع مهاجمة النقاط الأكثر ملائمة ومناسبة، من أجل لفت إنتباه العدو وصرف أنظاره عن جبهة الهجوم الرئيسية.

١٤ نيسان ١٩١٦م

(الأرشيف المركزي للجيش الروسي القسم ٢٠٦٧، المصنف ٥٢٨٦ ص١٦٧-١٨١)

الحادي عشر :

برقية رقم ١٥٠٤

من الجنرال بروسيلوف إلى الجنرال الكسييف

.... أرى أنه من الضروري جداً توجيه ضربات فرعية، حتى ولوكانت ضعيفة على جبهات الجيش بأكمله، وعدم الإكتفاء بالإغارات التي لاتستطيع شلّ إحتياطات العدو : وبذلك يتزعزع العدو ويصاب بالإرباك ويصبح غير قادر على تحديد إتجاه الهجوم الرئيسي، كما يتحقّق بذلك أيضاً التأثير النفسي، الهام عند العمل ضد النمساويين ....

٢٠ أيار ١٩١٦م

(الأرشيف المركزي للجيش الروسي : القسم ٢٠٠٣، المصنف ١١٠٥ ص٣٥٦.)

الثاني عشر :

التوجيه العملياتي الصادر عن القيادة العامة حول التحضير للأعمال الإيجابية في منطقة بيتروغراد

١- العمل بكل تصميم وإصرار، وبإنتظام لرصد ومراقبة كافة تحركات القوات المعادية، مع الإستخدام المركّز والواسع لوسائط الإستطلاع المتاحة، وإختبار هذه الوسائط بدقة، بهدف كشف خطة أعمال العدو المحتملة بأقصى سرعة ممكنة..

٢- التأكيد للأركانات كافة أن عليها التقيّد الكامل بالشرط التالي، وهو مراعاة السريّة الحتمية والمطلقة لجميع تحركاتنا، والسريّة التامة لكافة التعليمات والأوامر العملياتية...

٢٤ حزيران ١٩١٩م

(الأرشيف المركزي للجيش الأحمر القسم-٦، الفهرس٤، مصنف ١٤٦ ص٧٢)

الثالث عشر :

توجيهات الأركان الميدانية حول التحضير لعملية تحرير أرخانجيلسك

يجب تنفيذ عملية أرخانجيلسك بأسرع ما يمكن، وبأسلوب خفي ومفاجىء، ولذلك لايجوز أبداً لأحد، إلا أنتم وقائد الفرقة، ومفوضي الشعب أصحاب العلاقة، أن يطّلع على وظيفة ومهمة فرقة كاميشين. قائد الفرقة مدعو للحضور إلي في سيريوخوف، حيث يتلقّى مني التوجيهات شخصياً.

١٤ شباط ١٩١٩م

(الأرشيف المركزي للجيش الأحمر :قسم ٦، فهرس ٤، مصنف ٩٤، ص٧٢)

الرابع عشر :

برقية إلـــــى

القائد العام والمجلس العسكري الثوري للجبهة الغربية– بالشيفرة– سيبروخوف– القائد العام – المجلس العسكري الثوري للجبهة الغربية.

بعد سقوط فيلنا أصبح التحالف ضدنا أكثر وقاحة وضراوة لذا يجب العمل بأقصى سرعة لإستعادة فيلنا كي لانعطي قوات الحرس الأبيض الفرصة لتحريك التعزيزات والتشبث بالمدينة. أسرعوا بتحريك ونقل التعزيزات، وأعملوا بنشاط أكبر. وعلى الأركان الميدانية تشديد اليقظة والحذر على هذا الإتجاه لصالح هذه العملية.

٢٤ نيسان ١٩١٩

رئيس مجلس الدفاع – لينين

(ف.ي.لينين : المختارات الكاملة – المجلد ٥٩– ص٢٨٩)

الخامس عشر :

التوجيه العملياتي الصادر عن القيادة العامة حول تشديد الحذر واليقظة وتعزيز الدفاع عن شواطىء البحر الأسود، إلى قيادة القوى البحرية للجمهورية، والعاملة في البحر الأسود وبحر آزوف.

على ضوء المعلومات المتوفرة حول نوايا القيادة البحرية الفرنسية، ومن المحتمل – نوايا قيادات البلدان الأخرى الأعضاء في التحالف العدواني ضدّنا، والتي تشارك في العمليات ضد الموانىء والمدن المفتوحة الواقعة على شواطىء البحر الأسود، يتخذ مايلي :

١ – ...

٢ – ... تعزيز اليقظة والحذر على إمتداد الشاطىء، لهذا تُستخدم كافة وسائط الإتصال المتوفّرة، وتُشكّل مخافر ونقاط حراسة جديدة.

---

٧ – تنظيم العمل بسرعة لإزالة شبكة الإرشاد الملاحي، والتوقّف عن إضاءة المنارات، وإتخاذ الإجراءات الفورية لمنع الإضاءة في المدن وفي جميع البلدان والقرى الواقعة على الشاطيء عند حلول الظلام.

٤ تشرين أول ١٩٢٠

(الأرشيف المركزي للجيش الأحمر : القسم ١٠١، الفهرس ١، المصنف ٢٧، صفحة ١٦–١٨).

السادس عشر :

من التوجيهات العملياتية الصادرة عن القائد العام حول الأعمال الليلية المباغتة ضد دبابات العدو. إلى قادة الجيوش : الخامس، السادس، الثاني عشر، والسادس والعشرين.

<.................>

أثبتت الأعمال القتالية لقطعات العدو المدرعة والميكانيكية عدم قدرة الألمان على صد الهجمات الليلية المفاجئة التي تتعرّض لها دباباتهم وسياراتهم المصفّحة، وآليات النقل التي تتُرك ليلاً في القرى وعلى الطرقات. حيث يخشى الألمان الدخول في معارك مباشرة بالسلاح الأبيض، وإذا ما تعرضوا لهجوم ليلي مباغت فإنهم يتركون دباباتهم ومدافعه، وآلياتهم وحتى رشاشاتهم ويفرّون.

إن هيئة القيادة العامة العليا تأمر بما يلي : القيام بالأعمال الليلية المباغتة على نطاق واسع بهدف تدمير قطعات العدو المدرعة والآلية أمام الجبهة وعلى الأجناب وفي المؤخرة. ولهذه الغاية تشكّل مفارز من المشاة قوام كل منها يتراوح

بين سرية واحدة وسريتين ولايتعدى الكتيبة من الخيالة الراجلة والقطعات الآلية المعادية بالسرية والكتمان الشديدين، على أن تبدأ ليلاً، وتُنفذ بجسارة وجرأة، وحسمية وسرعة، وتنتهي في الوقت الذي يسمح بالعودة إلى القواعد قبل طلوع الفجر.

يجب أن يسبق هذه العمليات استطلاع بارع خلال وقت الضوء، بغية إستكشاف المنطقة ونظام توضّع العدو فيها. وينبغي على المفارز أن تتحرك تحت جنح الظلام إلى المناطق التي تتوضّع فيها قطعات الدبابات، والقطعات الآلية المعادية. بعد أن ترسل أمامها مجموعات صغيرة من المقاتلين الماهرين والشجعان. تقوم هذه المجموعات بالقضاء على مخافر الحراسة الأمامية للعدو بأسلوب صامت، وبعد ذلك ينقضّ القسم الرئيسي للمفرزة على الأطقم المعادية فيدمّرها بالحراب مع استخدام الرمانات اليدوية والوسائط المحرقة، ويحرق الدبابات وآليات النقل، ثم تنسحب المفرزة تحت جنح الظلام أيضاً.

إن النجاح الأكبر للعمليات هذه يتحقّق كما أثبتت الخبرات، في حال شن الهجمات من الأمام ومن الأجناب في آن واحد.

يُعمم هذا التوجيه، دون إبطاء، حتى مستوى قادة الأفواج ضمناً، وينفذ بعزيمة وإصرار...

١٨ تموز ١٩٤١

(الأرشيف المركزي لوزارة الدفاع : القسم ٣٣٤، فهرس ٣٩٤٩، مصنف - ٤ ص٧١)

السابع عشر :

من توجيهات رئيس الإدارة السياسية للجبهة الشمالية-الغربية

<........>

١٢ - يتركز الإهتمام عند تنظيم العمل الدعائي - الإعلامي على الندوات

واللقاءات الفردية والجماعية مع المقاتلين. ويُعمل بإصرار لتربية كل مقاتل على روح الثبات والصمود، وروح المبادرة، والدهاء العسكري، والإستخفاف بالموت، والإستعداد للتضحية بالنفس في سبيل التنفيذ الدقيق والآني لأمر القتال.

رئيس الإدارة السياسية للجبهة الشمالية – الغربية

المفوض العسكري- ريابتشي

١٣ آب ١٩٤١م

(الأرشيف المركزي لوزارة الدفاع : قسم ٢٢١، فهرس ١٣٦٢، مصنف٤، ص٩٣-٩٥)

الثامن عشر :

الأمر الصادر عن قيادة قوات الجبهة الوسطى، إلى قائد الفيلق الثالث والستين حول سحب القوات إلى ضفة نهر الدنيبر الشرقية

١ – الرفيق شاپو شنيكوف يسمح بالإنسحاب، إذا كنتم ترون أن الوضع ينذر بالخطر. المنطقة التي تحتلّونها في غاية الأهمية، ومن غير المستحسن على الإطلاق التخلّي عنها.

٢ – قدّروا موقف فيلقكم بصورة أكثر جدّية وأهمية، فلربما تستطيعون التمسك بالقطاع الذي تسيطر عليه قواتكم بقواكم الذاتية.

٣ – أتْرُكُ لكم حرية إتخاذ القرار بشأن الإنسحاب، لأن أمامكم صورة أوضح للموقف.

٤ – أرسلوا قراركم على الفور

٥ – إذا أتخذتم القرار بالإنسحاب فأعلموا على الفور المجلس العسكري للجبهة والجيش لاسلكياً وبوسائط الإتصال الأخرى.

٦ – أسند إليكم المهمة التالية في أثناء الإنسحاب – بعد قطع التماس مع العدو، توجّه الضربة بسريّة تامة إلى العدو من الخلف وعلى الإتجاه العام عبر

غورودیتس - ستريشين. لاصق مجنبتي الفيلق - اليمنى مع اليسرى للجيش الحادي والعشرين، واليسرى- مع المجنبة اليمنى للجيش الثالث.

يغريموڤ بونومارينكو غابا نوفيتش

١٤ آب ١٩٤١م

(الأرشيف المركزي لوزارة الدفاع، قسم ٢٦٦، فهرس ٦٤٨، مصنف٣، ص٦٥)

التاسع عشر :

من أمر قتال قائد قوات الجبهة الإحتياطية

حول إنتقال الجيش الثالث والأربعين إلى الهجوم بهدف إحتلال مدينة روسلاڤل

<............>

٩ - يجري تحشّد القوات في مناطق الإنطلاق خفيةً، وتتحشّد فرقة الدبابات الـ ١٠٩ بالفصائل وبفاصل من ٤٥د إلى ٦٠ دقيقة بين الفصيلة والأخرى.

١٠ - تتم كافة التحضيرات للعملية تحت غطاء السرّية التامة. والوثائق التي تمت بصلة أو بأخرى لتحضيرات الهجوم لا تُرسل لاسلكياً أو بوسائط الإتصال السلكية. وتكتب الأوامر بخط اليد أو تُطبع على الآلة الكاتبة من قبل عنصر موثوق به جداً. ينقل الأمر بواسطة سعاة موثوق بهم جداً. تسند مهمة الهجوم إلى القادة الصغار، وقادة الفصائل قبل موعد الهجمة بـ ٥-٦ ساعات.

٢٦ آب ١٩٤١م

(الأرشيف المركزي لوزارة الدفاع : قسم ٢١٩، فهرس ٦٧٩، مصنف ١١، ص٩٤)

العشرون :

أمر قائد الجبهة الغربية إلى قائد الجيش الثالث والأربعين. العميد.ك.د.غولوبيف حول توجيه الضربة باتجاه تاروتينو.

أمُـــــرُ بمايلي :

١- التحضير خلال ٢٥/١٠/١٩٤١ للهجوم بقوى الفرقة ٩٣ مشاة وفرقة المشاة المختلطة، وفيلق الإنزال الجوي الخامس، واللواء التاسع والسابع عشر والرابع والعشرين دبابات بمهمة توجيه الضربة الحاسمة والجريئة باتجاه تاورتينو والوصول إلى الخط – نهر أيسترا- نارا على القطاع : ماشكوفو – ڤوردبي – تاروتينو – كوريلوڤو.

٢ – يبدأ الهجوم – قبل فجر يوم ٢٦/١٠ . احتلال قاعدة الإنطلاق عند حلول ظلام ليلة ٢٥ – ٢٦/١٠/

٣ – يبدأ الهجوم بضربة جريئة ومباغتة بالدبابات، التي تركب على متنها مجموعات من المشاة ورماة البنادق الآلية الشجعان المزوّدين باحتياطي كامل من الرمانات.

٤ – ترافق الهجوم رمايات مدفعية منظمة، ولاسيما رمايات الكاتيوشا، وعند طلوع الفجر تُوجّه ضربة بالطيران. تعمل فرقة المشاة المختلطة في النسق الثاني وراء فرقة المشاة ٩٣.

٥ – المهمة اللاحقة – الوصول إلى نهر بروتڤا

٢٥ تشرين أول ١٩٤١م

(الأرشيف المركزي لوزارة الدفاع : قسم ٢٠٨، فهرس ٢٥١١، مصنف ١٥٧، ص٣١٦.)

الحادي والعشرون :

من أمر قائد الجيش حول تنفيذ عملية محدودة

<..........>

٩ – من أجل المحافظة على الأهمية الخاصة لخطّة العملية، لاتوزع أية أوامر خطية، وتسند المهمة إلى قادة التشكيلات والقطعات شخصياً، ويجب ألاّ يطلّع على الهجوم إلاّ العدد القليل جداً من الأشخاص.

١٠ – تُعرض خطة العملية، خطياً وبإختصار، وتُرفع إليّ بحضور القائد المناسب في سعت ...١٤٠٠/ ٢٥/١٠/١٩٤١م.

٢٦ تشرين أول ١٩٤١

(الأرشيف المركزي لوزارة الدفاع : قسم ٢٠٨، فهرس، مصنف ١٠٢٩، ص٢٤٧).

الثاني والعشرون :

أمر قائد قوات الجبهة الغربية إلى قادة وأعضاء

المجالس العسكرية للجيوش ٥، ١٦، ٣٣، ٤٣، ٤٩.

الألمان سيبدأون هجومهم بالإستخدام الكثيف للرمايات بجميع أنواعها على الحد الأمامي لدفاعنا وعلى مرابض المدفعية. ولايحسب العدو حساباً لإستهلاك قذائف المدفعية والهاون والقنابل. لكي لانتكّبد الخسائر من جراّء رمايات العدو، وإحباط هجومه إنّ أمكن، يجب العمل إضافة إلى التدابير والإجراءات المبيّنة في أمر المجلس العسكري – لخداع العدو مايلي :

١ – تشكيل حد أمامي كاذب على أن يكون الحد الأمامي الحقيقي على ١–٥ ، ١كم عن الحد الأمامي الكاذب.

٢ – تشكيل منظومة من النقاط النارية الكاذبة.

٣ – تشكيل مرابض مدفعية، وتجميع كاذب للدبابات، بواسطة الهياكل الخداعية.

٤ – إقامة حقول ألغام، وإستدراج العدو بمناورة ذكية ومخططة مسبقاً،

نحو حقل الألغام، وبعد وقوع العدو في فخ الألغام - القضاء عليه بالحراب والدبابات.

١ تشرين الثاني ١٩٤١م

سوكولوفسكي بولغانين جوكوف

(من الأرشيف المركزي لوزارة الدفاع : قسم ٢٠٨، فهرس ٢٥١١، مصنف ٢٤، ص١٤).

الثالث والعشرون :

التوجيه العملياتي الصادر عن قوات جبهة ماوراء القفقاس إلى قائدي الجيشين : الحادي والخمسون، والرابع والأربعون، وقائد القوى الجوية، وقائد أسطول البحر الأسود، ورئيس هيئة الإمداد والتموين حول التحضير لعملية الإنزال.

آمُــــرُ بمايلي :

١ - بهدف المحافظة على سرّية العملية التي يجري التحضير لها، تُنفّذ كافة الأعمال التحضيرية مع مراعاة السرّية التامة في التحضير. لايُبلّغ إلاّ بما يخص كلاً منهم، دون الكشف لهم عن خطة العملية. لايطلع على المضمون الكامل للتوجيه العملياتي إلاّ أقل عدد ممكن من الأشخاص، الضروريين لإعداد العملية، وبعد تحذيرهم من عواقب إفشاء السر. العمل على عدم تسرّب المعلومات عن الإجراءات المتّخذة بأي حال من الأحوال. أحذّر بشدة من إطلاع قطعات الإنزال على نقاط الإبرار قبل الخروج إلى البحر.

<............>

٩ - العمل بدقة وإمعان لتنظيم تسلسل نزول الوحدات، بعد تحديد المهام لكل قطعة ووحدة بدقة ووضوح. تسلم إلى قائد المهمة باليد وضمن مغلف مختوم في داخله طرد كتب عليه عبارة "يفتح في البحر". وتتخذ كافة الإجراءات والتدابير

المتعلقة بالسرّية والإخفاء أثناء الإبرار.

١٠ - إجراء التحضيرات، والتحشد، والتجهيزات الضرورية لوسائط الإبرار (حتى جمع قوارب الصيد ضمناً) وتغطية القوى والوسائل المحتشدة بوسائط الدفاع الجوي، وتمويهها بشكل جيد

١١ - التأكيد على إستلام التوجيه.

ممانين كوزلوف

١٤ كانون الأول ١٩٤١م

(الأرشيف المركزي لوزارة الدفاع : قسم ١٢٥، فهرس ١١٨٥، مصنف ١، ص٤٢- ٤٣).

الرابع والعشرون :

من التوجيه العملياتي الصادر عن هيئة القيادة العامة العليا، إلى قائد منطقة ستيب العسكرية

هيئة القيادة العامة العليا تأمر بما يلي :

<.....................>

٤ - الإنتهاء من إعادة تجميع الجيوش في ١٥/٥، عن طريق التحركات الذاتية، ماعدا فرقة المشاة الـ ١٥٥، التي تتحرك بالقطارات حتى محطة ستانوفايا، ومحطة تيليغينو (قرب إيليتس).

يبدأ التحرك إعتباراً من مساء ٩/٥ وتحت جنح الظلام حتماً

تركيز الإهتمام بصورة خاصة على التمويه.

تُرسل على الفور، مجموعات قيادية من الجيوش المذكورة لإجراء الإستطلاع الشخصي للخطوط الدفاعية ومناطق التوضع الجديد للقوات.

بتكليف من هيئة القيادة العليا أ.ڤاسيليفسكي

أنتـــونـــوف ٨آيار ١٩٤٣.

الخامس والعشرون :

من التوجيه العملياتي الصادر عن هيئة القيادة العامة العليا حول تنظيم جهاز النيران إلى قادة قوات الجبهات : الغربية، بريانسك، الوسطى، فورونيج، الجنوبية الغربية.

العدو يحاول، أثناء تحضيره للهجوم، وكما دلّت الخبرات السابقة، إكتشاف نظام دفاعنا، ولاسيما أماكن توضّع الوسائط النارية، وذلك عن طريق الهجوم /الأعمال الهجومية/ على بعض قطاعات الجبهة، بحيث يمكنه، عند البدء بالهجوم الحاسم، إبطال النقاط النارية وسرايا المدفعية التي اكتشفها.

من أجل المحافظة على جهاز النيران المنظّم من قبلنا حتى اللحظة الحاسمة، يجب تخصيص قسم من الوسائط النارية العائدة للمشاة والمدفعية من أجل صدّ هذه الأعمال الهجومية الإستطلاعية المعادية. ويجب على الوسائط النارية المخصّصة لهذه الغاية أن تفتح النار من المرابض المؤقتة، وبعد ذلك تنتقل خفيةً إلى المرابض الإحتياطية أو الأساسية حسب مقتضيات الموقف ...

١٠ أيار ١٩٤٣ أ.فاسيليفسكي أنتونوف

(مجلة التاريخ العسكري السوفييتي، ١٩٨٣م، العدد، ص٦٩).

السادس والعشرون :

من التوجيه العملياتي الصادر عن هيئة القيادة العامة العليا للقيام بعملية كييف الهجومية إلى ممثّل الهيئة غ.ك.جوكوف، وقائد قوات جبهة أوكرانيا الأولى.

<.................>

١ - تحريك جيش ريبالكو الثالث دبابات إلى قطاع الجبهة شمالي كييف، حيث يُستخدم هناك بالإشتراك مع فيلق الفرسان الأول. تترُك دبابات ريبالكو

البطيئة الحركة نسبياً في مكانها لإستكمال فيلق دبابات الحرس الأحمر الثامن، وفيلق الدبابات العاشر، تُستخدم الدبابات التي تأتيكم لإستكمال الجبهة بالأفضلية الأولى لإستكمال فيالق دبابات ريبالكو.

٣ – تنفذ الأعمال الهجومية في رأس جسر بوكرين باقوى المتبقية هناك بما في ذلك قطعات الدبابات لإستدراج ومشاغله أكبر عدد من قوى العدو، وتخرق دفاعه في الظروف المواتية، وتتقدّم إلى الأمام.

٤ – تتم تحركات ريبالكو بحيث لايلاحظ العدو ذلك، مع إستخدام الهياكل ......

هيئة القيادة العامة العليا

ي.ستالين، أنتونوف ٢٤ تشرين أول ١٩٤٣م

(مجلة التاريخ العسكري ١٩٨٣– العدد ١١– ص٥٤– ٥٥)

السابع والعشرون :

تعليمات قتال

قائد جبهة أوكرانيا الأولى حول إعادة التجميع :

إلى قائد جيش دبابات الحرس الأحمر الثالث

آمُـــرُ بمايلي :

١ – على قائد الجيش الثالث دبابات حرس أحمر أن يبدأ مع حلول ظلام ٢٥ تشرين أول ١٩٤١م بتحريك قطعات الجيش من رأس جسر بوكرين إلى الضفة الشرقية لنهر الدينبر، مستخدماً لذلك كافة المعابر المتوفّرة على نهر الدينبر.

٢ – يُنفذ المسير خفيةً، بسرية تامة، مع التحرّك ليلاً فقط ومراعاة تدابير التمويه أثناء الحركة وأثناء الإستراحات. وتُترك هياكل الدبابات والآليات في المواقع والمساند السابقة على رأس جسر بوكرين. يمنع منعاً باتاً عمل المحطات

اللاسلكية في نظام الإرسال، ولايسمح بأي مكالمات هاتفية تتعلّق بالتحركات.....

٢٥ تشرين أول ڤاتوتين

(مجلة التاريخ العسكري ١٩٨٣م، العدد ١١، ص٥٧).

الثامن والعشرون :

من التوجيه العملياتي الصادر عن رئيس الأركان العامة للجيش الأحمر حول استخدام الدخان التمويهي.

<.................>

د - أثناء التمويه الدخاني للأغراض يُفضل أن تُشكّل بؤر الحرائق الكاذبة للتدخين على الغرض المراد تمويهه. ولاتُضرم النار فيها إلا بعد إلقاء القنابل وذهاب الموجة الأولى من قاذفات العدو.

هـ - لتضليل العدو عن طريق تشكيل الستائر الدخانية على الإتجاهات الكاذبة. ومن أجل تضليل العدو عن إتجاه الضربة الرئيسية. ولفت إنتباه وسائطه النارية العاملة أو المستترة .... يجب أن يكون عرض الحاجز الدخاني على إتجاه كاذب ٢-٣ كم على الأقل.

و - تُستخدم الستائر الدخانية على جبهة عريضة من أجل إخفاء مناورة الإلتفاف، والتسلّل عبر الثغرات والفرج في دفاع العدو

<................>

م - تستخدم الستائر الدخانية لتمثيل إختراق الدبابات، والقيام بإصلاح الدبابات على أرض المعركة، وكذلك لتغطية إخلاء الدبابات المعطوبة والمدمّرة

٢٥ آذار ١٩٤٤م. أ. ڤاسيليڤسكي

(مجلة التاريخ العسكري ١٩٧٣ العدد ٩ ص٧٠)

التاسع والعشرون :

من التوجيه العملياتي الصادر عن المجلس العسكري لجبهة البلطيق الأولى............ من أجل تأمين السرّية والإخفاء أثناء التحضير للعملية وخلالها، ولتحقيق المفاجأة في تنفيذها.

آمـــرُ بمايلي :

أ - بشأن تمويه القوات والمحافظة على السرّ العسكري.

١ - تنفيذ جميع تحركات القوات ومؤخراتها تحت جنح الظلام فقط ومن سعت ٢٢،.. وحتى سعت ٤،.. حددوا بدقة مقدار المسافات المقطوعة.

في أي موقع أو موقف يطلع الفجر فيه على القوات ومؤخراتها، يجب أن «يموت» كل شيء على الطرقات، وتتوقف كل التحركات دون إستثناء.

٢ - لايسمح بتحركات الآليات إلاّ ليلاً وبالأنوار المموهة.

<...............>

٨ - تحديد ووضع نظام لإحكام رمايات المدافع والهاون، وتؤمن السرّية والإخفاء لتجميع المدفعية على الإتجاه الرئيسي.

٩ - في حال ظهور طائرات العدو أثناء المشاريع التكتيكية للوحدات والقطعات، يجب الإختفاء فوراً، وعلى الخطوط الطبيعية - يجب الإنتشار بإشارات محدّدة مسبقاً بسرعة، والتظاهر بوجود بنية دفاعية على هذه الخطوط.

١٠ - لايسمح بإجراء المكالمات، ولاسيما المكشوفة، بوسائط الإتصال الهاتفية، حول الإجراءات والتدابير المتخذة، ولذلك تفرض رقابة صارمة على عقد الإتصالات.

١١ - تُعطى المكانة الأولى في منشورات وصحافة الجيش الأحمر للمواضيع الدفاعية، ويمنع منعاً باتاً نشر أي مقال أو ملاحظة أو زاوية، تتطرّق، بأي شكل من الأشكال لمسائل التحضير للأعمال القادمة.

١٢ - لايسمح بإتخاذ أو تنفيذ أي من التدابير (تحرك قوات، نقل

إحتياطات، إستطلاع شخصي ....الخ)

قبل أن تتخذ الإجراءات اللازمة لتمويه وإخفاء هذا التدبير، ولهذه الغاية :

– يعيّن في جميع أركانات القطعات والتشكيلات أحد نواب رئيس الأركان، الذي تلقى على عاتقه مهمة إعداد التعليمات لتمويه القوات في جميع أعمالها ونشاطاتها القتالية وتطبيق الرقابة الصارمة على تنفيذ هذه التعليمات من قبل ضباط يُعيّنون لذلك.

– على قادة الجيوش وقادة الفيالق تحديد أفضلية الإستطلاعات الشخصية، التي تحول دون إزدحام مجموعات الإستطلاع الشخصي، ولايسمح بتحرّك مجموعات الإستطلاع الشخصي إلاّ على تلك الطرق والمدقات الترابية التي تتحرّك عليها عادة القوات المدافعة.

– تنفذ الأعمال الدفاعية المركّزة في النطاقات المخصّصة للأعمال الإيجابية، مع تركيز الإهتمام على نوعية ومصداقية بناء حقول الألغام الكاذبة ....الخ

ب – بشأن الإنضباط أثناء المسير وفي مناطق توضّع القوات.

<...................>

٢ – مطالبة القوات باستمرار، بالمزيد من اليقظة والحذر وشرح أهمية ذلك، ولاسيّما أثناء المسير

(تأمين المحافظة على السرية – المؤلف).

٣ – تشكيل رقابة دائمة من قبل الضباط على سلوك القوات وتصرفّاتها في المسير وفي مناطق توضّعها.

<...............>

٧ – بهدف تأمين التحركات السرية والخفية للقوات، وعربات ووسائط النقل، والعتاد القتالي، ومجموعات المقاتلين والضباط المتحركة بصورة مستقلة، وكذلك تمويه الأعمال الهندسية المتعلّقة بتحضير رأس الجسر للهجوم، تُحدد الآن

في المنطقة الأمامية .... حقول الرؤية من جانب العدو الأرضي، وتنظيم خدمة الضابطة الحازمة والصارمة، تتّخذ الإجراءات لإقامة المساتر العمودية....

‹...........›

٩ - تمنع منعاً باتاً المراسلات المتعلّقة بالتدابير والإجراءات المنفذة، والوثائق الضرورية لايطلّع عليها إلا أقل عدد ممكن من الأشخاص مع أخذ تواقيعهم، وعدم إخراج الوثائق خارج حدود الأركان المسؤولة عن إعدادها.

‹.........›

١١ - في التقارير التي ترفع إلى أركان الجبهة سعت ...٢١ يومياً تُذكر المعطيات عن تفقّد وإختبار حالة التمويه.

١٢ - هذا التوجيه لاينشر مخطوطاً ومطبوعاً، ويُعمّم على قادة الأفواج والكتائب المستقلة عن طريق اللقاءات الشخصية.

٣٠ أيار ١٩٤٤م   ي.باغراميان ليونوف كوراسوف

(مجلة التاريخ العسكري، ١٩٧٩، العدد السادس، ص٥١، ٥٢).

الثلاثون :

من التوجيه العملياتي لهيئة القيادة العامة العليا إلى قادة الجبهات. بهدف تأمين السرّية والإخفاء للتدابير والإجراءات المنفّذة على جميع الجبهات آمـرُ بمايلي :

١ - تجري تحركات القوات والعتاد كافةً في وقت الظلام فقط، مع مراعاة إنضباط المسير الليلي بحزم. ولايسمح بالتحرك نهاراً إلا في ظروف الطقس الذي لايسمح بعمل الطيران على الإطلاق، وبمجموعات مستقلّة، وخارج مدى المراقبة الأرضية من جانب العدو. وينفّذ التوضّع المنتشر مع التمويه الدقيق، ويمنع أي إتصال شخصي بين الجنود والسكان المحليين، في الإستراحات النهارية وفي المناطق الجديدة لتحشد القوات والعتاد، وتقيّد حركة المجموعات والوحدات قدر

الإمكان على الطرقات وقطّاعات الأرض المكشوفة.

يتركز الإهتمام بصورة خاصة على السرّية والإخفاء في تبديل قوات الخط الأول.

٢ - طيلة فترة إعادة التجميع والتحضير للأعمال الإيجابية، يجب المحافظة على نظام فتح النار المعول به والقائم حالياً. ويُحدد نظام لإحكام رمايات المدفعية، التي تؤمن السرّية والإخفاء لتجميع المدفعية على الإتجاه الرئيسي.

٣ - يمنع على التشكيلات التي التحقت بكم مجدّداً، تنفيذ الإستطلاع الأرضي.

٤ - في حالات الضرورة يرتدي القادة أثناء القيام بالإستطلاعات الشخصية لباس الأفراد وتجهيزاتهم الأخرى، ويمنع على جنود الدبابات منعاً باتاًالظهور بلباسهم الخاص أثناء الإستطلاع الشخصي.

<..............>

١٣ - تُنظيم الرقابة اليومية الدقيقة على تنفيذ جميع التوجيهات الخاصة بالتمويه والإخفاء. ويجري القيام يومياً بإختبار التمويه والإخفاء لأماكن توضّع الأركانات والقوات من الجو، ويكلّف بهذه المهمة ضباط إختصاصيون من أركانات الجبهة والجيوش.

٢٩ آيار ١٩٤٤م   جوكوف أنتونوف

(مجلة التاريخ العسكري ١٩٧٩ - العدد ٦، ص٥٠ -٥١)

الحادي والثلاثون :

أمر إلى قوات جبهة أوكرانيا الرابعة حول القيادة السرّية للقوات بسبب عدم التقيّد بقواعد استخدام وثائق الإتصال المرّمز في أثناء المكالمات السرّية والإرسال عبر وسائط الإتصال الفنية، أصبح العدو على علم بأعمال قواتنا ونشاطاتها الهامة.

في أثناء إرسال التقارير القتالية والمعلومات عن أعمال قواتنا وتأمينها، لاتستخدم وثائق الإتصال المرّمز بالكامل. ويحدث أحياناً الإرسال المكشوف.

لاتسبدل مفاتيح الجداول في كل إرسال (أو مكالمة).

بدون إستخدام الخارطة المرمّزة، تُدقق لاسلكياً وبشكل مكشوف، الخطوط التي تحتلها القوات، المرتفعات لاترمّز، بل ترسل بشكل مكشوف، أو عن طريق إضافة فاصلة وأرقام تلقائياً. تُكرّر وتدقق بشكل مكشوف النصوص المرمّزة المرسلة من قبل، الأمر الذي يساعد العدو على كشف وثائق الإتصال المرمّز.

أثناء المكالمات تُستخدم أحياناً إصطلاحات مختلفة، مثل : الدبابات تُدعى «القلب» والمقاتلون "الحقائب" ....الخ.

يسمح لعمال اللاسلكي بإرتكاب المخالفات الفاضحة لقواعد التمويه اللاسلكي والإنضباط اللاسلكي لذا آمـرُ بمايلي :

١ – يمنع منعاً باتاً إجراء المكالمات والإرسالات بوسائط الإتصال الفنية بما يتعلّق بالمسائل العملياتية والسرّية بدون إستخدام وسائط الإتصال المرمّز.

٢ – لاسلكياً لايستخدم إلاّ إتصال الشيفرة وجداول الإشارات اللاسلكية مع نظام المفاتيح الثابت إلى جلنب الخرائط المرمّزة. ويمنع إستخدام "الترميز الناقص" لاسلكياً.

٣ – مفاتيح جداول المكالمات والإشارات اللاسلكية تُبدّل في كل مكالمة، وكل برقية مرمّزة، وبرقية لاسلكية. وتُبدّل مفاتيح الخرائط المرمّزة : في الشبكة – جبهة – جيش – فيلق مستقل – كل خمسة أيام، جيش – فيلق – فرقة كل ثلاثة أيام. وعند إفتضاح أمرها يُبطل العمل بها فوراً.

٤ – يمنع، في المكالمات، عبر وسائط الإتصال الفنية، إستخدام الإصطلاحات المختلفة، وتكرار وتدقيق النصوص المرمّزة المُرسلة.

٥ – نداء الأشخاص المسؤلين، وعنونة البرقيات اللاسلكية، والبرقيات المرمّزة، يتم حسب جداول نداء الضباط والقطعات.

٦ – تُفرض في العقد اللاسلكية لأركانات الجبهة، والجيوش والفيالق رقابة مشدّدة على عمل الشبكات اللاسلكية والإتجاهات اللاسلكية، مع تركيز الإهتمام بصورة خاصة على المستوى الأدنى (فرقة – فوج – كتيبة).

٧ – عند إستخدام الإتصالات بالهاتف يمنع منعاً باتاً إجراء المكالمات المكشوفة وينبغي التقيّد التام بتدابير القيادة السرّية (إستخدام جداول المكالمات، والخرائط المرمّزة، نداءات الضباط والقطعات، ونداءات محطات البرق والهاتف)، والحدّ من إستخدام الإتصالات الهاتفية في القوات من أركان الفيلق، ولاسيما في حلقة الفرقة – الفوج، فما دون ....

عضو المجلس العسكري للجبهة – قائد قوات جبهة أوكرانيا الرابعة

٨ ايلول ١٩٤٤م

(الأرشيف المركزي لوزارة الدفاع القسم ٢٤٤، فهرس ٨٥٣١٢، مصنف -٣ص٢١).

الثاني والثلاثون :

توجيهات حول تحضير مدفعية جبهة بيلاروسيا الثانية لعملية بروسيا الشرقية.

١ – أن التحرك السري والخفي للمدفعية، وتحشدها وإنتشارها خفيةً بترتيب القتال يعتبر أحد الشروط الأساسية لتنفيذ العملية بنجاح.

٢ – يمنع منعاً باتاً تحشد المدفعية في الأماكن المأهولة بالسكان، وكذلك الإتصال مع السكان المحليين.

<..........>

٤ – تجري التحركات في وقت الظلام فقط، وتسحب اللمبات من مصابيح السيارات، وعند حلول الفجر تتوقّف الحركة، وتطبّق قواعد التمويه بدقة.

٥ – بغية تأمين السرّية والإخفاء والترتيب المطلوب عند خروج المدفعية إلى

مناطق المرابض.... على قادة مدفعية الجيوش في فترة التحضير للعملية أن يُنظموا في الجيوش والفيالق وفرق المشاة والمدفعية وأفواج المدفعية المستقلة، خدمة الضابطة للمدفعية.... تتوضّع وسائط القطر على مسافة ٥٠٠م عن المرابض، ومموهة ضمن الحفر.

٦ – كل مريض رمي يجب أن يكون مموهاً بدقة حسب خلفية الأرض...

١٤ كانون أول ١٩٤٤م سوكولسكي

(مجلة التاريخ العسكري ١٩٧٥م، العدد الثالث، ص٥٢– ٥٥).

الثالث والثلاثون :

توجيه عملياتي صادر عن قائد قوات جبهة بيلاروسيا الأولى

<...........>

٧ – كل التحضيرات للعملية الهجومية، إعادة التجميع، وتحرك القوات إلى قاعدة الإنطلاق للهجوم، تتمّ خفية عن العدو، مع مراعاة جميع تدابير التمويه، والسعي هنا إلى تحقيق المفاجأة في تحقيق أعمال الجيش حتماً.

٨ – يسمح بأن يطّلع على هذا التوجيه رئيس الأركان، رئيس فرع عمليات الجيش، وقائد مدفعية الجيش. وباقي المنفّذين تُستند اليهم المهام ضمن حدود واجباتهم ووظائفهم الملقاة على عاتقهم.

لاتعطى إلى قادة الأفواج تعليمات خطية، وتسند إليهم المهام شفهياً وقبل الموعد بيومين – ثلاثة أيام...

مايتعلق بخدمة المؤخرة لاتعطى توجيهات عامة، بل يجب الإكتفاء بالتعليمات الشفهية.

٩ – الشرح لجميع أفراد ومقاتلي قوات الجيش بأنّ مهمتنا هي الدفاع الصلب لمدة طويلة.

تُسند مهمة الهجوم إلى القادة الصغار ومقاتلي الجيش الأحمر قبل موعد

الهجمة بساعتين ....

٢٢ شباط ١٩٤٥م. جوكوف مالينين تيلياغين

(مجلة التاريخ العسكري ١٩٨٥م، العدد الثالث ص ٧٨ . ٧٩).

الرابع والثلاثون :

من إجابات القائد السابق للدفاع عن مدينة برلين جنرال المدفعية. غ. ويدلينغ على أسئلة ممثل القيادة السوفييتية تروشوف

لقد تلقى رئيس أركاني المعلومات من رئيس أركان فيلق الدبابات الحادي عشر "س.س" و كذلك من أركان الجيش حول حشود للقوات الروسية، وحول الهجوم المرتقب لهذه القوات.

غير أن حقيقة عدم قيام الروس بشن الهجوم في أعقاب الأعمال التي قامت بها مفارز إستطلاعهم في ١٤ . ١٥ نيسان، خدعتنا وضلّلتنا. وعندما قال رئيس أركاني العقيد فون دوفينغ لي شخصياً في ١٥ نيسان، بأنه طلب من رئيس أركان فيلق الدبابات الحادي عشر أذناً لإستبدال الفرقة الميكانيكية العشرين، بفرقة "مونخيبيرغ" عشية الهجوم الروسي، أجاب الأخير : «إذا لم يبدأ الروس هجومهم اليوم، فهذا يعني أنهم لن يشنوا الهجوم إلا بعد بضعة أيام». وقد شاركه بهذا الرأي ضباط كبار آخرون في الجيش التاسع.

(مجلة التاريخ العسكري ١٩٥٩م، العدد٥، ص٩٠).

الخامس والثلاثون :

التأمين الهندسي لقوات جبهة بيلاروسيا الأولى في عملية برلين.

.... تتلخص فكرة القيادة في السعي إلى إخفاء تحشّد القوى الحسية والعتاد القتالي عن العدو في رؤوس الجسور، وفي تقليد وتمثيل إنسحاب تشكيلات الدبابات من خط الجبهة، وكذلك في تمويه الإتجاه الحقيقي للضربة

الرئيسية. بناءً على الخطة العامة المصدقة من قبل المجلس العسكري للجبهة، فقد نُفّذت التدابير التمويهية من قبل جميع صنوف القوات.

كما أن قطعات الهندسة أمنّت الإرشاد والتعليم لصنوف القوات الأخرى، ونفّذت مباشرة الأعمال التمويهية الأكثر صعوبة وتعقيداً.

ففي منطقة كل من محطة وارسو، مينسك، مازوفيسكي تمّ تمويه ١٦ قطاراً على السكة الحديدية كانت قد وصلت إلى الجبهة محمّلة بالدبابات وبالمدافع ذاتية الحركة. وفي محطة سانتوخ تم تحضير ٨١ هيكل دبابة ت ٣٤و ٣٩ هيكل مدفع. وأُرسلت هذه الهياكل مع أطقم المرافقة من منطقة الجبهة إلى منطقة شنايديمول وبمعدّل قطار كل يوم.

وفي المحطات باتشوف، شتيرنبرغ، توپر تمّ صنع ١٣٦ هيكل دبابة و١٢٠ هيكل مدفع. أرسلت الهياكل مع أطقم المرافقة إلى منطقة غنيزنو وبمعدل قطارين في اليوم.

ومن أجل تمثيل وتقليد تحركات قطعات دباباتنا من منطقة شغيبوس عن طريق المعابر الكاذبة المقامة على نهر الأودر (القطاع: أوديريك – غروسين)، تحركّت هياكل الدبابات المركّبة على سيارات، والتي كانت موجودة على نقطة الفصل بين جبهة بيلاروسي الأولى وجبهة أوكرانيا الأولى، على هذا الإتجاه.

ومن أجل تضليل العدو عن إتجاه الضربة الرئيسية تمّ إتخاذ التدابير والإجراءات التالية : حضّرت وأقامت قطعات الهندسة في نطاق الجيش الحادي والستين ١٠٦ هياكل دبابات و٦٠ هيكل مدفع، و٤٢ هيكل سيارة، و٢٢ صهريج تزويد بالبنزين. كما جرى تنشيط ودّب الحياة في مناطق تحشّد العتاد الكاذب وذلك عن طريق إستخدام المدافع الجوّالة المتحركة التي كانت تقلّد عملية إحد... الرمي. وفي الوقت نفسه جرى إستعراض عمل الإستطلاع الهندسي والتظاهر المكّثف بهذا النشاط على نهر الأودر، كما جرى تمثيل لنصب وسائط العبور أيضاً والأعمال الخاصة بتحضير المواد اللازمة لنصب الجسور. وقد جرى إتخاذ مثل

هذه الإجراءات الخاصة بالتحضير لإقتحام النهر على رأس الجسر الجنوبي للجيش الثالث والثلاثين.

لقد قامت بأعمال التمويه وانشغلت بها خمس كتائب هندسة، وسرية تمويه واحدة ومفرزة إنشاءات عسكرية. وبتنيجة ذلك شرع العدو المضلّل والمخدوع بتعزيز الدفاع على تلك القطاعات بالذات .....

من كلمة الفريق المهندس .أ.ي. بروشلاكوف

أمام المؤتمر العلمي الذي عقدته مجموعـــة

القوات السوڤييتية في المانيا لـــدراســـة

عملـــية برلين التي نفـــذت فــــــي

نيسان ١٩٤٦م.

(مجلة التاريخ العسكري ١٩٨٦، العدد الثالث،ص٤٣).

* * *

الفهرس

مطابع الادارة السياسية

مطابع الادارة السياسية